المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم (الكتاب والسنة)
شعبة التفسير وعلوم القرآن

التناسق الموضوعي في سورة الجاثية

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد

الطالبة: سـارة بنت أحمـد بن عثمان حـكمي

الرقم الجامعي (٤٢٩٨٠٠٨٤)

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور: عثمان المهدي صديق حاج بلال

عضو هيئة التدريس بقسم الكتاب والسنة

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

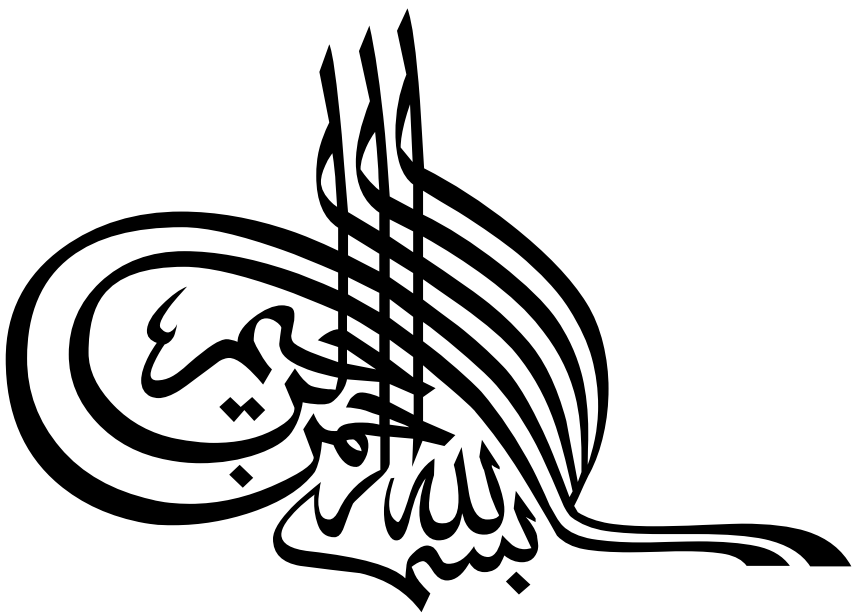
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}

شـــكر وتقـــدير:

إن أولى نِعم الله بالشكر هي نعمة القرآن، {قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ}[1]، فالمِنّة والفضل والشكر له سبحانه؛ على نعمة إنزال هذا القرآن الكريم على أمتنا وتكفله بحفظه، وعلى أن شرفنا بجعل توجهنا ودراستنا في مجال تفسير هذا الكتاب العزيز.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل للصرح الشامخ: جامعة أم القرى؛ على إتاحة الفرصة لي بإتمام الدراسات العليا، خصوصاً في هذا المجال المبارك، والشكر موصول لقسم الكتاب والسنة وأخص منهم رئيسه ومرشدي: الدكتور عيسى المسملي. وأشكر مناقِشيّ الفاضلين، على تفضلهم بمناقشتي وبذلهم الوقت والجهد والتوجيه، فجزاكما المولى عني خيراً، وأشكر مشرفي الكريم الدكتور عثمان المهدي، خير مشرف موجّه، ذو فضل كبير عليّ لايفيه الشكر.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لمن أعانني على إتمام دراستي، وتقديم بحثي، وأخص منهم: والدي العزيزين، وجدتي الفاضلة، وخالتي الكريمة، ، وأختي نسيبة، وأخي يوسف.

ثم الشكر موصول لكل من حضر، ولكل من شجعني وأعانني بالدعاء.

(١) سورة الأعراف، آية: ١٤٤.

ملخص الرسالة:

الحمد لله الواحد المنان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، محمد خير الأنام، وبعد:

فهذه رسالة علمية بعنوان: (التناسق الموضوعي في سورة الجاثية)، وهي جزء من سلسلة رسائل علمية لمشروع تبنته كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الطيبة المباركة جامعة أم القرى، ممثلة بقسم الكتاب والسنة، وهي دراسة تتناول مصطلحاً جديداً في التفسير، وهو: التناسق الموضوعي، وقد تم دراسة هذا المصطلح وتطبيقه في رسالتي هذه على سورة الجاثية، مُقسماً إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطواته، وهيكله.

- الباب الأول (التناسق الموضوعي مقدمات تعريفية)، يحتوي على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: يحتوى على مقدمات تعريفية للتناسق الموضوعي في السور القرآنية.

الفصل الأول: أسماء السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزولها.

الفصل الثاني: مكية السورة، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، واختصاصها بما اختصت به.

الفصل الثالث : أسباب النزول الواردة في سوررة الجاثية، ومقاصد السورة.

- الباب الثاني (التناسق الموضوعي في سورة الجاثية)، ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مناسبات سورة الجاثية.

الفصل الثاني: موضوعات سورة الجاثية وتناسقها.

الفصل الثالث: تفسير آيات السورة وفق تناسقها الموضوعي.

- خاتمة الرسالة: وتشمل التوصيات والنتائج، ومن أهمها:

أولاً: أنّ مصطلح (التناسق الموضوعي) وإن كان مصطلحًا حادثًا، لكنّ المفسرين قديماً وحديثاً تطرقوا إليه في ثنايا التفسير.

ثانيًا: إن إبراز التناسق بين موضوعات السورة الواحدة، والتناسب بين آياتها، وجملها، يزيد يقين المؤمن بعظمة هذا القرآن الكريم، فهو وجه من وجوه الإعجاز.

ثالثًا: أن المقصد العام للسورة هو: معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن الحق؛ من خلال عرض الآيات والتذكير بالآخرة. وأبرز موضوعات السورة الرئيسية هي:

أ) الحديث عن آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها. ب) وصايا للمؤمنين.

ج) صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم. د) مشاهد من يوم القيامة.

ملخص الرسالة (باللغة الإنجليزية):

All praise be to ALLAH AL Mannan, prayer and peace be upon the master of Adnan's son, Muhammad the best creature,this thesis entitled. Thematic consistency in Surat Al Gathia) It is part of a series of scientific Messages for a project adopted by Faculty of Da'wa & Religious at Umm Al Qura University, Department of Quran and Sunnah.

The Study deals deals with a new term in Quran Interpretation (Thematic consistency) and that what I already dealt in my scientific message divided into Introduction ,two chapters and Conclusion.

Introduction: the importance of the topic and the reasons for his choice, and previous studies,research objectives, methodology, steps and structure.

Section one: (substantive harmonization of tariff introductions), contains :a preface and ٣ chapters.

Boot: contains the introductory prefaces to substantive harmonization of sura qurania.

Chapter ١ : introductory to surat al-jathiya introductions.

Chapter ٢ : makiah Alsura, suitability for earlier and competence as specialized tags.

Chapter ٣: the reasons of surat al-jathiya, the purposes of th Sura Section : two: (substantive consistency in surat al-jathiya) and contains three chapters

.Chapter ١: surat al-jathiya events.

.Chapter ٢: topics of Surat Al-jathiya and symmetry.

.Chapter ٣: interpretation of the verses of Sura as substantive consistency

The conclusion of the message & include the advices & results:

First: the term of (thematic consistency) that was a new term, but the the old and new mufassireen have talked about in the interpretation.

Second: to highlight the consistency between the topics of the surah , the proporation between her verses and her sentences it makes the muslim realize .. the greatness of the quran and it's aspect of the miracle.

Third: the genral meaning of the surah is handled those fancy hath on right to by showing the intrepretion verses.

المقـدمـــة

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- الدراسات السابقة
- أهداف البحث
- منهج البحث
- خطوات البحث
- هيكل البحث

المقدمة:

الحمد لله أهل الفضل والإنعام، شرف أمتنا فجعلها خير الأمم، و أنزل لنا خير الكتب عن طريق خير الرُّسل صلى الله عليه وسلم، فبَيَّن فيه طريق الهداية، وجعل الرِّفعة به لأهل الدين والتقوى في الدنيا والآخرة، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين»(١).

أما بعد:

فقد شاء الله أن تكون فهرست القرآن الكريم بالسور، ولكلِّ سورةٍ نظمٌ خاص، وبينها ترابط وتناسق مُبهر، يدل على إعجاز تام لا يستطيع الإتيان بمثله إنس ولا جان، يقول الله عزَّ وجل: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا }(٢).

وحيث إن الله منَّ علي بدخول أشرف الأقسام (قسم التفسير وعلوم القرآن) كان واجباً علي أن أقدم بحثاً يفيد أمة الإسلام، تحت مظلة هذه الجامعة المباركة –جامعة أم القرى– وقد أطلقت الجامعة مشروع دراسة التناسق الموضوعي لسور القرآن الكريم، فأحببت أن أشارك فيه من خلال سورة الجاثية، فكانت هذه الرسالة التي بين أيديكم.

ومحتوى هذه الرسالة كما هو مقرر عن موضوع التناسق الموضوعي يتناول تعريفه أولاً، ثم الحديث عن السورة :اسمها، وفضلها، وعدد آياتها، ونزولها، ومكيّتها، ومقاصدها، ثم مناسبتها لما قبلها وما بعدها، وموضوعات السورة وتناسقها، وتفسير السورة في ضوء هذا التناسق البديع.

---

(١) صحيح مسلم، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، حديث رقم ٢٦٩؛ (١/ ٥٥٩).

(٢) سورة الإسراء، آية:٨٨.

أسأل الله تعالى أن يلهمني الصواب والرشاد، ويجعلني من أهل التوفيق والسداد، ويُبارك في عملي إنه كريم جواد.

❖ أهمية الموضوع:

كان الناس في جهل وضلال، حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل معه هذا الكتاب المعجز، فأزال الجهل وبصر الأفئدة، ولا تزال علومه على كثرة الواردين تفيض، ولا تزال معجزاته تظهر، فأقبل عليه المسلمون يدرسونه، وألفوا في شتى علومه، وأقبلوا على تفسيره، والدراسة فيه، فكلما أدلجوا السير في علم من علومه انكشف لهم من وراءه آفاق، ومن هُنا اندرجت المناسبات تحت علوم القرآن، واندرج تحتها موضوع رسالتي هذه: (التناسق الموضوعي)، ومن أهميته:

أولاً: كونه من علوم القرآن الكريم؛ والبحث والتأمل والدراسة في علوم القرآن، علم لا يُنهيه مرور الأيام، ولاكثرة البحوث، فهو كبحر لاشاطئ له، وشمس لا نستطيع إدراك مقدار النور التي تنشره.

فأيُّ عِلم أو موضوع في مجال سوى القرآن الكريم، قد يُكتفى فيه ببحث أو مجموعة محصورة من البحوث، أما القرآن الكريم فلو تناول الآية جميع علماء عصر بالبحث والدراسة، لقلنا لعلماء العصر التالي ابحثوا فهذا العلم لايَنفذ ولا يُكتفى منه، قال تعالى: {سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ }[1]، وقد صُنِّف من الكتب والرسائل التي لا تحصى في مسائل من علوم القرآن كمشكله وغريبه ومجازه ومعانيه وشواهده وأسلوب نظمه والمتشابه من آياته وأمثاله وحروفه وإعرابه وأسمائه وأعلامه وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله، إلى كثير في مثل ذلك مما حفيت فيه أقلام العلماء، بحيث لا يعلم إلا الله وحده كم يبلغ ما وضع لخدمة كتابه الكريم[2]، ومايزال هذا العلم مستمراً ماجرت الأقلام بالكتابه.

ثانياً: التناسق الموضوعي بيان لوجه عظيم من وجوه الإعجاز؛ فالقرآن الكريم رغم نزوله مفرقاً بحسب الوقائع في أكثر من عشرين عاما، إلا أنه: "محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب،

---

(١) سورة فصلت، آية:٥٣.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي (٢/ ٨٥).

قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سورهِ وآياته وجمله، يجري الإعجاز فيه من أوله لآخره، كأنه سبيكة واحدة، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، جاء آخره مساوقا لأوله، وبدا أوله مواتيا لآخره"[1].

ثالثاً: رغم عدم الاختلاف في كون القرآن الكريم وحدة متكاملة مترابطة، ولكل سورة ترابط خاص بين آياتها، إلا أنه قل الحديث في هذا الباب قديماً، ربما لفهمهم لكثير من معانيه وترابط سياقه بالسليقة، وربما خوف الخوض فيه لدقته؛ وحيث إنه قل فهم الناس الآن للقرآن الكريم، أصبحت الحاجة إلى هذا العلم أشد.

(١) الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر- الطبعة الخامسة ١٩٩٧م؛ ص: ١٨٤.

❖ أسباب اختيار الموضوع:

بقي الحديث عن التناسق الموضوعي لسور القرآن الكريم يتردد صداه بين علماء وأساتذة التفسير في أروقة وجنبات الجامعات الإسلامية، إلى أن وفّق الله قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى لتبني هذا المشروع العظيم، ويكون لها قصب السبق في ذلك، فطُرح هذا المشروع على طلبة الدراسات العليا في شعبة التفسير وعلوم القرآن، وكان ربحاً عظيماً لي المشاركة فيه، ومن أسباب اختياره:

أولاً: دافع شرعي: يتمثل فيما يتصل بالقرآن الكريم وتعلمه وتعليمه من أجر كبير وشرف عظيم؛ إذ أن أحق ما صُرفت إليه الأفهام، وبُذلت فيه الجهود ما كان لله فيه رضا، وأعظم ذلك ما تعلق بكتابه الكريم، فأرجو أن يكون نالني شيءٌ من هذا الشرف عبر هذا البحث المتواضع، وأن أسهم في هذا المجال ولو بقطرة في يمِّه العظيم.

ثانيا: دافع موضوعي ومنهجي: لتطابقه مع تخصصي وقلة ماكُتب في التناسق الموضوعي على وجه العموم، وماكُتب في سورة الجاثية على وجه الخصوص.

فرغم أن مكتبتنا الإسلامية ولله الحمد حافلة بكتب التفسير، لكنّ معظمها في التفسير التحليلي، الذي يقتصر غالباً على بيان معاني الآيات فقط، ولا يعني هذا أن علماء التفسير لم يتطرقوا للتناسب، فمنهم من أورده مع التفسير التحليلي، كأبي حيان[1] في البحر المحيط، والرازي[2] في التفسير الكبير، وابن عاشور[3] في التحرير والتنوير.

---

(١) أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النحوي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها سنة: ٧٤٥هـ. الزركلي،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، أيار – مايو ٢٠٠٢م (٧/ ١٥٢).

(٢) فخر الدين الرازيّ: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، قرشي النسب أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة: ٦٠٦ هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٣).

(٣) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا)، ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ، ثم الفتيا سنة ١٢٧٧هـ توفي سنة:١٢٨٤هـ بتونس.

ومنهم من خصص فتناول موضوع التناسب في القرآن الكريم، كأبي جعفر الغرناطي[١] في كتابه: (البرهان في تناسب سور القرآن)، والبقاعي[٢] في كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، والسيوطي[٣] في كتابه: (أسرار ترتيب القرآن) وهو القائل: "علم المناسبة علم شريف قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته"[٤].

وسور القرآن بصفة عامة، وسورة الجاثية بصفة خاصة فيها العديد من المواضيع التي قد لا ينتبه القارئ العادي إلى ترابطها، ونحن نرى الحفظة لكتاب الله يربطون بين الآيات بطرق لا تمُتُّ إلى المعنى بأي صلة، فلا بد من التنبيه لهذا الموضوع، فلو فهم القارئ كتاب الله وعلم ترابط آياته ما احتاج إلى طرق أخرى للربط، ولقوي علمه بكتاب الله وحفظه بإتقان وعِلم.

فكان فضل الله عليّ كبير بالمساهمة في هذا المشروع المبارك -بإذن الله-.

الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٣).

(١) ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن زبير بن عاصم الثقفي، الغرناطي، النحوي، الإمام الحافظ، العلامة، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس أفاد الناس في القراءات وعللها ومعرفة طرقها، وأحكم العربية وتصدر مدة وتخرج به الأصحاب، نظر في الرجال، وأخذ عنه الإمام أبو حيان النحوي توفي سنة: ٧٠٨هـ. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م (٤/ ١٨٣).

(٢) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الإمام الكبير برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران)، و (أسواق الأشواق)، و (الباحة في علمي الحساب والمساحة) و (أخبار الجلاد في فتح البلاد)، توفي سنة: ٨٨٥ هـ. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، دار المعرفة (١/ ١٩). الأعلام للزركلي (١/ ٥٦).

(٣) السيوطي: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الشافعي، المُسند المُحقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، حفظ كثيراً من المتون، وأخذ عن شيوخ كثيرين، عدّهم تلميذه الداودى فبلغ بهم واحداً وخمسين، كما عَدَّ مؤلفاته فبلغ بها ما يزيد على الخمسمائة مُؤلَّف، وشهرة مؤلفاته تُغنى عن ذكرها، فقد اشتهرت شرقاً وغرباً، ورُزِقت قبول الناس، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالاً، وغريباً، ومتناً، وسنداً، واستنباطاً للأحكام. لما بلغ الأربعين سنة تجرَّد للعبادة، توفي سنة: ٩١١هـ. الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة (١/ ١٨٠).

(٤) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (٣/ ٣٦٩).

❖ الدراسات السابقة:

بعد البحث لم أجد أيّ رسالة علمية في سورة الجاثية، وكان ما وقفت عليه:

أولًا: كتاب: البرهان في تناسب سور القرآن للإمام أبي جعفر، أحمد بن إبراهيم الثقفي، المتوفي سنة ٧٠٨هـ، وقد فصل في موضوع التناسب فتناول كل سورة من السور تحت عنوان مستقل، وكانت سورة الجاثية في صفحتين قيّمتين. وكتاب: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، المتوفي سنة: ٨٨٥هـ، وسورة الجاثية حوت ثمانٍ وخمسين صفحة منه. وكتاب: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي المتوفي سنة: ٩١١هـ، ولم يتناول سورة الجاثية على وجه الخصوص وإنما تحدث عن ترتيب آل حم.

ثانيًا: كتاب مطبوع بعنوان: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم بإعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، وبإشراف الدكتور مصطفى مسلم –كلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة– ١٤٣١هـ، وقد تناول هذا الكتاب تفسير سور القران الكريم سورةً سورة، تفسيراً موضوعياً مختصراً، وكان لسورة الجاثية نصيب منها في سبعة عشر صفحة، حيث اشتمل بحث السورة على تسميتها ومناسبتها للسورة قبلها، ثم محور السورة ومقاصدها، وقسمتها إلى سبعة مقاطع شُرحت شرحاً إجمالياً مختصرا، اختتم كل مقطع منها بهدايات وعبر مستنبطة، ثم خاتمة اشتملت على تلخيص النقاط التي تناولتها السورة الكريمة.

ثالثًا: بحث قيم للدكتور: رضا عبد المجيد، بعنوان: (تأملات في سورة الجاثية)[1]، وقد تناول في جزء منه موضوع الوحدة الموضوعية للسورة. وهو الكتاب الوحيد في حد علمي الذي تفرد بالكتابة في سورة الجاثية.

وبهذا فلا زالت السورة بحاجة إلى رسالة علمية متخصصة تتناولها بالتفسير وتُظهر روعة ما فيها من تناسق وترابط بين مواضيعها وآياتها.

(١) اطلعت على إحدى وثلاثين صفحة منه على الشبكة العنكبوتيه، وكم تمنيت الحصول عليه كاملاً، لكن لم أستطع.

❖ أهداف البحث:

إظهار التناسق الموضوعي في سورة الجاثية، وذلك من خلال:

- معرفة مناسبة سورة الجاثية لما قبلها (الدخان) ومابعدها (الأحقاف).
- ومن خلال بيان محور السورة الرئيسي، ومطالبها الفرعية ومقاصدها.
- ومن خلال بيان تناسب اسم السورة وفاتحتها وخاتمتها لموضوعاتها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها.
- ومن خلال دراسة الموضوعات الرئيسية التي تناولتها سورة الجاثية، وإبراز مدى تناسقها، ثم تفسيرها في ضوء تناسقها الموضوعي، من خلال البحث العلمي الموثق.

❖ منهج البحث:

- أولاً: المنهج الوصفي: وذلك من خلال دراسة المصطلحات الأساسية والمفردات المتعلقة بهذه الدراسة، والقيام بوصفها وصفًا شاملًا مفصلًا .
- ثانياً: المنهج التحليلي: وذلك من خلال تحليل الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، وبيان تناسقها الموضوعي، ومن ثم تفسيرها في ضوء هذا التناسق الرباني العظيم.

❖ خطوات البحث:

- اتبعت في رسالتي طريقة البحوث العلمية الأكاديمية المقررة لخطة مشروع التناسق الموضوعي في الجامعة، وقسمت السورة إلى أربع موضوعات رئيسية مُعنونة، وقمت ببيان التناسق بينها.
- قمت بتحديد مقصد السورة العام، وما اختصت به عن باقي السور.
- مغزى الرسالة بيان التناسق الموضوعي في السورة؛ لذلك جرى الإهتمام بموضوع التناسق في كامل البحث. أما الفصل الآخير: فقمت ببيان معاني الآيات آيةً آية، حيث لايُمكن الوصول للتناسق دون فهم الآي ومعرفة دلالاتها، وقد حرصت فيه على الإختصار ما أمكن، وبيان التناسب بين كل آية بما قبلها، مع ربطها بموضوعات السورة، والوحدة الموضوعية لها.
- قمت بكتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها إلى مواضعها من السور.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتب الحديث المعتمدة.
- حرصت على التزام الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائليها، وبذلت الجهد في نقل كل قول من كتاب قائله مباشرة –إن كان ممكناً– وإلا فمن مصادره المعتمدة، مع الإشارة لذلك.
- عند نقل كلام العلماء نصاً أضعه بين قوسين"..."، وإن لم يكن نصاً اكتفيت بالإحاله إلى مصدره في الهامش.
- رتبت أقوال أهل العلم عند ذكرها في متن البحث بحسب أقدمية قائليها، إلا إن احتجت لجمع الأقوال المترابطة مع بعضها.
- ربطت معلومة سبق التطرق إليها بسابقتها، أو العكس؛ عن طريق الإحالة إلى رقم الصفحة في الهامش.
- عزوت الآثار والأبيات الشعرية لمصادرها، وترجمتُ قائليها –ما أمكن–.
- ترجمت للأعلام في الحاشية، مع ذكر مصدر مصدر الترجمة بعدها.
- ذكرت بيانات المرجع كاملة عند ذكره أول مرة، ثم اكتفيت بشهرة المؤلف وشهرة الكتاب والجزء والصفحة.
- ذيلت البحث بفهارس عامة، ورتبتها ترتيباً أبجدياً، عدا الآيات القرآنية فبحسب ترتيب المصحف الشريف.

❖ هيكل البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وبابين وخاتمة .

المقدمة :

وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، وأهداف البحث، ومنهجه، وهيكله.

الباب الأول:

التناسق الموضوعي في سورة الجاثية مقدمات تعريفية

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحا.

الفصل الأول: أسماء السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول/ أسماء السورة الكريمة، وبيان أسباب التسمية.

المبحث الثاني/ ما ورد في فضل سورة الجاثية، أو بعض آياتها.

المبحث الثالث/ عدد آيات سورة الجاثية، واختلاف العلماء في ذلك.

المبحث الرابع/ تاريخ نزول سورة الجاثية.

المبحث الخامس/ تحرير المنسوخ في سورة الجاثية.

الفصل الثاني: المكي والمدني في السورة، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ووجه اختصاصها بما اختصت به

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ المكي والمدني في سورة الجاثية.

المبحث الثاني/ مناسبة سورة الجاثية لما قبلها، وما بعدها.

المبحث الثالث/ وجه اختصاص سورة الجاثية بما اختصت به من موضوعات.

الفصل الثالث: أسباب النزول الواردة في سورة الجاثية، ومقاصد السورة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول/ أسباب النزول الواردة في سورة الجاثية.

المبحث الثاني/ مقاصد سورة الجاثية.

الباب الثاني:

التناسق الموضوعي في سورة الجاثية دراسة تطبيقية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مناسبات سورة الجاثية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول/ مناسبة اسم سورة الجاثية لموضوعاتها.

المبحث الثاني/ مناسبة فاتحة سورة الجاثية لموضوعاتها.

المبحث الثالث/ مناسبة فاتحة سورة الجاثية لخاتمتها.

المبحث الرابع/ مناسبة خاتمة سورة الجاثية لموضوعاتها.

الفصل الثاني: موضوعات سورة الجاثية وتناسقها.

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول/ آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها، يشمل الآيات: (١-١٣)، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مصدر القران الكريم واثبات وحدانية الله.

المطلب الثاني: صفة المكذبين بآيات الله وجزاؤهم.

المطلب الثالث: التذكير بنعم الله تعالى على عباده.

المبحث الثاني/ وصايا للمؤمنين يشمل الآيات (١٤- ٢٢)، وفيه تمهيد وأربعة مطالب.

المطلب الأول: أمر المؤمنين بالتجاوز عن الكفار، وترك الجزاء على الله عز وجل.

المطلب الثاني: فضل الله على بني إسرائيل، واختلافهم من بعد العلم.

المطلب الثالث: المنة العُظمى على نبينا صلى الله عليه وسلم بهذه الشريعة، والأمر بإتباعها.

المطلب الرابع: الفرق بين المحسنين والمسيئين في المحيا والممات.

المبحث الثالث/ صفات أهل الضلال وشبهاتهم، والرد عليهم، ويشمل الآيات: (٢٣- ٢٦).

المبحث الرابع/ مشاهد من يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ، يشمل الآيات: (٢٧ - ٣٧)، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مشاهد من يوم القيامة.

المطلب الثاني: حال المؤمنين والكافرين يومئذ.

المطلب الثالث: الثناء على الله عز وجل (خاتمة السورة).

الفصل الثالث: تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

الخاتمة:

وتشتمل على نتائج الدراسة الكلية، وتوصيات الباحثة.

الفهارس العامة.

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

الباب الأول:

التمهيد:

التناسق الموضوعي: "مقدمات تعريفية"

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحا.

*،

الفصل الأول: اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها.

الفصل الثاني: مكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها، ووجه اختصاصها بما اختصت به.

الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ومقاصدها.

التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحا.

التناسق الموضوعي، والوحدة الموضوعية، والنظام: مصطلحات تدور حول مايُعرف بعلم: (المناسبات).

تعريف التناسق لغة:

النَّسَقُ من كل شَيء: ما كان على طَرِيقَةِ نِظام واحد، عام فِي الأشياء، وَقَدْ نَسَّقْتُه تَنْسِيقاً؛ ونَسَقَ الشَّيءَ يَنْسُقهُ نَسْقاً .

ونَسَّقه نظَّمه على السَّواء، وانْتَسَق وتَناسَق، وَالِاسْمُ النَّسَقُ، وَقَدِ انْتَسَقت هذه الأَشياء بعضُها إِلَى بَعْضٍ أَي تَنَسَّقَتْ. والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا.

و(النَّسَقُ) ما جاء من الكلام على نظامٍ واحد.

و(النَّسْقُ) بالتسكين مَصْدَرُ نَسَقَ الكلام، إِذا عَطَفَ بعضه على بعض وبَابُه نَصَرَ.

و(التَّنْسِيقُ) التَّنْظِيم[1].

ويقال: رأيت نسقا من الرجال والمتاع أي بعضها إلى جنب بعض.

والنَّسْق بالتَّسكِين: مصدر نسقت الكلام، إِذا عطفت بعضه على بعض.

ويُقال: نَسَقْتُ بين الشيئين وناسقت[2].

ومن المجاز: كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسقٍ ونظامٍ. وثغر نسقٌ. وقام القوم نسقاً. قال ريحان بن معقل: زارت بريح خزامى طلّةٍ أنفٍ ... جاءت بها الدّلو فالأشراط فالنّسق[3].

---

(١) الرازي، زيد الدين حنفي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م؛ ص: ٣٠٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ (١٠/ ٣٥٢).

(٣) أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م (٢ / ٢٦٦، ٢٦٧).

وتطرق لها المفسرون والعلماء بلفظ: التناسب أو المناسبات، فقال الإمام الزركشي[1]: والمناسبة في اللغة المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها[2].

ونسق الشَّيْء نسقاً نظمه، يُقَال: نسق الدّرّ ونسق كتبه. وَالْكَلَام عطف بعضه على بعض، و(أنسق) فلَان تكلم سجعاً، و(نسقه) نظمه.

و(انتسقت) الأشياء انتظم بعضها إِلَى بعض، يُقَال: نسقها فانتسقت.

و(تناسقت) الأشياء انتسقت، يقال: تناسق كلامه.

وحديث أنَّ النسق ما كان على نظام واحد من كل شيء. فيُقَال: جَاءَ الْقَوْم نسقاً، وزرعت الْأَشْجَار نسقاً، وَيُقَال: شعر نسق مستوي النبتة حسن التَّرْكِيب، ودر نسق مُنْتَظم، والمنسوق يُقَال: كَلَام نسق متلائم على نظام واحد [3].

والتناسق: مصدر تناسقَ، وهو: ترتيب العناصر في تأليف أدبيّ أو فنِّي، أو في تصميم معماريّ، وتناسُق الخطَّة: انسجام كلّ جزء منها مع بقيّة أجزائها بحيث لا يتعارض تنفيذ جانب منها مع تنفيذ بقيّة الجوانب، ولا تقوم بعضُ أجزائها عقبة في سبيل تحقيق بعض أهدافها[4].

---

(١) الزركشي، بَدْر الدِّينِ محمد بن عبد اللّه بن بهادر الزركشي، عالم بفقه الشافعية والأصول، أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن، وجهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد، وهو أيضا علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، كان رضى الخُلق، محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعا، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا، أو شئون الحياة، ولد بمصر وتوفي بها سنة: ٧٩٤هـ. الزركشي، بَدْر الدِّينِ محمد بن عبد اللّه بن بهادر الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م (١/ ٣- ٥). والأعلام للزركلي (٦/ ٦٠).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٥).

(٣) (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة (٢ / ٩١٨، ٩١٩).

(٤) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م (٣/ ٢٢٠٤).

إذا التناسق أو النَّسق في اللغة: ماكان على نظام واحد[١].

وفي الإصطلاح:

عرفه القاضي أبو بكر بن العربيّ[٢] بقوله: "ارتِباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلِمة الواحدة مُتَّسِقة المعاني مُنتظمة المباني"[٣].

فالتناسق ارتباط الكلام بعضه ببعض فلا يكون منقطعاً.

وقال البقاعي[٤] في نظم الدرر: "وعلم المناسبات علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب، علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[٥].

---

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (٥/ ٨١). والفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (٤/ ١٥٥٨). ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م؛ ص: ٨٦٥.

(٢) القاضى أبو بكر: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافرى، الأندلسى، الإشبيلى، الإمام، العلامة، المتبحر، أتقن مسائل الخلاف والكلام، وتبحَّر في التفسير، وبرع في الأدب والشعر، ألّف تصانيف كثيرة منها: أحكام القرآن، والمسالك في شرح موطأ مالك، والقواصم والعواصم، والمحصول في أُصول الفقه، والناسخ والمنسوخ، وتخليص التلخيص، والقانون في تفسير القرآن العزيز، وأنوار الفجر في تفسير القرآن، توفي سنة: ٥٤٣هـ. الذهبي، التفسير والمفسرون (٢/ ٣٣٠).

(٣) نقلاً من: البرهان، للزركشي (١/ ٣٦).

(٤) سبقت ترجمته، صفحة: ١٣.

(٥) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (١/ ٥).

وقال الأستاذ محمود عبد الرحيم الصافي[1]: التناسق المطلق الشامل الكامل هو الظاهرة التي لا يخطئها من يتدبر القرآن أبدا. وتتجلى ظاهرة عدم الاختلاف، ابتداء في التعبير القرآني من ناحية الأداء وطرائقه الفنية، ففي كلام البشر تبدو القمم والسفوح، التوفيق والتعثر، القوة والضعف، التحليق والهبوط، الرفرفة والثقلة، الإشراق والإنطفاء، إلى آخر الظواهر التي تتجلى معها سمات البشر، وأخصها سمة «التغير» والإختلاف المستمر من حال إلى حال يبدو ذلك في كلام البشر واضحا في أعمال الأديب الواحد أو المفكر الواحد أو الفنان الواحد، وعكس هذا وهو التناسق والترابط بين السور والآيات[2].

وعن الفرق بينه وبين النظام، نقل الدكتور عادل أبو العلا[3] عن الفراهي[4] قوله: "مرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاما واحدا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد منها، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة؛ فكذلك ربما تكون السورة معترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلاما واحدا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأول إلى الآخر، فتبين مما قدمنا أن النظام شئ زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء"[5].

وهناك من تحدث في مجال البلاغة عن ألوان ودرجات للتناسق:

- منها التنسيق في تأليف العبارات، بتخير الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص، يبلغ في

---

(١) الشيخ محمود بن عبد الرحيم صافي، مؤلف أول كتاب كامل مفصّل في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ويعرف باسم: (الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه)، طُبع الكتاب بعد وفاته، وكانت وفاته سنة ١٩٨٥م.

(٢) الصافي، محمود بن عبد الرحيم الصافي، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ (٥ / ١١١).

(٣) رئيس قسم الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز- جدة.

(٤) الشيخ عبد الحميد الفراهي: عبد الحميد عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين أبو أحمد عبد المحسن الأنصاري الفراهي، ولد في قرية (فريها) بالهند، وبدأ تعليمه منذ ترعرعه فحفظ القرآن، وبرع في الفارسية، وطلب العربية وعلومها، عين معلماً للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراشي (عاصمة السند آنذاك)، فدرس فيها سنين، وكتب وألف، وقرض وأنشد، ثم انقطع بعد ذلك إلى تدبر القرآن ودرسه، وجمع علومه، فقضى فيه أكثر عمره حتى توفي، كتب من مصنفات قاربت الخمسين عددا، أهمها وأعظمها ما كتبه حول القرآن المجيد، وتأويله، وما سماه (النظام) أو (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)؛ توفي سنة: ١٣٤٩هـ. أبو العلا، د.عادل محمد صالح أبو العلا، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان ١٤٣٤هـ-٢٠٠٤م؛ ص: ٧٠.

(٥) أبو العلا، مصابيح الدرر؛ ص: ٧٥.

الفصاحة أرقى درجاتها. وقد أكثروا من القول في هذا اللون، وبلغوا غاية مداه؛ بل تجاوزوا الصحيح منه، إلى التمحل الذي لا ضرورة له!

– ومنها الإيقاع الموسيقى الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص.

– ومنها النكت البلاغية التي تنبه لها الكثيرون، من التعقيبات المتفقة مع السياق، كأن تجيء الفاصلة: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}[1] بعد كلام يثبت القدرة، والفاصلة: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور}[2] بعد كلام في وادي العلم المستور[3].

تعريف الموضوع لغة وإصطلاحاً:

لغةً: الموضوع هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن.

وموضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطب؛ فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو؛ فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء[4].

وذكر أبو البقاء الحنفي[5] أن المَوْضُوع: عبارة عن المبحوث بالعلم عن أعراضه الذاتية[6].

والموضوع في مصطلح الحديث: كل متن مختلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم[7].

وقال الاستاذ مصطفى مسلم[1]: "الموضوع لغة: من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما،

---

(١) وردت في سبع مواضع، منها: سورة المائدة، آية: ١٢٠؛ وسورة هود، آية: ٤؛ وسورة الروم، آية: ٥٠.

(٢) وردت في ثلاث مواضع، وهي: سورة آل عمران، آية: ١١٩؛ وسورة المائدة، آية:٧؛ وسورة لقمان، آية: ٢٣.

(٣) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة (١ / ٨٨).

(٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م؛ ص: ٢٣٦.

(٥) أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، صاحب: الكليات، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد، وله كتب أخرى بالتركية توفي سنة:١٦٨٣م. الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨). ويوسف بن إليان بن موسى سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس – مصر ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م (١/ ٢٩٣).

(٦) أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة — بيروت؛ ص: ٨٦٨.

(٧) السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م؛ ص: ٤٣.

ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، يقال ناقة واضعة: إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وقيل: وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، وكذلك موضوعة يتعدى ولا يتعدى. وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به"[٢].

والمعنِيّ بلفظ (الموضوعي) في بحثي هذا: الموضوعات التي تشتمل عليها السورة الكريمة، وبيانها في الباب الثاني[٣].

تعريف التناسق الموضوعي: هو ارتباط مواضيع السورة وتلاؤمها وترابطها.

ولعلَّ أقرب التعاريف فيما سبق ذكره هو قول البقاعي في باب المناسبات: أنه علم تعرف منه علل الترتيب. وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب. وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب[٤].

فالتناسق الموضوعي يشمل المناسبات والنظام، ويضيف إليها محاولة تحديد موضوعات السورة والإجتهاد في تحديد التناسق بين هذه الموضوعات.

---

(١) أستاذ في التفسير وعلوم القرآن، بجامعة الأزهر.

(٢) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م؛ ص: ١٥.

(٣) صفحة: ١٥٥.

(٤) البقاعي، نظم الدرر (١/ ٥).

الفصل الأول:

أسماء السورة، وفضلها، وعدد آياتها

وتاريخ نزولها

وفيه خمسة مباحث:

*،

المبحث الأول/ أسماء السورة الكريمة، وأسباب التسمية.

المبحث الثاني/ ما ورد في فضل سورة الجاثية أو بعض آياتها.

المبحث الثالث/ عدد آيات سورة الجاثية واختلاف العلماء في ذلك.

المبحث الرابع/ تاريخ نزول سورة الجاثية.

المبحث الخامس/ تحرير المنسوخ في سورة الجاثية.

المبحث الأول:

أسماء السورة الكريمة، وأسباب التسمية.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

*،

المطلب الأول: تعريف السورة لغة وإصطلاحاً.

المطلب الثاني: مصدر أسماء السور.

المطلب الثالث: الأسماء التي وردت لسورة الجاثية وأسباب التسمية.

التمهيد:

من حكمة الله عز وجل أن جعل كتابه الكريم مقسماً إلى سور يسهل حفظها ودراستها وتعلمها وتعليمها، وكل سورة مهما بلغ قصرها فهي بحد ذاتها معجزة، بدليل تحدي الله لكفار قريش عن الاتيان بسورة، قال تعالى: وَإِن{ كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ }[1]، وقال تبارك وتعالى:{ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ}[2]، فعجز عن الإتيان بمثلها رؤوس الفصاحة والبلاغة وكبرائها، بل عجزوا حتى عن الإتيان بآية واحدة.

قال الزركشي: "فإن قيل: ما الحكمة في تقطيع القرآن سورا؟ قلت: هي الحكمة في تقطيع السور آياتٍ معدوداتٍ لكل آيةٍ حدٌّ ومطلع حتّى تكون كل سورة بل كل آية فنًّا مستقلًّا وقرآناً معتبرًا، وفي تسوير السّورة تحقيقٌ لكون السّورة بمجردها معجزة وآية من آيات اللّه تعالى وسوّرت السّور طوالًا وقصارًا وأوساطًا تنبيهًا على أنّ الطول ليس من شرط الإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آياتٍ وهي معجزةٌ إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمةٌ في التّعليم وتدريج الأطفال من السّور القصار إلى ما فوقها تيسيرًا من اللّه على عباده لحفظ كتابه فترى الطّفل يفرح بإتمام السّورة فرح من حصل على حدٍّ معتبرٍ، وكذلك المطيل في التّلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى، إلى أنّ كل سورة نمط مستقل فسورة يوسف تترجم عن قصّته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم وغير ذلك"[3].

ونقل عن الزمخشري[4] أنه قال في فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة: "إن الجنس إذا

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢٣.

(٢) سورة يونس، آية: ٣٨.

(٣) الزركشي، البرهان (١/ ٢٦٥). السيوطي، الإتقان (١/ ٢٢٨).

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى، الإمام الحنفي، كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، عظم صيته وطار ذكره حتى صار إمام عصره، صاحب التصانيف البديعة في شتَّى العلوم، منها: الكشاف في التفسير، والمحاجاة في

انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحدا ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخره كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للمسير ومن ثمة جزئ القرآن أجزاءً وأخماسًا ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة فيعظم عنده ما حفظه، ومنه حديث أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا. ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل، ومنها أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال والنظائر، وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم، إلى غير ذلك من الفوائد"[1].

المسائل النحوية، والمفرد والمركب في العربية، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، توفي سنة: ٥٣٨هـ. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي الإربلي، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٢١). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، طبعة ١٩٩٤م (٥/ ١٧٠). الذهبي، التفسير والمفسرون (١/ ٣٠٤).

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ (١/ ٩٨). ونقله أيضاً الزركشي في البرهان (١/ ٢٦٥).

المطلب الأول:

تعريف السورة لغة وإصطلاحاً

لغة: المنزلة الرفيعة أو العلامة، والجمع سُوَرٌ وسُوْرٌ، والسُّورَةُ من البِناء: ما حَسُن وطال.

وأنشد النّابغة[1]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعطاكَ سُورَةً، ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ[2]

فمَعْنَاهُ: أعطاك رفعةً وشرفاً ومنزلةً، وجمعها سُوْرٌ أي رِفَعٌ. قال: وأما سورة القرآن فإنّ اللّه، جلّ ثناؤه، جعلها سورا مثل غرفة وغرف ورتبة ورتب وزلفة وزلف، فدلّ على أنه لم يجعلها من سُور البناء لأنها لو كانت من سُور البناء لقال: فأتوا بعشر سُوْرٍ مثله، ولم يقل: بعشر سُوَرٍ، والقرّاء مجتمعون على سُوَرٍ، وكذلك اجتمعوا على قراءة سُوْرٍ في قوله: {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ }[3]، وَلم يقرأْ أَحد: بِسُوَرٍ، فدلّ ذلك على تميّز سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ القُرآنِ عن سُورَةٍ من سُوْرِ البِناء، وقال جماعة من أهل اللّغة السُّورة من القرآن معناها الرّفعة، لإجلال القرآن[4].

وتُجمع سُورات وسُوَر، وأسماء السُّوَر كلّها مؤنَّثة[5].

وفي الاصطلاح: طائفة من الآيات القرآنية لها بدء ونهاية[6].

أو يمكن أن يُقال: أنها "قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم

---

(١) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب، من بني غطفان، يكنى: أبا أمامة وأبا ثمامة، له مكانة كبيرة في عالم الشعر، وامتدح شعره عمر بن الخطاب رضي الله عنه. توفي نحو ٦٠٤م. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ (١/ ١٥٧). الأعلام للزركلي(٣/٥٤).

(٢) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م. (ص: ٢٥).

(٣) سورة الحديد، آية: ١٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب (٤/ ٣٨٦).

(٥) أحمد مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، مادة: (س و ر) ٢٦٦٩؛ (٢/ ١١٣٣).

(٦) محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن الكتاب، دار المنار، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م؛ ص: ٥٦.

مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر، في غرض تام ترتكز عليه معاني آياتها، ناشيء عن أسباب النزول أو مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة"[1].

(١) أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، ص: ٢٤.

المطلب الثاني:

مصدر أسماء السور

قال السيوطي: وقد ثبت جميع أسماء السُّورِ بِالتَّوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبيَّنت ذلك(١).

فأسماء السور توقيفية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى أحمد أنّ ابن عبّاس قال: قلت لعثمان بن عفّان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا – قال ابن جعفر: بينهما – سطرا: بسم اللّه الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان ممّا يأتي عليه الزّمان ينزل عليه من السّور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشّيء يدعو بعض من يكتب عنده، يقول: «ضعوا هذا في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا» وينزل عليه الآيات فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا» وينزل عليه الآية، فيقول: ضعوا هذه الآية في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا " وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصّتها شبيهة بقصّتها، فقبض رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ولم يبيّن لنا أنّها منها، وظننت أنّها منها، فمن ثمّ قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطرا: بسم اللّه الرحمن الرحيم، قال ابن جعفر: ووضعتها في السّبع الطّوال(٢).

---

(١) السيوطي، الإتقان (١/ ١٨٦).

(٢) رواه الإمام أحمد ابن حنبل، برقم: ٣٩٩و ٤٩٩ ، (١/ ٤٦٠). أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. وأبي داود برقم: ٧٨٦ (١/ ٢٠٨). والترمذي برقم: ٣٠٨٦ (٥/ ١٢٣) وقال عنه: (هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس، غير حديث، ويقال هو: يزيد بن هرمز، ويزيد الرقاشي هو: يزيد بن أبان الرقاشي ولم يدرك ابن عباس إنما روى عن أنس بن مالك، وكلاهما من أهل البصرة، ويزيد الفارسي أقدم من يزيد الرقاشي). والنسائي، عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، حديث رقم: ٧٩٥٣؛ (٧/ ٢٥٣).

وفي صحيح مسلم عن أبي الدّرداء، أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدجّال»[1].

"وقد أخذ بعض اسماء السور من مطالعها كالأنفال، والإسراء، وطه، والمؤمنون، والفرقان، والروم، وفاطر، ونون، وق، والمرسلات وغيرها، وهي تسع وسبعون سورة، والباقي بأسماء ما ذكر ضمنها كالبقرة، فإنها ذكرت بعد ٦٥ آية، وآل عمران بعد ٣٢، والنساء، وكذلك الجاثية والأحقاف والتغابن وغيرها من المائدة والأحزاب وسبأ وهكذا، وهي خمس وثلاثون سورة وكان نزول القرآن بحسب الحوادث"[2].

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار العربي – بيروت، حديث رقم: ٢٥٧؛ (١/ ٥٥٥).

(٢) آل غازي، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، بيان المعاني، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ – ١٩٦٥م (١/ ٢٥).

المطلب الثالث:

الأسماء التي وردت للسورة الكريمة، وأسباب التسمية

قيل أن للسورة اسمين وقيل ثلاثة، فقال الزركشي في البرهان: أنه قد يكون للسورة اسم وهو كثير وقد يكون لها اسمان كسورة الجَاثِيَةِ وتُسمَّى الشَّريعة، وقد يكون لها ثلاثة أسماء، وقد يكون لها أكثر من ذلك[1].

وذكر السيوطي نقلاً عن الكرماني[2] في العجائب أن لسورة الجاثية ثلاثة أسماء[3].

فسأتطرق لجميع الأسماء الثلاث مع أسباب تسميتها:

أولاً: مادُوِّن في المصاحف التي بين أيدينا وهو تسمية السورة: بـ (الجاثية):

قال الإمام ابن عاشور: سمّيت هذه السّورة في كثير من المصاحف العتيقة بتونس وكتب التّفسير وفي صحيح البخاري[4]: (سورة الجاثية) معرّفا باللّام. وهي تسمّى (حم الجاثية) لوقوع لفظ جاثية فيها ولم يقع في موضع آخر من القرآن، واقتران لفظ الجاثية بلام التّعريف في اسم

---

(١) الزركشي، البرهان (١/ ٢٦٩).

(٢) الكرماني: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، عالم بالقرآات. كان عجبا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، ونقل في التفسير آراء مستنكرة، في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها. أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه، ومنها: لباب التفاسير؛ وهو المعروف بكتاب (العجائب والغرائب) في مجلدين، ضمنه أقوالا في معاني بعض الآيات، قال السيوطي (في الإتقان) : (لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها) توفي سنة: ٥٠٥هـ . الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م (٦/ ٢٦٨٦). الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية - بيروت (٢/ ٣١٢). الأعلام للزركلي (٧/ ١٦٨).

(٣) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة (٢ /١٠٨٣). السيوطي، الإتقان (١/ ١٩٤).

(٤) قال البخاري: (سورة حم الجاثِية). البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ باب: {وما يهلكنا إلا الدهر} الآية، حديث رقم: ٤٨٢٦؛ (٦ / ١٣٣).

السّورة مع أنّ اللّفظ المذكور فيها خليّ عن لام التّعريف لقصد تحسين الإضافة، والتّقدير: سورة هذه الكلمة، أي السّورة الّتي تذكر فيها هذه الكلمة، وليس لهذا التّعريف فائدة غير هذه. وذلك تسمية حم غافر، وحم الزّخرف(١).

ومعنى جاثية: أي باركة على الركب، وَتلك جلْسَة المخاصم والمجادل(٢).

وفي المعجم الوسيط: "جَثْواً وَجُثُواً جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه فهو جاث"(٣).

وعند البحث نرى أن هذا اللفظ ورد في ثلاث مواضع فقط من كتاب الله:

- في الجاثية وقد سُميت به.

- وفي موضعين من سورة مريم، هما: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا } و{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} (٤).

ومن حيث تشابه المقصود منها: فهناك من قال: إن المقصود في سورة مريم جماعات، والمقصود في سورة الجاثية هو القعود على الركب، منهم أبو البقاء الحنفي(٥): حيث قال: "كل مَا فِي القُرآن جثيا فمعناه جمِيعًا، إِلَّا {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً } فَإِن مَعْنَاهُ تجثو على ركبهَا"(٦).

ومنهم من قال انها بنفس المعنى وهو القعود، كالطبري(٧) حيث قال: قال ابن عباس عن

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بالتحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤هـ (٢٥ / ٣٢٣).

(٢) أبو البقاء الكفوي، الكليات؛ ص: ٣٥٧.

(٣) المعجم الوسيط (١/ ١٠٧).

(٤) الآيتان: ٦٨ ، ٧٢ من السورة الكريمة.

(٥) أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد، سنة: ١٠٩٤هـ. الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨).

(٦) أبو البقاء الكفوي، الكليات؛ ص: ٣٣٠.

(٧) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الطبرى، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، المشهورة، اعتُبِر ا أباً للتفسير وللتاريخ الإسلامى، رأس المفسرين على الإطلاق، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وصنّف التصانيف الكبار؛ منها: تفسير القرآن الذى لم ير أكبر منه ولا أكثر فوائد، وكتاب التاريخ، وهو أجل كتاب فى بابه توفي سنة: ٣١٠ هـ.. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة،

قوله: {ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا } يعني: القعود، وهو مثل قوله: وَتَرَىٰ{ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً }.

وكلا القولين وارد، قال البغوي[1]: "قيل في جهنم جثيا، قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان"[2].

ويؤيده قول أبي عبيد: أن لفظ (الجثي) له معنيان أحدهما أنه ممن يجثو على الركب فيها، والآخر أنه من جماعات أهل جهنم، قال الله تعالى: {ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا}[3].

وقال السمرقندي[4] في تفسير سورة مريم: "جِثِيًّا يعني: جميعاً"[5].

ولعل القول بأن المقصود بأن "جثيا" في سورة مريم جميعاً، وأن سورة الجاثية اختصت بمعنى القعود أقوى ولذلك سميت السورة به –والله أعلم–.

قال الشيخ الصابوني[6]: "سميت السورة الكريمة (سورة الجاثية)؛ لأن الله تعالى ذكر فيها

المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ (٣/ ٨٩). بغداد. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ؛ ص: ٩٥. الذهبي، التفسير والمفسرون (١/ ١٤٨).

(١) أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفرَّاء البغوي، الفقيه، الشافعي، المحدِّث، المفسِّر، الملقَّب بمحيي السُّنَّة وركن الدين. تفقه البغوي على القاضي حسين وسمع الحديث منه، وكان تقياً ورعاً زاهداً قانعاً، توفي رحمه الله في شوَّال سنة ٥١٦ هـ، بـ "مرورز" وقد جاوز الثمانين، ودُفِن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقاني. السيوطي، طبقات المفسرين (ص: ٥٠). الذهبي، التفسير والمفسرون (١/ ١٦٨).

(٢) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ (٣/ ٢٤٢).

(٣) ابن منظور، لسان العرب (١٤/ ١٣٢).

(٤) أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السَّمَرْقَنْدي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى: علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها: "عمدة العقائد" و "بستان العارفين" و " تنبيه الغافلين"، توفي سنة: ٣٧٣هـ – ٩٨٣م. الأدنه وي، أحمد بن محمد الأدنه وي، طبقات المفسرين، تحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م (ص: ٩١). الأعلام للزركلي (٨/ ٢٧).

(٥) السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث، بحر العلوم، دار الكتب العلمية (٢/ ٣٨٢).

(٦) الشيخ: محمد علي الصابوني، ولد سنة ١٩٣٠م بسوريا، له عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، وأكثرها مختصرات،

أحوال الناس يوم القيامة، وما يكونون عليه من الفزع، فيجثون على الركب من شدة مايصيبهم من الذهول والدهشة، شأن الخائف الذليل"[1].

وورد في الحديث: عن ابن عمر رضي اللّه عنهما، قال: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشّفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود"[2].

روى ابن أبي شيبة بسنده أن عمر، قال لكعب: يا كعب خوفنا، قال: نعم، يجمع الله الخلائق في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويجاء بجهنم، فلها يومئذ ثلاث زفرات، فأول زفرة لا تبقى دمعة في عين إلا سالت حتى ينسكب الدم، وأما الثانية فلا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ينادي رب نفسي نفسي حتى خليله إبراهيم، وأما الثالثة فلو كان لك يا عمر عمل سبعين نبيا لأشفقت حتى تعلم من أي الفريقين تكون"[3].

ثانياً: تُسَمَّى (سورة الشريعة) [4]. أو (سورة شَرِيعَةٍ)، قال الإمام ابن عاشور أيضاً: "لوقوع

فمنها: مختصر تفسير ابن كثير، ومختصر تفسير الطبري، والتبيان في علوم القرآن، وصفوة التفاسير. محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

(١) الصابوني، محمد علي، إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م؛ ص١٨٥.

(٢) صحيح البخاري، باب قوله: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة} سورة الإسراء، آية: ٥٧، حديث رقم: ٤٧١٨؛ (٦/ ٨٦).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: ٣٤١٦٢؛ (٧/ ٥٤). وروى ابن كثير عن كعب الأحبار أيضاً أثراً طويلاً مشابهاً له، ولم أقف على تخريجه. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. (٢٠/ ١٨٣)

(٤) قال الحاكم في المستدرك: (تفسير سورة حم الجاثية وعند أهل الحرمين حم الشريعة). الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م (٢/ ٤٩٠). ونقل السيوطي أيضاً هذه التسمية. عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت (٧/ ٤٢٢). وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٤/ ٩٦).

والخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ (٤ / ١٢٢).

لفظ شريعة فيها ولم يقع في موضع آخر من القرآن"[1].

وهي لم ترد بهذا اللفظ في غير هذا الموضع من القرآن الكريم، ولكن وردت بلفظ مقارب له وهو: (شِرْعَة) في سورة المائدة: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }[2].

وإن كان المعنى نفسه، قال الطبري: "والشرعة هي الشريعة بعينها، تجمع الشرعة: شِرَعًا، والشريعة شرائع. ولو جمعت الشرعة شرائع، كان صوابًا، لأن معناها ومعنى "الشريعة" واحد، فيردّها عند الجمع إلى لفظ نظيرها. وكل ما شرعت فيه من شيء فهو (شريعة). ومن ذلك قيل: لشريعة الماء: شريعة، لأنه يُشْرع منها إلى الماء. ومنه سميت شرائع الإسلام (شرائع)، لشروع أهله فيه. ومنه قيل للقوم إذا تساووا في الشيء: (هم شَرَع)، سواء"[3].

و"الشَّريعةُ من الدِّين: ما شرعه الله لعباده"[4].

وقال بعضهم: الشِّرعة تكون في الدّين. والمنهاج: الطَّريق.

وقيل الشِّرعة والمنهاج جميعًا: الطَّريق. والطَّريق هاهنا: الدِّين، فلا فرق.

وقال محمد بن يزيد: شِرعةً معناها ابتداء الطَّريق. والمنهاج: الطَّريق المستمر.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٢٣).

(٢) سورة المائدة، آية ٤٨ .

(٣) الطبري، جامع البيان (١٠/ ٣٨٤).

(٤) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (١/ ٤٣٢).

وقال الفرّاء في قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }[1]، قال: "على دين وملة ومنهاج، وكل ذلك يقال"[2].

وعلى شريعة: أي على مثال ومذهب، ومنه يقال شرع فلان في كذا وكذا، أي أخذ فيه. ومنه مشارع الماء، وهي الفرض التي تشرع فيها الواردة[3].

والشريعة: مورد الماء. ففي معاجم اللغة: ش ر ع: الشريعة مشرعة الماء وهي مورد الشاربة. وهي ما شرع الله لعباده من الدين[4]. والشريعة والشراع والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها، قال الليث: وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره[5].

وفي قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ } إشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤت مجرد آيات، وبينات من الدين، وإنما أوتى الدّين كلّه، وأنه قد جعل القائم على شريعة هذا الدين، حيث يرد الواردون إليه، فيجدون الرّى من هذا المورد، ويحمل كل وارد ما استطاع حمله منه.

وفي تشبيه الشريعة الإسلامية بمورد الماء، إشارة إلى أمور:

أولها: أن القرآن الكريم، الذي هو مصدر هذه الشريعة، هو شيء واحد، أشبه بالماء، طبيعة واحدة، لا يختلف بعض عن بعض من حيث هو ماء يرده الواردون للسقيا منه، وكذلك آيات الله وكلماته، كلها على سواء في جلالها وإعجازها وما فيها للأرواح من حياة.

---

(١) سورة الجَاثِيَة: آية ١٨.

(٢) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى (٣/ ٤٦).

(٣) نقله الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م (١/ ٢٧٠).

(٤) الرازي، مختار الصحاح؛ ص: ١٦٣. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب: بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، لمجموعة من المحققين، دار الهداية (١/ ٦٣).

(٥) لسان العرب (٨/ ١٧٥).

وثانيها: أن إعجاز القرآن، يبدو في كل آية من آياته، كما يبدو في القرآن كله، كالماء تكشف القطرة منه عن جوهره كله.

وثالثها: أن ما أوتيه الرسل من المعجزات، هو بينات من الدين الذي يدعون إليه، وليس بيّنة واحدة، إذ كانت كل معجزة تختلف عن أختها في صورتها، وفي آثارها في الناس، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى عن الآيات التي جاء بها موسى إلى فرعون وملائه: {وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[1]، أما ما أوتيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بيّنة واحدة، وآية واحدة[2]، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ }[3] وكما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[4].

رابعاً: أن الماء مصدر حياة الإنسان والحيوان والنبات، والدين الإسلامي مصدر حياة النفوس وصلاحها وتقدمها وسلامتها في الدنيا والآخرة؛ فالشريعة الإسلامية مصدر كل الخير والرخاء والسعادة في العاجل والآجل، في المعاش والمعاد، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }[5][6].

---

(١) سورة الزخرف، آية ٤٨.

(٢) عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة (١٣/ ٢٣٩).

(٣) سورة البينة، الآيات ١-٣.

(٤) صحيح البخاري، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث رقم: ٤٩٨١؛ (٦/ ١٨٢). الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٣٨- ٢٣٩).

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٦) الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م؛ ص: ١٤.

ثالثاً: تسمى سورة الدهر، قال الإمام ابن عاشور: لوقوع {وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ }[1] فيها، ولم يقع لفظ الدهر في ذوات حم الأُخر[2].

وقال الألوسي[3] في تفسيره: (وتسمى سورة الشريعة وسورة الدهر كما حكاه الكرماني في العجائب[4] لذكرهما فيها) [5].

قَالَ اللَّيث: الدَّهر: الأبد المحدود، ورجل دُهريٌّ: أي قديم، ورجل دهريّ: أي يَقُول بِبَقَاء الدَّهر، ولا يُؤمن بِالآخرة[6].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "قال الله عزّ وجل: (يؤذيني ابن آدم يسبّ الدّهر وأنا الدّهر، بيدي الأمر أقلّب اللّيل والنّهار)"[7].

وقد ورد لفظ الدهر في القرآن مرتين فقط، في هذه السورة، وفي سورة الإنسان: {هَلۡ أَتَىٰ

---

(١) آية: ٢٤، من سورة الجاثية.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٢٣). الحواميم: (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف)، ولم يرد لفظ (الدهر) إلا في سورتي الجاثية والإنسان.

(٣) الألُوسي الكبير: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، مولده ووفاته في بغداد. جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علاَّمة في المنقول والمعقول، فهَّامة في الفروع والأصول، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل، فانقطع للعلم. من كتبه (روح المعاني)، و (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول)، و (نشوة المدام في العود إلى دار السلام)، ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد، توفي سنة: ١٢٧٠هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦). الذهبي، التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٠).

(٤) الكرماني، غرائب التفسير (٢ /١٠٨٣).

(٥) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ (١٣ / ١٣٦). السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م (٣/ ١٩٩).

(٦) الأزهري، تهذيب اللغة (٦/ ١٠٩).

(٧) رواه الشيخان في صحيحيهما: البخاري باب: {وما يهلكنا إلا الدهر} الآية، حديث رقم: ٤٨٢٦؛ (٦/ ١٣٣). مسلم باب: النهي عن سب الدهر، حديث رقم: ٢٢٤٦؛ (٤/ ١٧٦٢).

عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا }[1].

وسورة الإنسان أيضاً تُسمى سورة الدهر، فمن أسمائها: الدهر، والأمشاج، وهل أتى[2]، والأبرار[3]. واطلق عليها ابن قتيبه في تفسيره: سورة الدهر[4].وكذلك ابن العربي في أحكامه[5].

واقتصر السيوطي في الإتقان على تسميتها بسورة الإنسان عند ذكر السور المكية والمدنية، ولم يذكرها في عداد السور التي لها أكثر من اسم[6].

وقد بحثت عن مسألة كون السورتين تحملا نفس الاسم، وأيهما أقوى في التسمية ولم أقف على شي، إلا أني وجدت تسمية الإنسان به أكثر وروداً في كتب العلماء.

---

(١) سورة الإنسان، آية: ١.

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ (٩/ ٣٧٣). النيسابوري، أحمد بن الحسين بن مِهْران، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق ١٩٨١م؛ ص: ٤٥٤.

(٣) الألوسي، روح المعاني (١٥/ ١٦٦).

(٤) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م؛ ص: ٥٠٢.

(٥) ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م (٤/ ٣٥٢).

(٦) السيوطي، الإتقان (١/ ٥١). ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٦٩).

المبحث الثاني

ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

*،’

المطلب الأول: ماورد في فضل آل حم.

المطلب الثاني: ماورد في فضل السورة.

المطلب الثالث: ماورد في فضل بعض أجزاء السورة.

التمهيد:

وصف الله القرآن بقوله سبحانه: {وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[1]، وآيات القرآن الكريم في غاية الدقة والإحكام، والوضوح والبيان، أَحكَمها حكيم، وفصَّلها خبير، وسيظل هذا الكتاب معجزًا من الناحية البلاغية والتشريعية والعلمية والتاريخية وغيرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لم يتطرق إليه أدنى شيء من التحريف؛ تحقيقا لقوله تعالى: إِنَّا{ نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ }[2].

والحديث عن القرآن الكريم لا يَنْضَب معينه، والعيش مع القرآن الكريم: تلاوة وفهما، وعملا وحفظا، من أجلِّ الأعمال التي يتصف بها المؤمنون، قال تعالى: إِنَّ{ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ }[3]. امتدح الله التالِينَ لكتابه، تلاوة مصحوبة بالتدبر، الذي ينشأ عنه الإدراك والتأثر، ومما لا شك فيه أن التأثر يفضي بالقارئ إلى العمل بمقتضى قراءته؛ لذا أتبع الحق تبارك وتعالى القراءة بإقامة الصلاة، وبالإنفاق سرا وعلانية من فضل الله.

والقرآن الكريم هو المرجع الأول في أمور دِين المسلمين، وهو الحَكم الذي إليه يحتكمون، وفصل قضائه الذي إليه ينتهون، وامتدح الرسول صلى الله عليه وسلم المنشغلين بتعليمه وتعلمه، فعن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[4] قال أبو عبد الرحمن: (فذاك الذي أجلسني هذا المجلس -وكان يُقرئ القرآن- قال: وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه،

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩ .

(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٤) صحيح البخاري، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: ٥٠٢٧ (٦/ ١٩٢).

وذلك بأنه منه). وقوله: وذلك بأنه منه، يريد به أنه من صفاته[1].

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ؛ ص: ١٠١.

المطلب الأول:

ماورد في فضل آل حم

سورة الجاثية هي السورة السادسة من سور (آل حم) السبع.

وورد أنه كره بعض السلف، منهم محمد بن سيرين أن يُقال: "الحواميم" وإنما يقال: "آل حم"[(١)].

وقد وردت هذه التسمية عن عبد الله بن مسعود حيث قال: "تَعلَّمْت النظائر التي كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يَقرَؤهن اثنين اثنين في كل ركعة. فقام عبد الله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه، فقال: عشرون سورة من أول المفصل، على تأليف ابن مسعود، آخرهن الحواميم، حم الدخَان، وعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" [(٢)].

وماورد من الأحاديث في فضلها خاصة عن باقي سور القرآن الكريم روايات ضعيفة أو موضوعة أو موقوفة.

ومنها ماروي عن أنس مرفوعاً بلفظ: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الراءات مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي» [(٣)].

---

(١) ذكر هذا القول ابن كثير في تفسيره. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٧/ ١٢٦). والزركشي في البرهان (١/ ٢٤٨). ولم اقف على مرجع لقول ابن سيرين ذاته.

(٢) رواه البخاري عن عبدان، عن أبي حمزة، عن الأَعْمش، عن شقيق، عن عبد اللَّه رضي الله عنه. البخاري، صحيح البخاري، باب: تأليف القرآن، حديث رقم: ٤٩٩٦؛ (٦/ ١٨٦) . وعلق الشيخ مصطفى ديب البُغا (أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق) .على الحديث بقوله: "تأليف ابن مسعود ترتيبه لسور القرآن وهو يختلف عن الترتيب المشهور، والترتيب المشهور هو المجمع عليه. شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري، دار طوق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٦/ ١٨٦).

(٣) قال الألباني: هذا إسناد ضعيف جداً؛ خارجة -وهو ابن مصعب بن خارجة أبو الحجاج السرخسي- قال الحافظ: "متروك، وكان يدلس عن الكذابين، ويقال: إن ابن معين كذبه". قال الألباني: ومن فوقه مضعفون غير الحسن وهو البصري، ولكنه مدلس. الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (٧ / ٥١).

ومنها ماروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الْحَوَامِيمُ دِيبَاجُ الْقُرْآنِ»[1][2].

وأخرجه الحاكم[3] بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: ... فذكره موقوفاً عليه، وهذا هو الصواب [4]. وذكره الزركشي أيضاً في البرهان فقال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «آلُ حم دِيبَاجُ الْقُرْآنِ» [5].

وحديث: «الحواميم روضة من رياض الجنة»، رواه ابن مردويه[6] عن سمرة [7][8].

ومما ورد في فضل آل حم أيضاً : «من قرأ حم في ليلة الجمعة، أصبح مغفورًا لَه، وزُوِّج مِن

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: ٣٦٣٤؛ (٢ / ٤٧٤).

(٢) قال الألباني: موضوع . الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (١ / ٤١٢).

(٣) قال الحاكم حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا بشر بن موسى، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الحواميم ديباج القرآن». الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٧٤).

(٤) الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٨/ ٣٢).

(٥) الزركشي، البرهان (١/ ٢٤٨).

(٦) أحمد بن محمد بن موسى أبو العبَّاس المعروف بمردويه أخرج البخاري في الوضوء والحج والاعتصام عنه عن ابن المبارك، قال أبو حاتم الرازي هو صدوق وقال أبو أحمد بن عدي أحمد بن محمد يروي عن عبد الله عَن معمر لَا يعرف. وهو خراساني ثقة ثبت مات بطرسوس وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد عن بن المبارك في الوضوء والأضاحي وغيرهما هو أحمد بن محمد بن موسى أبو العباس مرْدَوَيْه -وَالله أعلم-. الأندلسي، أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ (١/ ٣١٩). والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م (٣/ ١٦٩).

(٧) سمرة بن جندب رضي الله عنه. المناوي، الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (١/ ٥٠٩).

(٨) الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم:٢٨٠١؛ (١ / ٤١٢). وقال الألباني: إسناده ضعيف جداً؛ أبان هو ابن أبي عياش، وهو متروك، ومجاعة بن الزبير؛ فيه ضعف. الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٨/ ٣٢).

الحور العِين»[1].

وأيضاً مارواه البيهقي عن الخليل بن مرة[2]، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني» [3].

وحديث: «إن الله تعالى أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي» [4].

ومنها ماروي عن عبد الله بن عمرو: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أقرئني، قال: «أقرئك من ذوات الحواميم» ..[5].

---

(١) رواه الدارمي وقال: وقال: إسناده صحيح إلى أبي رافع نفيع بن رافع وهو موقوف عليه. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، التميمي السمرقندي، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م (٤ / ٢١٥٢).

(٢) هو الخليل بن مرة الضبعي البضري الرقي، المتوفي سنة ١٦٠. قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: ليس بمتروك. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، المغني في الضعفاء، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، دار إحياء التراث- قطر (١/٢١٤).

(٣) قال الألباني: ضعيف. الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم: ٢٨٠٢ (١ / ٤١٢). وذكر البيهقي الحديث كاملاً بسنده، فقال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأ إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا سعدان بن نصر، ثنا معمر، عن الخليل بن مرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ تبارك وحم السجدة، وقال: «الحواميم سبع، وأبواب جهنم سبع: جهنم، والحطمة، ولظى، وسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم، قال: تجيء كل حم منها يوم القيامة، أحسبه قال: تقف على باب من هذه الأبواب فتقول: اللهم لا يدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني» ثم قال: هذا منقطع، والخليل بن مرة فيه نظر. البيهقي، الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، البعث والنشور، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (١ / ٢٦٨).

(٤) قال اللألباني: منكر جداً. أخرجه ابن نصر في " قيام الليل الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: ١٥٥٦ (١ / ٢٢٤). ومن رواته من هو منكر الحديث. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، التاريخ الأوسط، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٩٧ - ١٩٧٧م، رقم: ٢٣٣٦ (٢/ ٢١١).

(٥) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير ، تحقيق: حمدي بن

وروي عن مجاهد، قال: قال عبد الله: "{حم} ديباج القرآن". وله أيضا: «كل الحواميم يسمين العرائس»[1].

ومنها ماروي عن سعد بن إبراهيم، قال: «كن الحواميم يسمين العرائس»[2].

عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، ودار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م. حديث رقم: ١٥٨؛ (١٣ / ٦٤)، وحديث رقم: (١٤٧٤١) ص: ١٢٢. من طريق المصنف به، ومن طريق أبي بكر أحمد بن جعفر القطيعي، عن بشر بن موسى به. الشجري، يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني ، وترتيب: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م ، حديث رقم: ١٧٢٩ (٢/ ٩٨). ورواه الإمام أحمد في مسنده، بلفظ: (فاقرأ مِنْ ذَاتِ حم). مسند أحمد، حديث رقم: ٦٥٧٥ (١١/ ١٣٩).

(١) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، حديث رقم٣٠٢٨٣ و٣٠٢٨٤؛ (٦ / ١٥٣).

(٢) إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه. سنن الدارمي، تعليق المحقق: حسين سليم أسد الداراني (٤ / ٢١٥٢).

المطلب الثاني:

ما ورد في فضل سورة الجاثية خاصة

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "ذكر فضائل السّور وثواب من قرأ سورة كذا فله أجر كذا" من أول القرآن إلى آخره كما ذكر ذلك الثّعلبي[1] والواحدي[2] في أول كل سورة والزّمخشريّ

---

(١) الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري ، يقال له "الثعلبي" و "الثعالبي"، وهو لقب له وليس بنسب، صاحب التفسير المشهور، والعرائس في قصص الأنبياء، كان عالماً بارعا في العربية، حافظاً موثقا، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، ولكن هناك مِنَ العلماء مَنْ يرى أنه لا يوثق به، ولا يصح نقله، أخذ عنه الواحدي، توفي سنة ٤٢٧هـ. السيوطي، طبقات المفسرين العشرين؛ ص: ٢٨. الذهبي، التفسير والمفسرون (١/ ١٦٣).

قال الثعلبي في أول سورة الجاثية: أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر العدل، حدثنا إبراهيم بن شريك بن الفضل، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا سلام بن سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب». الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م (٨/ ٣٥٨).

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب (التفسير) ، وإمام علماء التأويل، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي والإعراب عن الإعراب وشرح الأسماء الحسنى وغيرها، وكان طويل الباع في العربية، توفي سنة ٤٦٨هـ. سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩). وطبقات المفسرين، للسيوطي؛ ص: ٧٨.

وقال الواحدي في تفسيره: أخبرنا أبو سعد محمد بن علي العزيمي، أنا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم المدايني، نا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن قرأ سورة حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب» . الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م (٤/ ٩٤).

ورواه الثعلبي من حديث سلام بن سليم ثنا هارون بن كثير عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب مرفوعا. ورواه ابن مردويه في تفسيره بسنديه المذكورين في آل عمران، وبسند الثعلبي رواه الواحدي في الوسيط. الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ (٤/ ٩٤).

في آخرها[1]قال عبد اللّه بن المبارك أظنّ الزّنادقة وضعوها.

والّذي صحّ في أحاديث السّور:

- "حديث فاتحة الكتاب وأنّه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها".

فعن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، قلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، قال: " ألم يقل الله: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم؟ "، ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت: يا رسول الله، إنك قلت: «لأعلمنك أعظم سورة من القرآن» قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»[2].

وفي رواية الحاكم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُبيّ بن كعب: «إني أرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها» ، قال: فجعلت أتباطأ في المشي رجاء ذلك، ثم قلت: يا رسول الله السورة التي وعدتني، قال: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» قال: فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت على آخرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي هذه السورة وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيت»[3].

- وحديث "البقرة وآل عمران إنهما الزهراوان".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعلموا سورة البقرة، وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف »[4].

- وحديث "آية الكرسيّ وإنّها سيّدة آيّ القرآن".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيدة آي القرآن آية الكرسي»[5].

- وحديث "الآيتين من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه".

---

(١) روى الحديث السابق أيضاً لكنه لم يذكر له سنداً. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤ / ٢٩٤).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٨٧).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٧٤٤).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٧٤٧). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٥)المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٢٨٦). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[1].

- وحديث "سورة البقرة لا تقرأ في بيت فيقربه شيطان".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا يقرأ فيه سورة البقرة»[2].

- وحديث "العشر آيات من أوّل سورة الكهف من قرأها عصم من فتنة الدّجّال".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[3].

- وحديث "قل هو اللّه أحد وأنها تعدل ثلث القرآن" ولم يصحّ في فضائل سورة ما صحّ فيها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[4].

- وحديث "المعوذتين وأنّه ما تعوذ المتعوذون بمثلهما".

عن عقبة بن عامر، قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عقبة، قل» فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني، ثم قال: «يا عقبة قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني، فقلت: اللهم اردده علي، فقال: «يا عقبة قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال: «قل أعوذ برب الفلق»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «قل أعوذ برب الناس» فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»[5].

- وقوله صلى الله عليه وسلم: "أنزل علي آيات لم ير مثلهن ثم قرأهما".

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٨٨).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٧٤٩).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٥٥٥).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ١٨٩). وصحيح مسلم (١/ ٥٥٦).

(٥) سنن النسائي (٨/ ٢٥٣).

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أنزل علي آيات لم ير مثلهن {قل أعوذ برب الفلق}، إلى آخر السورة و {قل أعوذ برب الناس} إلى آخر السورة "[1].

ويلي هذه الأحاديث وهو دونها في الصّحّة:

- حديث "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن".
- وحديث "قل يا أيّها الكافرون تعدل ربع القرآن".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن»[2].

- وحديث "تبارك الّذي بيده الملك هي المنجّية من عذاب القبر".

روى الترمذي عن ابن عباس، قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: :هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر"[3].

وروى أيضاً عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك"[4].

---

(١) سنن النسائي (٨/ ٢٥٤).

(٢) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة» (٥/ ١٦٦).

وقال الحاكم: ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه))، المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٧٥٤).

قال ابن حجر: أخرج الترمذي والحاكم وأبو الشيخ من حديث بن عباس رفعه إذا زلزلت تعدل نصف القرآن والكافرون تعدل ربع القرآن وأخرج الترمذي أيضا وبن أبي شيبة وأبو الشيخ من طريق سلمة بن وردان عن أنس أن الكافرون والنصر تعدل كل منهما ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن زاد بن أبي شيبة وأبو الشيخ وآية الكرسي تعدل ربع القرآن وهو حديث ضعيف لضعف سلمة وإن حسنه الترمذي فلعله تساهل فيه لكونه من فضائل الأعمال وكذا صحح الحاكم حديث بن عباس وفي سنده يمان بن المغيرة وهو ضعيف عندهم. فتح الباري لابن حجر (٩/ ٦١ – ٦٢)

وذكره الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٣/ ٥١٨) ، وقال عنه: ((منكر)) ، وأعله بيمان بن المغيرة.

(٣) رواه الترمذي في سننه وقال: أنه هذا حديث غريب من هذا الوجه. (٥/ ١٤).

(٤)رواه الترمذي في سننه وقال: هذا حديث حسن. (٥/ ١٤).

❖ ثمّ سائر الأحاديث بعد كقوله: "من قرأ سورة كذا أعطي ثواب كذا" فموضوعة على رسوله صلى اللّه عليه وسلم وقد اعترف بوضعها واضعها وقال: "قصدت أن أشغل النّاس بالقرآن عن غيره" وقال بعض جهلاء الوضّاعين في هذا النّوع: "نحن نكذب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولا نكذب عليه". ولم يعلم هذا الجاهل أنّه من قال عليه ما لم يقل فقد كذب عليه واستحقّ الوعيد الشّديد" [1] المذكور في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار»[2].

وعليه فلم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل سورة الجاثية خاصة شيء.

---

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الأولى١٣٩٠هـ -١٩٧٠م (١ / ١١٣-١١٥).

فهناك أحاديث صحيحة عن رسول الله في فضل سور أخرى كسورة الفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: {إنا فتحنا لك فتحا مبينا}" آية: ١. صحيح البخاري حديث رقم: ٥٠١٢ (٦/ ١٨٩).

(٢)صحيح البخاري (٢/ ٨٠).

المطلب الثالث:

ما ورد في فضل بعض موضوعات السورة

في قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}[1]، قال الطبري: لعمري لقد تفرّق القوم في الدنيا، وتفرّقوا عند الموت، فتباينوا في المصير[2].

ورُوي عن أبي عبيد عن تيمم الداري رضي الله عنه أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلى، فافتتح السورة التي يذكر فيها الجاثية، فلما أتى على هذه الآية لم يزل يرددها حتى أصبح[3]. وقال الامام ابن عطية[4]: "هذه الآية متناولة بلفظها حال العصاة من حال أهل التقوى، وهي موقف للعارفين فيكون عنده فيه، وروي عن الربيع بن خيثم أنه كان يرددها ليلة جمعاء، وكذلك عن الفضيل بن عياض، وكان يقول لنفسه: ليت شعري من أي الفريقين أنت، وقال الثعلبي: كانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين"[5].

قال ابن عطية: وأما لفظها فيعطي أنه اجتراح الكفر، بدليل معادلته بالإيمان ويحتمل أن تكون المعادلة هي بالاجتراح وعمل الصالحات، ويكون الإيمان في الفريقين، ولهذا بكى الخائفون[6].

---

(١) الآية: ٢١.

(٢) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧٢).

(٣) رواه الطبراني من حديث شعبة عن عمر بن مرة عن أبي الضحى عن أبي مسروق. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥٠). والبقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م (٢ / ٤٧٧– ٤٧٨).

(٤) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، كان فقيها، عارفا بالأحكام والحديث والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، ولي قضاء المرية، توفي سنة: ٥٤١هـ. طبقات المفسرين للسيوطي؛ ص: ٦٠.

(٥) ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٥/ ٨٥).

(٦) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٥). أبو حيان، البحر المحيط (٩/ ٤٢١).

المبحث الثالث:

عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك

ويحتوي على تمهيد وثلاثة مطالب:

*،

المطلب الأول: تعريف الآية لغة وإصطلاحاً.

المطلب الثاني: فائدة معرفة عدد الآي.

المطلب الثالث: عدد آيات سورة الجاثية وسبب الإختلاف فيها.

التمهيد:

قال تعالى: وَلَقَدۡ{ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ }[1]، وقيل: أنّ السّبع قيل: هي أوّل السّور الطّوال: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وبراءة تتمّة الأنفال. وقيل: السّابعة الّتي يذكر فيها يونس؛ قال ابن عبّاس، وابن عمر وغيرهم. وقيل: أنّها الحمد، سبع آيات. وقيل: أنّها سبع آيات من القرآن. وقيل: أنّها الأمر، والنّهي، والبشرى، والنّذارة، وضرب الأمثال، وإعداد النّعم، ونبأ الأمم[2].

والشاهد هنا القول بأن المقصود بالسبع سورة الفاتحة، فإن كان الله سمى السورة بعدد آياتها ففي هذا لفتة لآتُهمل، عن علم آي الكتاب الكريم، وقد أفرده بعض العلماء بالتدوين.

وروى أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له: {تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ}[3].

وفي هذا الحديث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عدد آيات السورة قبل اسمها، ولعل السبب ليلفت الناس أنّ المعني بالسورة ليس الطول أو القصر، فهنا على قصر سورة الملك شفعت لصاحبها بفضل الله وكرمه.

قال الزركشي: واعلم أنّ سبب اختلاف العلماء في عدّ الآي والكلم والحروف أنّ النّبيّ صلى اللّه عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتّوقيف فإذا عُلم محلّها وصل للتّمام فيحسب السّامع أنّها ليست فاصلةً[4].

---

(١) سورة الحجر ، آية: ٨٧.

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن (٣/ ١١٢).

(٣) سورة الملك، آية:١. والحديث رواه أبو داوود في سننه برقم: ١٤٠٠؛ (٢/ ٥٧). والترمذي وقال حديث حسن. سنن الترمذي، برقم:٢٨٩١؛ (٥/ ١٤). والنسائي في السنن الكبرى، حديث رقم: ١١٥٤٨؛ (١٠/ ٣٠٩). وابن حبان في صحيحه برقم: ٧٨٨، وعلق المحقق شعيب الأرنؤوط بأن إسناده حسن. وابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (٣/ ٦٩).

(٤) الزركشي، البرهان (١/ ٢٥١).

إذاً فطريق معرفة الآية القرآنية هو السماع من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يحدِّد بقرائته مبادئ الآيات وخواتيمها، حتى علم ذلك أصحابه، فنلقوا إلينا عدد الآيات في كل سورة كما وقفوا عليه من قراءته –صلى الله عليه وسلم.

وقال عنه الزمخشري: "هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور"(١).

فاتفق العلماء على أن ترتيب الآيات بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان الصحابه ليغيروا ترتيباً سمعوه من رسول الله. قال: ابن الزبير قلت: لعثمان بن عفان {وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا .. }(٢) قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: «يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»(٣).

وروى أبي داود والترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض مَنْ كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"(٤).

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣١).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٤.

(٣) صحيح البخاري، باب {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ..} سورة البقرة، آية: ٢٣٤، رقم الحديث: ٤٥٣٠؛ (٦/ ٢٩).

(٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، حديث رقم: ٧٨٦؛ (١/ ٢٠٨). والترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير– سنن الترمذي، تحقيقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م، حديث رقم: ٣٠٨٦ (٥/ ٢٧٢). والنسائي، : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. حديث رقم: ٧٩٥٣ (٧/ ٢٥٣). والحاكم، وقال: (صحيح على شَرط الشَّيخين، ولم يُخَرجاه). الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: ٢٨٧٥؛ (٢/ ٢٤١).

المطلب الأول:

تعريف الآية لغة وإصطلاحاً

الآية لغة تحمل عدة معاني وهي:

• العلامة[١]: تقول العرب: خربت دار فلانٍ، وما بقي فيها آيةٌ؛ أي علامةٌ فكأنّ كلّ آيةٍ في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم[٢]، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ }[٣].

• الجماعة[٤]، يقال: خرج القوم بآيتهم أي بجماعاتهم[٥].

• العجب :تقول العرب فلانٌ آيةٌ في العلم وفي الجمال[٦].

• العبرة ومنه قوله تعالى: قَدْ{ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا }[٧].

• المعجزة: ومنه قوله تعالى: {سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }[٨].

• الدليل والبرهان: ومنه قوله تعالى: وَمِنْ{ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ }[٩].

---

(١) الرازي، مختار الصحاح ص: ٢٧.

(٢) الزركشي، البرهان (١/ ٢٦٦).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٨.

(٤) الرازي، مختار الصحاح، ص: ٢٧.

(٥) الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م؛ ص: ٦١.

(٦) الزركشي، البرهان (١/ ٢٦٦).

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٣.

(٨) سورة البقرة، آية: ٢١١.

(٩) سورة الروم، آية:٢٢.

والآية القرآنية اصطلاحا: (هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها[1] معروفة بالسماع، مندرجة في السورة)[2].

والمناسبة بين المعاني اللغوية للآية وبين الآية القرآنية واضحة، فهي من القرآن المعجز، وهي علامة على صدق من جاء بها، وفيها عبرة لمن أراد أن يعتبر بها، وفيها معنى الدليل لأنها برهان على ما تضمنته من هداية وعلم.

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٣٠)..

(٢) الدكتور محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، موسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م؛ ص: ١٦٥.

المطلب الثاني:

فائدة معرفة عدد الآي

من فوائد معرفة عدد الآي:

أولاً: اعتبارها فيمن جهل الفاتحة، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات.

ثانيًا: اعتبارها في قراءة قيام الليل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين»، وروى عن أبي هريرة أيضاً أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين»[(١)].

ثالثًا: واعتبارها في خطبة الجمعة، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة، ولا يكفي شطرها[(٢)].

رابعًا: إدراك الحد الذي يقع به الإعجاز، فقد صحَّ عند المحققين أن الآية الواحدة إذا كانت في طول سورة "الكوثر" وقع بها التحدي، وثبت عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثلها.

خامسًا: معرفة ما يجزئ من القراءة في الصلاة بعد الفاتحة، فإن أقلَّ ما يجزئ فيها قراءة سورة أو آية في طولها أو ثلاث آيات، تقوم مقامها على خلاف يسير في ذلك بين الفقهاء.

سادسًا: معرفة الوقف والابتداء، فإنَّ مَنْ عرف أوائل الآيات وأواخرها أمكنه أن يقف على رأس كل آية، والبدء بالآية التي بعدها [(٣)].

قال الهذلي[(٤)]: قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه: العدد مسامير القرآن، وهكذا روى أن علي

---

(١) أخرجه الحاكم، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". وقد روي عن عبد الله بن عمر بزيادة في المتن. وفي الحديث الثاني قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". المستدرك على الصحيحين، الحديثان رقم: ٢٠٤١ ، ١١٦٠ (١ج/ ص٧٤٢، ٤٥٢).

(٢) السيوطي، الإتقان (١/ ٢٤٠).

(٣)محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن (ص: ٥٤).

(٤) الهذلي: يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم الهذلي البسكري (٤٠٣ – ٤٦٥ هـ): متكلم، عالم بالقراءات المشهورة والشاذة، كان ضريرا، من أهل بسكرة بإقليم الزاب الصغير، رحل إلى أصبهان وبغداد، وقرره نظام الملك مقرئا في مدرسته بنيسابور سنة ٤٥٨هـ، فاستمر الى أن توفي. الأعلام للزركلي (٨/ ٢٤٢).

رضي اللَّه عنه ذكر العدد وهو عدد أهل الكوفة، وجعل الْحَجَّاج لكل آية علامة حتى جعل القرآن أخماسًا وأعشارًا، ولو لم يكن علمًا لما اشتغل به في زمن الصحابة [1].

وقال السيوطي: "ذكر الآيات في الأحاديث والآثار أكثر من أن يحصى كالأحاديث في الفاتحة وأربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي والآيتين خاتمة البقرة وكحديث اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: {وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ }[2] و: {الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ }[3]. وفي البخاري عن ابن عباس: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: { قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ }"[4] [5].

(١) الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م؛ ص: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٢،١.

(٤) سورة الأنعام، آية:١٤٠.

(٥) السيوطي، الإتقان (١/ ٢٤١). صحيح البخاري، باب: جهل العرب (٤/ ١٨٤).

المطلب الثالث:

عدد آيات سورة الجاثية وسبب الإختلاف فيها

أكثر المفسرين على أن عدد آياتها: (٣٧) سبع وثلاثون آية، أما عدد كلماتها: (٤٨٨) فأربعمائة وثمان وثمانون كلمة، وعدد حروفها: (٢١٩١) ألفان ومائة وأحد وتسعون حرفاً[١].

وهناك من ذكر الخلاف في عدد آياتها، منهم الزمخشري فقال: "آياتها ٣٧ وقيل ٣٦ آية"[٢].

والألوسي حيث قال: "وهي سبع وثلاثون آية في الكوفي وست وثلاثون في الباقية لاختلافهم في «حم» هل هي آية مستقلة أو لا؟" [٣].

وقال ابن عاشور: "وعدد آيها في عدّ المدينة ومكّة والشّام والبصرة ستٌّ وثلاثون. وفي عدّ الكوفة سبعٌ وثلاثون لاختلافهم في عدّ لفظ حم آيةً مستقلّة" [٤]. وبين هذا الاختلاف في تفسير (الم) في سورة البقرة حيث قال: "وهاته الفواتح قرآنٌ لا محالة ولكن اختلف في أنّها آياتٌ مستقلّةٌ والأظهر أنّها ليست بآياتٍ مستقلّة بل هي أجزاءٌ من الآيات الموالية لها على المختار من مذاهب جمهور القرّاء. وروي عن قرّاء الكوفة أنّ بعضها عدّوه آياتٍ مستقلّةً وبعضها لم يعدّوه وجعلوه جزء آيةٍ مع ما يليه، ولم يظهر وجه التّفصيل حتّى قال صاحب «الكشاف» إنّ هذا لا دخل للقياس فيه[٥]. والصحيح عن الكوفيين أنّ جميعها آياتٍ .. والوجه عندي أنّها آياتٌ لأنّ لها دلالةً تعريضية تعريضية كنائية إذ المقصود إظهار عجزهم أو نحو ذلك فهي تطابق مقتضى الحال مع ما يعقبها من الكلام.

ويدل لإجراء السّلف حكم أجزاء الآيات عليها أنهم يقرؤونها إذا قرؤوا الآية المتّصلة بها، ففي

---

(١) السمرقندي، بحر العلوم (٣/ ٢٧٦)، الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤ / ١٢٢).

(٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤ / ٢٨٤).

(٣) الألوسي، روح المعاني (١٣ / ١٣٦).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٢٤).

(٥) قال الزمخشري في تفسيره: "فإن قلت: ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور".الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣١)

«جامع الترمذي» في كتاب التّفسير في ذكر سبب نزول سورة الرّوم فنزلت: { الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ }[١]، وفيه أيضًا: «فخرج أبو بكرٍ الصديق يصيح في نواحي مكة: { الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ }[٢]، وفي «سيرة ابن إسحاق» من رواية ابن هشامٍ عنه: «فقرأ رسول اللّه على عتبة بن ربيعة: حمٓ{ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ -حتى بلغ قوله-: فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ }[٣] الحديث[٤].

وعلى هذا الخلاف اختلف في إجزاء قراءتها في الصلاة عند الّذين يكتفون في قراءة السورة مع الفاتحة بآيةٍ واحدةٍ مثل أصحاب أبي حنيفة" [٥].

وقال الزركشي في حديثه عن فواتح السور: "إنّ البصريّين لم يعدّوا شيئًا منها آيةً وأمّا الكوفيّون فمنها ما عدّوه آيةً ومنها ما لم يعدّوه آيةً وهو علمٌ توقيفيٌّ لا مجال للقياس فيه كمعرفة السّور أمّا الم فآيةٌ حيث وقعت من السّور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية من سورها الخمس وطسم آية في سوريتيها[٦] وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون لم تعدّ واحدةٌ منها آيةً وإنّما عدّ ما هو في حكم كلمةٍ واحدةٍ آيةً كما عد الرحمن وحده ومداهمتان وحدها آيتين على طريق التوقيف. وقال الواحدي في البسيط في أوّل سورة يوسف[٧]: لا يعدّ شيءٌ منها آيةً إلّا في طه وسرّه أنّ جميعها لا يشاكل ما بعده من رءوس الآي فلهذا لم يعدّ آيةً بخلاف طه فإنّها تشاكل

---

(١) سورة الرُّومُ ، الآيتان : ١، ٢.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ١٩٧).

(٣) سورة فصلت الآيات: ١- ١٣.

(٤) ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م؛ ص: ٢٠٧.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ٢١٨).

(٦) سورة الشعراء، وسورة القصص.

(٧) الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، التفسير البسيط، تحقيق: د.عبد الله بن إبراهيم الريس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ (٧/١٢).

ما بعدها[1].

ولأهمية علم الآي نظم الإمام الشاطبي[2] في علم عدد الآي قصيدة تسمى «ناظمة الزهر» في ٢٩٧ بيتاً.

وقال في سورة الجاثية:

وكوفيهم عدَّ الشَّريعـة لقَّهُ * * * زهيراً [3]وفي الأحقاف عنه لهى هبر

زهيرا: تصغير زهر وهو الحسن والبياض.

وقوله: (وكوفيهم) ..إلخ بيان لعدد سورة الشريعة عند العلماء.

فسورة الجاثية أو الشريعة سبع وثلاثون آية عند الكوفيين وست وثلاثون آية عند غيرهم، واختلافهم في آية واحدة (حم) عده الكوفي ولم يعده الباقون ونظيرتها في غير الكوفي سورة التطفيف، ولا نظير لها فيه، وقاعدة فواصلها: (نم)[4] نحو: يؤمنون، والحكيم.

والفواصل المتفق عليها:

الحكيم، للمؤمنين، يوقنون، يعقلون، يؤمنون، أثيم، ألين، مهين، عظيم، أليم، تشكرون، يتفكرون، يكسبون، ترجعون، العالمين، يختلفون، يعلمون، المتقين، يوقنون، يحكمون، يظلمون، تذكرون، يظنون، صادقين، يعلمون، المبطلون، تعملون، تعملون، المبين، مجرمين، بمستيقنين، يستهزؤون، ناصرين، يستعتبون، العالمين [5].

---

(١) الزركشي، البرهان (١ / ١٧٠،١٧١).

(٢) الشاطبي: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، الشيخ الإمام العالم الضرير، ناظم (الشاطبية) ، و(الرائية)، كان يتوقد ذكاء، له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والفقه والحديث، وله النظم الرائق، مع الورع والتقوى، تصدر بمصر، فعظم شأنه، وشاع صيته، انتهت إليه رياسة الإقراء، وتوفي بمصر، سنة ٥٩٠هـ. سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٦١).

(٣) الحرف الأول من (لفه) و (زهيراً)، وكما هو معلوم في علم حساب الحروف أنّ حرف اللام يُعد ٣٠، وحرف الزاي يُعد ٧، المجموع إذاً ٣٧ آية، فالإمام الشاطبي هنا عد (حم) آية.

(٤) يعني أنَّ آياتها مختومة بحرفي النون والميم.

(٥) المخلَّلاتي، رضوان بن محمد بن سليمان المكنى بأبي عيد، القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ؛ ص: ٢٨٩.

المبحث الرابع

تاريخ نزول سورة الجاثية

لايوجد علم يختص بكتاب الله تعالى له أدلة من هذا الكتاب المقدس، أو سنة رسولنا المطهر، أو أقوال صحابته الكرام، أو أجلاء التابعين الفضلاء، وفيه نفع يُلمس، وفوائد تدرك، ومن الفوائد الجلية الظاهرة في معرفة تاريخ النزول التمييز بين الناسخ والمنسوخ.

وزمن نزول سورة الجاثية بعد سورة الدخان وقبل سورة الأحقاف، فالسور السبع المفتتحة بـ (حم) مرتبة في المصحف على ترتيبها في النّزول[١]، قال الشيخ المقرئ ابن سلامة[٢]: "وليس في كتاب الله تعالى سبع سور نزلت بالتأليف واحدة بعد الأخرى إلا الحواميم" [٣].ونزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة، بعد الإسراء وقبيل الهجرة[٤].

ومن هُنا قيل أن الآية الرابعة عشر من السورة {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ } منسوخة حكماً بقوله تعالى في الآية الخامسة من سورة التوبة: {فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ }[٥]، فسورة التوبة من السور المدنية، وقد نزلت في أواخر السنة التاسعة من الهجرة.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٤ / ٧٦).

(٢) ابن سَلامة: هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم: مفسر، ضرير، من أهل بغداد. وبها وفاته. كانت له حلقة في جامع المنصور. له كتب، منها: الناسخ والمنسوخ في التفسير، والناسخ والمنسوخ في الحديث، والمسائل المنثورة. توفي: ٤١٠هـ - ١٠١٩م. الأعلام للزركلي (٨/ ٧٢)

(٣) ابن سلامة، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، الناسخ والمنسوخ، تحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ؛ ص: ١٥٢.

(٤)جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور ، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ (٨ / ١٢٣).

(٥) القول الصحيح بأنها ليست منسوخة، وبيان ذلك في المبحث التالي صفحة: ٧٤.

وهي السنة التي خرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين إلى تبوك، بقصد غزو الروم، كما خرج أبو بكر في أواخر سنة تسع على رأس المسلمين، لحجّ بيت الله الحرام[1].

فسورة الجاثية إذاً نزلت في مكة بعد سورة الدّخان وقبل سورة الأحقاف[2].

(١) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣/ ٢٢٩).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٢٣).

المبحث الخامس

تحرير المنسوخ في سورة الجاثية

ورد في نسخ الآية الرابعة عشر: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ } قولان:

- أحدهما: أنها ثابتة في العفو عن الأذى في غير الدين.
- والثاني: أنها منسوخة، وفيما نسخها قولان: أحدهما: بقوله سبحانه {فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ } قاله قتادة. الثاني: بقوله {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ }[1] قاله أبو صالح[2].

قال قتادة: قوله عز وجل: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ } وهم المشركون فأنزل الله عز وجل: للمؤمنين أن يغفروا لهم ثم نسخ ذلك بعد في براءة فقال {فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ }[3] [4].

وقال النحاس[5] في كتابه الناسخ والمنسوخ: "باب ذكر الموضع الذي في الجاثية قال الله جل وعز {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ } قال جماعة من العلماء هي منسوخة"، وروى الحديث عن ابن عباس في قوله: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ }: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به، فأنزل الله تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ } يعني عمر بن الخطاب رضي

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٩.

(٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت (٥/ ٢٦٢).

(٣) سورة التوبة، آية:٥.

(٤) قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب – جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م؛ ص: ٤٥.

(٥) النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر، صنف (تفسير القرآن) و (إعراب القرآن) و (تفسير أبيات سيبويه) و (ناسخ القرآن ومنسوخه) وغيرها، توفي سنة ٣٣٨هـ. الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٨).

الله عنه، {يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ} ويعفوا ويتجاوزوا للذين لا يخافون مثل عقوبات الأيام الخالية {لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}، ثم نسخ هذا في براءة بقوله {فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ}[1].

وليس في السورة ناسخ، أورد الشيخ ابن سلامة باباً في تسمية السور التي دخلها المنسوخ ولم يدخلها الناسخ، فذكر أنها أحدى واربعون سورة، وذكر منها سورة الجاثية[2].

ولتحرير هذا القول نأتي لتعريف النسخ أولاً:

• **تعريف النسخ**: ورد في لسان العرب أن النسخ: "إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه؛ وفي التنزيل: {مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ}، والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة. والنسخ تبديل الشيء من الشيء وهو غيره، ونسخ الآية بالآية: إزالة مثل حكمها. والنسخ: نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو. والنسخ أن تعمل بالآية ثم تنزل آية أخرى فتعمل بها وتترك الأولى. والعرب تقول: نسخت الشمس الظل وانتسخته، أي: أزالته، والمعنى أذهبت الظل وحلت محله [3].

وعرّفه أكثر أهل الأصول بأنّه: رفع حكم شرعيّ عمليّ جزئيّ ثبت بالنّصّ بحكم شرعيّ عمليّ جزئيّ ثبت بالنّص، ورد على خلافه، متأخّر عنه في وقت تشريعه، ليس متّصلا به.

فالرّفع هو (النّسخ)، والحكم الشّرعيّ المرفوع هو (المنسوخ)، والحكم الشّرعيّ المتأخّر هو (النّاسخ)[4].

وينبغي هنا أن نتطرق أن للنسخ نوعين: نسخ كلي ونسخ جزئي، وللنسخ الجزئي أيضاً أقسام منها:

---

(١) النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ؛ ص: ٦٦٣.

(٢) ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ؛ ص: ٢٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب (٣/ ٦١).

(٤) العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م؛ ص: ٢٠٧.

- ترك العمل بالنّصّ مؤقّتا لتغيّر الظّرف.

والمراد به الإزالة الوقتيّة للعمل بالنّصّ الأوّل، لا إسقاط العمل به مطلقا، فاستعماله لم يزل قائما، لكنّه موقوف حتّى يكون الوقت الّذي يناسبه، وليس هكذا النّسخ بمعناه الاصطلاحيّ؛ لأنّ هذه الصّورة ليست معارضة بين نصّين نفى المتأخّر منهما المتقدّم.

وآية سورة الجاثية تندرج تحت هذا القسم، فجميع الآيات الآمرة بالعفو أو الصّفح أو الإعراض عن المشركين والكفّار، مع الآيات الآمرة بقتالهم أو بأخذ الجزية منهم، يمكن التوفيق بينها أن الصفح يكون حال ضعف المسلمين وكون القتال يضر بهم أكثر من نفعه، أما في حال القوة والاستطاعة، فيكون الواجب قتالهم، وبذلك يتم العمل بالنّصّين جميعا.

ولبعض العلماء في هذا النّمط من النّصوص تفسير حسن يبقي على الإعمال للنصين، كل منهما في وقته المناسب له، ويجعل ترك العمل المؤقت بأحدهما ممّا يندرج تحت قوله تعالى:{أَوْ نُنسِهَا }[1]، فقال الزّركشي: "ما أمر به لسبب ثم يزول السّبب، كالأمر حين الضّعف والقلّة بالصّبر وبالمغفرة للّذين لا يرجون لقاء الله، ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثمّ نسخه إيجاب ذلك، وهذا ليس بنسخ في الحقيقة، وإنّما هو نسء، كما قال تعالى: أَوْ نُنْسِها، فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضّعف يكون الحكم وجوب الصّبر على الأذى، وبهذا التّحقيق تبيّن ضعف ما لهج به كثير من المفسّرين في الآيات الآمرة بالتّخفيف أنّها منسوخة بآية السّيف، وليست كذلك، بل هي من المنسأ، بمعنى أنّ كلّ أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلّة توجب ذلك الحكم، ثمّ ينتقل بانتقال تلك العلّة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إنّما النّسخ الإزالة حتّى لا يجوز امتثاله أبدا"[2].

إذاً حيث إن النسخ يعني إزالة الحكم بحكم غيره. والقول بعدم قتال المشركين حال ضعف المسلمين وعدم قدرتهم عليه قائم، فبهذا لايكون في سورة الجاثية منسوخ. واقوال السلف بالنسخ كانت بناء على الحال التي كانوا فيها وهي حال قوة المسلمين في المدينة المنورة، فحينها كان العمل بآية سورة التوبه –والله أعلم–.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

(٢) الزركشي، البرهان (٢/ ٤٢). والعنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن؛ ص: ٢١٢.

قال البقاعي: "قيل عن هذه الآية أنه دخلها النسخ، وليس بصحيح؛ بل هو حكم يجيء ويذهب بحسب القدرة على الانتصار، وكان ينزل مثل هذا بمكة والمسلمون في ضعف، ونزل بعد الهجرة آية الجهاد والأمر بالمعروف، وتركت هذه وأمثالها مسطورة في القرآن لما عسى أن يدور من دوائر أيام الله، ومن أيامه إزالة أهل الكفر تنبيهاً للمسلمين ليراجعوا أمرهم ويصلحوا ما بينهم وبين ربهم"[1].

فقد كان هذا في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد.

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧٩).

الفصل الثاني:

مكية سورة الجاثية ومناسبتها لما قبلها

ووجه اختصاصها بما اختصت به

وفيه ثلاثة مباحث:

*،

المبحث الأول/ مكية السورة.

المبحث الثاني/ مناسبة سورة الجاثية لما قبلها، وما بعدها.

المبحث الثالث/ وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات.

المبحث الأول:

مكيــة ســـورة الجـــاثية

وفيه تمهيد وخمسة مطالب:

*،

المطلب الأول: تعريف المكي والمدني.

المطلب الثاني: فائدة العلم بالمكي والمدني.

المطلب الثالث: طريقة معرفة المكي والمدني.

المطلب الرابع: مكية سورة الجاثية.

المطلب الخامس: ضوابط المكي وإنزاله على السورة الكريمة.

التمهيد:

نزل القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم في مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً، منها ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة قبل الهجرة، ومنها عشر سنين في المدينة المنورة بعد الهجرة، وقد كان ينزل على رسولنا أينما أقام في السفر والحضر.

فبتنوع الزمان والمكان وحال الناس كان القرآن مناسباً لكل أمر، مع الحفاظ على بديع النظم وتلائم اللفظ وترابط المعنى، فاهتم القرآن في أول الإسلام بتقرير العقيدة وتصحيحها، وكان ذلك في مكة، ثم تدرج إلى التشريع وبيان الأحكام الشرعية الأخرى، وكان ذلك في المدينة المنورة غالباً، حتى أكمل الله الدين العظيم، والكتاب المنير.

وقد تكون في السورة الواحدة مكي ومدني من الآي العظيم، ومع ذلك نرى الوحدة والنظام والتناسق الموضوعي لاينفك عنها، فسبحان منزل الكتاب الرب العزيز الحكيم.

وعلم المكي والمدني بدأ بشكل روايات يتناقلها الصحابة والتابعون، ولم يرد في ذلك بيان عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، فهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً.

وحين طال الزمن عن الوحي قام العلماء بتقسيم القرآن الكريم إلى مكي ومدني وحصل بذلك نفع عظيم [(١)].

قال الشيخ مناع القطان[(٢)]: "وقد عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى"[(٣)].

---

(١) المطلب الثاني: فائدة العلم بالمكي والمدني، صفحة: ٨٢.

(٢) القاضي الشيخ مناع خليل القطان، ولد في مصر، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية للتدريس، ثم أصبح مديراً للمعهد العالي للقضاء، وتوفي سنة: ١٤٢٠هـ.

(٣) القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م؛ ص: ٥١.

المطلب الأول:

تعريف المكي والمدني

قال الزركشي: "اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات:

• الأول: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

• والثاني: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

• والثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة"[1].

والراجح من هذه التعريفات الثلاثة هو التعريف الأول للأسباب الآتية:

- أولاً: أنه ضابط وحاصر ومطرد لا يختلف، واعتمده العلماء واشتهر بينهم.
- ثانيًا: أن الاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني.
- ثالثًا: أنه أقرب إلى فهم الصحابة رضي الله عنهم حيث إنهم عدوا من المدني سورة التوبة، وسورة الفتح وسورة المنافقون، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طريق عودته من تبوك، ونزلت سورة الفتح على النبي صلى الله عليه وسلم وهو عائد من صلح الحديبية، ونزلت سورة المنافقون عليه، وهو في عزوة المصطلق[2].

قال الإمام ابن عطية: "وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدني، سواء ما نزل بالمدينة، أو في سفر من الأسفار، أو بمكة. وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة"[3].

وقال الإمام البقاعي في ضابط المكي والمدني: "وكل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وكل ما

---

(١) الزركشي، البرهان (١ / ١٨٧).

(٢) محمد شفاعت رباني، المكي والمدني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف؛ ص:٢.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز (٢/ ١٤٣).

نزل بعدها فهو مدني، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم وقت نزوله في بلد أخرى"[1].

والسور من حيث المكي والمدني تنقسم لأربعة أقسام:

القسم الأول: أن تكون السورة كلها مكية.

والقسم الثاني: أن تكون كلها مدنية.

والقسم الثالث: أن تكون السورة مكية ما عدا آيات منها.

والقسم الرابع: أن تكون مدنية ما عدا آيات منها.

وسورة الجاثية قال بعض العلماء بأنها من النوع الثالث، والصحيح كونها من النوع الأول[2].

(١) البقاعي، مصاعد النظر (١/ ١٦١).

(٢) بيان ذلك في المطلب الرابع من هذا المبحث، صفحة: ٨٧.

المطلب الثاني:

فائدة العلم بالمكي والمدني

علم المكي والمدني من علوم القرآن المهمة التي يتحصل بمعرفتها العديد من الفوائد، ومنها:

• أولاً: تمييز الناسخ من المنسوخ، فالآية المدنية تنسخ المكية إذ أن المتأخر ينسخ المتقدم.

قال الحارث المحاسبي[1] عند حديثه عن الناسخ والمنسوخ: "فأول ذلك معرفة السّور المكية والمدنية ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكّة أو بالمدينة فإذا اختلف كان الّذي نزل بالمدينة هو النّاسخ لأنّه الآخر في النّزول"[2].

ومتى لم يكن في السورة ما يتصل بالأحكام الشرعية فنزولها بمكة والمدينة سواء، وإنما يختلف الغرض في ذلك إذا حصل فيه ناسخ ومنسوخ فيكون فيه فائدة عظيمة[3].

• ثانياً: علم المكي والمدني يعين في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه.

قال أبو جعفر: "وإنما يذكر ما نزل بمكة والمدينة لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ؛ لأن الآية إذا كانت مكية وكان فيها حكم وكان في غيرها مما نزل بالمدينة حكم غيره، علم أن المدنية نسخت المكية وجدنا في آل حم ثمانية مواضع منها في حم عسق خمسة مواضع"[4].

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي: كنيته أبو عبد الله، كان صوفياً، عالماً فهماً، وله مصنفات في أصول الديانات وكتب في الزهد والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة، توفي سنة ٢٤٣هـ. السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م؛ ص: ٥٨. والعسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية– الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ (٢/ ١٣٤).

(٢) المحاسبي، الحارث بن أسد المحاسبي، فهم القرآن ومعانيه، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر– بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨؛ ص: ٣٩٤.

(٣) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، خطيب الري، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ (١٩/ ٥٦).

(٤) النحاس، الناسخ والمنسوخ؛ ص: ٦٥٠.

أخرج الخطيب البغدادي[1] بسنده عن الشافعي قال: "لا يحل لأحد يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به ، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرا باللغة، بصيرا بالشعر، وما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الأمصار ، ويكون له قريحة بعد هذا ، فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي"[2].

• ثالثًا: استخراج سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بمتابعه أحواله في مكة ومواقفه في الدعوة ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها، واقتداء الدعاة بهذا المنهج النبوي الحكيم في الدعوة.

• رابعًا: فهم أساليب القرآن الكريم، والاستفادة منها في الدعوة، حيث يختلف خطاب المكي عن المدني، وذلك أن المكي كان يخاطب قوماً مشركين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فاتسم الخطاب بالقوة والوعيد والتخويف، وكذلك اختلف الخطاب في المدني واتسم بكثرة التشريع والأحكام.

ومن آيات الوعيد في السورة قوله تعالى: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}[3].

---

(١) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات؛ كان من الحفاظ المتقنين العلماء المتبحرين، صنف قريباً من مائة مصنف، وفضله أشهر من أن يوصف، وكان فقيها فغلب عليه الحديث والتاريخ، توفي سنة ٤٦٣هـ. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، طبعة ١٩٠٠م (١/ ٩٢).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العرازي، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ (٢/ ٣٣٢).

(٣) آية: ٩ من السورة.

وقوله: {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[1].

وقوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}[2].

• خامسًا: بيان عناية المسلمين بالقران الكريم واهتمامهم به، حتى أنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني، بل تتبعوا مكان نزوله، ومعرفه ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل في الليل وما نزل في النهار، وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء، ويتبع هذا الاقتداء بهم في دراسة القران الكريم وعلومه[3].

(١) آية: ٢٨ من السورة.

(٢) آية: ٣٣ من السورة.

(٣) القطان، مباحث في علوم القرآن؛ ص: ٥١.

المطلب الثالث:

طريقة معرفة المكي والمدني

قال الزركشي: قال الجعبريّ[١]: "لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي"[٢].

فالأول منهما: النقلي السماعي: وهي الآيات والسور التي عرفنا أنها مكية أو مدنية بطريق الرواية عن أحد الصحابة الذين عاشوا فترة الوحي وشاهدوا التنزيل، أو عن أحد التابعين الذين سمعوا ذلك من الصحابة، فلم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من بيان للسور المكية والسور المدنية لأن هذا مما يشاهده ويحضره الصحابة، فالمكي والمدني يعرف بغير نص من الرسول[٣].

وقال الباقلاني[٤]: فأما المكيّ والمدنيّ من القرآن فلا شبهةَ على عاقلٍ في حفظ الصحابةِ والجمهورِ له والإحاطة بذلك وبالأسباب والأحوالِ التي نزل فيها ولأجلها، غير أنه لم يكن من النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك قولٌ ولا نصّ ولو كان ذلك منه لظهرَ وانتشَر، وعُرفت الحالُ فيه.[٥]

---

(١) الجعبري: هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، يقال له (شيخ الخليل) وقد يعرف بابن السراج، كنيته في بغداد (تقي الدين) وفي غيرها (برهان الدين) له نحو مئة كتاب أكثرها مختصر، توفي سنة: ٧٣٢هـ. الأعلام للزركلي (١/ ٥٥).

(٢) الزركشي، البرهان (١ / ١٨٩).

(٣) الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م؛ ص: ١٢٦.

(٤) ابن الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب البصري، الإمام، العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، القاضي، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه، وكان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه، ذكره القاضي عياض في طبقات المالكية فقال: هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، توفي سنة ٤٠٣هـ . سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠).

(٥) الباقلاني، محمد بن الطيب القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م (١/ ٢٤٧). بتصرف.

وقال الإمام الزقاني[1]: "لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان للمكي والمدني؛ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا. وليس بعد العيان بيان"[2].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سبب نزول قوله تعالى: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا }[3]: " إنّي لأعلم حين أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين أنزلت: يوم عرفة وإنّا واللّه بعرفة – قال سفيان: وأشكّ – كان يوم الجمعة أم لا"[4].

وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: "واللّه الّذي لا إله غيره، ما أنزلت سورةٌ من كتاب اللّه إلّا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آيةٌ من كتاب اللّه إلّا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم منّي بكتاب اللّه، تبلّغه الإبل لركبت إليه"[5].

فيؤخذ هذا العلم بالتلقي والرواية، ولايمنع ذلك وجود خصائص لكل قسم استنبطها العلماء بعد النظر في السور المكية والمدنية وهذا هو الطريق الثاني، ويسمى: (القياسي الاجتهادي).

فَنظر العلماء رحمهم الله تعالى في الآيات والسور التي عرفوا أنها مكية أو مدنية بالطريق الأول "السماعي النقلي" واستنبطوا خصائص وضوابط للسور المكية وخصائص وضوابط للسور المدنية، ثم نظروا في السور التي لم يرد نصوص في بيان مكان نزولها، فإن وجدوا فيها خصائص السور المكية

---

(١) الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج في كلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة: ١٣٦٧هـ.

(٢) الزرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة (١/ ١٩٦).

(٣) سورة المائدة، آية ٣.

(٤) صحيح البخاري، باب قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم}، حديث رقم: ٤٦٠٦؛ (٦/ ٥٠).

(٥) المرجع السابق، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٥٠٠٢؛ (٦/ ١٨٧).

قالوا إنها مكية، وإن وجدوا فيها خصائص السورة المدنية قالوا: إنها مدنية، وهذا يكون بالاجتهاد والقياس فسمي هذا الطريق بالقياسي الاجتهادي[1].

(١) دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص: ١٢٧.

المطلب الرابع:

مكية سورة الجاثية

معظم العلماء والمفسرين ذكروا أن السورة مكية بلا خلاف[١]، ومنهم من قال أنها مكية ماعدا آية ١٤مدنية، وهي: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ }.

قال الإمام القرطبي[٢]: سورة الجاثية مكّية كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة. وقال ابن عبّاس وقتادة: إلّا آية، هي: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ } نزلت بالمدينة في عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه، ذكره الماوردي[٣].

ونقل القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنه: إنّها نزلت في عمر رضي اللّه عنه، شتمه رجل من المشركين بمكّة قبل الهجرة. فأراد أن يبطش به، فأنزل اللّه عزّ وجلّ {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ } ثُمَّ نُسِخَت بِقولِه: {فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ }[٤][٥]. فالسّورة كلّها مكّيّة على هذا من غير خلاف[٦].

---

(١) منهم ابن عطية، المحرر الوجيز (٥ / ٧٩) ، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧ / ٢٦٤). والرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٦٨). والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤ / ١٢٢). وهو رأي السيوطي أيضاً في الإتقان حيث حكا قول أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس في تلخيص آي القرآن المدني والمكي فذكر في المكي جملة من السور حتى قال (والحواميم السبع) (١ / ٤٠).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ. الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢)

(٣) الماوردي، النكت والعيون (٥/ ٢٦٠). وحكاه أيضاً الجوزي، زاد المسير (٤ / ٩٦).

(٤) سورة التوبة، آية: ٥.

(٥) النحاس، الناسخ والمنسوخ (ص: ٦٦٣).

(٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق:

وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: أنزلت سورة الشَّرِيعَة بمكة[1].

وقال الشيخ محمد حجازي في تفسيرة: هي مكية على الصحيح[2].

وعن ابن عباس أنه قال الحواميم كلها مكية [3].

وقال الزركشي: الحواميم كلّها مكّيّات غير آية في الأحقاف نزلت في عبد اللّه بن سلام: {قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ }[4][5].

وقال الشيخ دروزة محمد عزت في تفسيره: (وفصول السورة مترابطة متساوقة مما يسوّغ القول إنها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة. وقد روى المصحف الذي اعتمدناه أن الآية [١٤] مدنية وانسجامها في سياقها موضوعا وسبكا يحمل على الشك في الرواية)[6].

وقال المراغي في تفسيره: هى مكية إلا الآية الثامنة فمدنية [7].

وهو قول غريب من وجهين:

أولاً: مخالفته لما سبق إيراده من كون السورة مكية كلها.

ثانياً: بالنظر لسياق الآيات، يتضح جلياً أن الآية مرتبطة فيما قبلها وما بعدها:

قال تعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن

أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٦ / ١٥٦).

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ٤٢٢).

(٢) الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ (٣ / ٤٢٢).

(٣) السمرقندي ، بحر العلوم (٣ / ١٩٧)

(٤) سورة الأحقاف، آية: ١٠.

(٥) الزركشي، البرهان (١ / ٢٠٢).

(٦) دروزة محمد عزت، التفسير الحديث ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، طبعة ١٣٨٣هـ (٤ / ٥٥٧).

(٧) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٢٥ / ١٤٠).

دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١ }[1].

قال المراغي[2] في سبب نزولها: نزلت الآية في النضر بن الحارث[3] وكان يشترى أحاديث الأعاجم، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن، وهى عامة في كل من كان صادّا عن الدين مستكبرا عن اتباع هدايته[4].

وذكر هذا السبب غيره من المفسرين، منهم السمرقندي فقال في تفسير {وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا} "يعني: إذا سمع من آياتنا، يعني: من القرآن، اتخذها هزءاً. يعني: سخرية. ويقال: مثل حديث رستم واسفنديار، وهو النضر بن الحارث أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ يهانون فيه"[5].

ونقل الإمام البغوي أيضاً في قوله تعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ} أي: كذَّاب صَاحِب إثم يَعني النّضر بن الحارث[6].

وقال الإمام ابن عطيه أيضاً: وروي أن سبب هذه الآية أبو جهل، وقيل النضر بن الحارث، والصواب أن سببها ما كان يفعل المذكوران وغيرهما، وأنها تعم كل من دخل تحت الأوصاف المذكورة إلى يوم القيامة[7].

وفي هذا دلالة على أن الآية مكية أيضاً، فبالنظر لسيرة النضر بن الحارث، نرى أنه أجمع أهل

---

(١) الآيات: ٧-١١.

(٢) المراغي: أحمد بن مصطفى، مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، من كتبه: الحسبة في الإسلام، والوجيز في أصول الفقه، وتفسير المراغي، وعلوم البلاغة، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ. الأعلام للزركلي (١/ ٢٥٨).

(٣) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، بفتح الكاف، ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القريشى العبدرى. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت (٢/ ١٢٦).

(٤) تفسير المراغي (٢٥/ ١٤٤).

(٥) السمرقندي، بحر العلوم (٣/ ٢٧٦).

(٦) البغوي، معالم التنزيل (٧/ ٢٤١).

(٧) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨١).

المغازى والسير على كونه قُتل يوم بدر كافرًا؛ لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، حيث أُسر ثمّ قَتله على بن أبي طالب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكما هو مشهور أن غزوة بدر كانت لسنةٍ وثمَانِية أشهر من الهجرة، في سبع عشرَة لَيلة خلت من رمضان[1]. فَيظهر أن النضر كان يؤذي الإسلام قبل الهجرة، فإن كان سبب نزول الآية ماكان يفعله هو وإن كان المعنى عاماً، ففي هذا دلالة على أن السورة جميعها مكية بلا خلاف.

ومما ورد أنه نزل في النضر أيضاً، ماذكره ابن عباس في قول الله تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ}[2] إنها نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري كتب الأعجام من فارس والروم وكتب أهل الحيرة فيحدث بها أهل مكة، وإذا سمع القرآن أعرض عنه واستهزأ به. فلما أُسر يوم بدر أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يضرب عنقه وعنق عقبة بن أبي معيط صبراً فقتلا.

ومن اللطائف المروية هنا أنَ ابنة النضر قتيلة قالت أبياتاً ترثي أباها، وفي بعض الروايات أنها أتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدتها فرق لها النبي وبكى وقال لها: لو جئتني من قبل لعفوت عنه، ثم قال: لا تقتل قريش صبراً [3] بعد هذا. والأبيات هي:

يَـا رَاكِبًـا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظِنَّـةٌ *** مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

أَبْلِـغْ بِهَـا مَيْتًا بِـأَنَّ تَحِيَّـةً *** مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفُقُ

مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْـرَةٌ مَسْفُوحَـةٌ *** جَادَتْ بِوَابِلِهَا وَأُخْرَى تَخْتَنِـقُ

هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ *** أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ

---

(١) أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، خلاصة سير سيد البشر، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م؛ ص: ٥٢.

(٢) سورة لقمان، أية: ٦ .

(٣) وفي معنى (صبراً) يُقال: صبرت القتيل على القتل: إذا حبسته عليه لتقتله بالسيف وغيره من أنواع السلاح وسواه، وكل من قُتل أيَّ قِتلة كانت إذا لم يكن في حرب ولا على غفلة ولا غِرة فهو مقتول صبراً. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م (٢/ ٦١٨).

أَمُحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضِنْءٍ كَرِيمَــةٍ *** مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا *** مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنِقُ

أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفَقَنْ *** بِأَعَزِّ مَــا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَــقُ

وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْتَ قَرَابَةً *** وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَـانَ عِتْقٌ يُعْتَـقُ

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ *** لِلَّهِ أَرْحَــامٌ هُنَـاكُ تُشَقَّــقُ

صَبْرًا يُقَــادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتْعَبًــا *** رَسْفَ الْمُقَيَّدِ وَهْوَ عَانٍ مُوثَقُ

وبعدما انتهت من قصيدتها وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما قال. قالت تمدحه بقصيدة مطولة -عُثر منها على هذا البيت-:

الواهب الألف لا يبغي به بدلاً *** إلا الإله ومعروفاً بما اصطنعا [1]

قال البيهقي: قال ابن هشام: ويقال: -والله أعلم- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه»، ويقال: إن هذه الأبيات مختلقة، والله تعالى أعلم[2].

ولما عُلم أن الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، ولا يُقبل القول بمدنية بعض آياتها إلا بدليل استثنائي صحيح، كما قال الشيخ محمد رشيد رضا[3] في تفسيره: "ولما كان وجود

---

(١) تزوجت قتيلة بعبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس فولدت له علياً والوليد ومحمداً وأم الحكم وقد أسلمت بعد قتل أبيها وصارت من الصحابيات المروي عنهن الحديث وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب. العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله فواز العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، الطبعة الأولى ١٣١٢هـ؛ ص: ٤٥١.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، السنن الصغير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، الطبعة الأولى:١٤١٠هـ - ١٩٨٩م (٣/ ٣٨٤).

(٣) محمد رشيد رضا: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، بغدادي الأصل، حسيني النسب، أصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا، و (تفسير القرآن الكريم) الذي طبع اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله توفي سنة: ١٣٥٤هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٦).

آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل، فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال"[1].

ولم يرد دليل صحيح على مدنية أي آية منها، فسورة الجاثية على هذا مكية كلها.

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشر سنة١٩٩٠م (٧/ ٢٣٧).

المبحث الخامس:

خصائص السور المكية وإنزالها على سورة الجاثية

حيث إن سورة الجاثية مكية فسأتعرض هنا لخصائص السور المكية وأنزلها على سورة الكريمة:

خصائص السور المكية:

قال الزركشي: قَالَ الْجَعْبَرِيُّ[1]: "لمعرفة المكي والمدني طريقان سماعي وقياسي فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما والقياسي قال علقمة عن عبد الله كل سورة فيها يأيها الناس فقط أو كلا أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين والرعد في وجه أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى فهي مكية وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية"[2].

وكل سورة فيها سجدة فهي مكية [3].

وكل سورة من المفصل فهي مكية. وإن كان هذا القول على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميع سوره والمفصل هو: السور الأخيرة من القرآن الكريم مبتدئةً من سورة الحجرات على الأصح وسميت بذلك لكثرة الفصل فيها بين السور بعضها وبعض من أجل قصرها.

وقيل: سميت بذلك لقلة المنسوخ فيها فقولها قول فصل: لا نسخ فيه ولا نقض[4].

كل سورة مبدوءة بقسم مكية، وهي خمس عشرة سورة هي الصافات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، العصر[5].

---

(١) سبقت ترجمته، صفحة: ٨٤.

(٢) الزركشي، البرهان (١ / ١٨٩).

(٣) السيوطي، الإتقان (١ / ٦٩).

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان (١ /١٩٧، ١٩٨).

(٥) فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن (١ / ١٣٠).

• تطبيق الخصائص على سورة الجاثية:

١-ماكان فيه {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ }: فمدني، وما كان فيه {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}: فمكي، وإن كان الشرط ليس على إطلاقه، وسورة الجاثية خلت من كلا اللفظين.

٢-أن ما ورد فيه لفظ: {كَلا} فهو مكي، ولم ترد الكلمة في السورة.

٣-أن ما ابتدأ بالقسم أو بالحمد، أو بأحد الحروف المقطعة - سوى سورتي البقرة وآل عمران بالإجماع وسورة الرعد فيها خلاف- فهو مكي وقد ابتدأت السورة الكريمة بقوله تعالى {حم}.

٤-ما ذكر فيه قصة آدم عليه السلام وإبليس اللعين، فهو مكي، ولم ترد القصة في هذه السورة.

٥-إن وُجد في السورة سجدة دل على أنها مكية، ولا يوجد في السورة سجدة.

٦-كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية -ماعدا سورة البقرة- وقد ورد في سورة الجاثية الحديث عن فضائل الله لبني إسرائيل في الآيتين ١٧و ١٨: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ }

٧-كل سورة من المفصل فهي مكية[١]، والمفصل ماوَلِيَ المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ منه، ولهذا يُسمى بالمحكم أيضاً. فقد ورد عن سعيد بن جبير، قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم، قال: وقال ابن عباس: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»[٢]، وآخره سورة الناس بلا نزاع.

• واختلف في أوله على اثني عشر قولا:

---

(١) اللفظ ليس على إطلاقة، بل هو الغالب فسورة النصر مثلاً من المفصل لكنها مدنية.

(٢) صحيح البخاري، باب: تعليم الصبيان القرآن، حديث رقم: ٥٠٣٥؛ (٦/ ١٩٣).

أحدها: سورة ق. الثاني: سورة الحجرات. الثالث: سورة القتال (محمد). الرابع: سورة الجاثية. والخامس: سورة الصافات. والسادس: الصف. والسابع: سورة تبارك (الملك). والثامن: سورة الفتح. والتاسع: سورة الرحمن. والعاشر: سورة الإنسان. والحادي عشر: سورة سبح. والثاني عشر: سورة الضحى[1].

قال الإمام الزرقاني: "والمفصل: هو أواخر القرآن واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولا فقيل أوله ق وقيل غير ذلك وصحح النووي أن أوله الحجرات"[2].

وهنا تكون سورة الجاثية داخلة في سور المفصل وفق القولين الرابع والخامس، وفي باقي الأقوال العشرة تكون غير داخلة في سور المفصل، وإن أخذنا بتصحيح النووي فتكون السورة الكريمة غير داخلة في سور المفصل.

- وهناك أمارات غالبة لما يكثر في السور المكية ويشيع:

- منها: قصر الآيات والسور، وإيجازها، وحرارة تعبيرها، وتجانسها الصوتي.
- والدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر، وتصوير الجنة والنار.
- والدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، والاستقامة على الخير.
- ومجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم[3].

وهذه الأمارات كلها واضحة في سورة الجاثية.

---

(١) السيوطي، الإتقان (١/ ٢٢١).

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٥٢).

(٣) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، كانون الثاني – يناير ٢٠٠٠م (١ / ١٨١- ١٨٣).

المبحث الثاني:

مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها.

وفيه تمهيد وسبعة مطالب:

*،

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: شرف هذا العلم وفائدته.

المطلب الثالث: ترتيب الآيات والسور.

المطلب الرابع: أنواع علم المناسبة.

المطلب الخامس: مناسبة سورة الجاثية لِآل حم.

المطلب السادس: مناسبة سورة الجاثية لما قبلها.

المطلب السابع: مناسبة سورة الجاثية لما بعدها.

التمهيد:

حيث إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أيد الله عز وجل بها رسوله عليه الصلاة والسلام، فالخطاب فيه موجه لجميع العقول والأفهام، وعصمة وشفاء من كافة الأدواء والأسقام، وطهارة وبراءة من ظلمات الشك والأوهام، خصه تعالى بنزوله مفرقاً حسب الحوادث وتدرج الأحكام، وجمعه عز وجل جمعاً في غاية الإحكام والانتظام، فبالرغم من أن ترتيبه لم يكن على حسب النزول نجد السورة كلها مترابطة متصلة الأجزاء، يأخذ بعضها بحجز بعض في نسق بياني رائع، وكل آية مرتبطة برباط معنوي وبياني، وهذا من الإعجاز الذي لا يمكن أن يكون إلَّا إذا كان القرآن كله من عند الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء، الذي اختار القرآن معجزة صفيه وخليله خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم(١).

قال الإمام الزركشي: "قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، فهي على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً "، ومن المعجز البين أسلوبه، ونظمه الباهر، فإنه:{كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }"(٢)(٣).

(١) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي (١ / ٢٤١).

(٢) سورة هود، آية : ١.

(٣) الزركشي، البرهان (١/ ٣٧).

المطلب الأول:

تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً

المناسبة في اللغة:

من (نَسَبَ) النُّون والسِّين والباء كلمة واحدة قياسها اتِّصال شيء بِشيء[1]، وَفُلَانٌ (يُنَاسِبُ) فُلانًا فهو (نَسِيبُهُ) أي قريبه. وبينهما (مُنَاسَبَةٌ) أي مُشَاكلة[2].

فالمناسبة في اللّغة المشاكلة والمقاربة[3].

قال الزركشي: "والمناسبة في اللّغة المقاربة وفلانٌ يناسب فلانًا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النّسيب الّذي هو القريب المتّصل كالأخوين وابن العمّ ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنًى رابطٍ بينهما وهو القرابة ومنه المناسبة في العلّة في باب القياس الوصف المقارب للحكم"[4].

وفي اصطلاح المفسرين:

عرفها ابن العربي[5] في كتابه سراج المريدين: بأنها: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[6].

وقال السيوطي: "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التّلازم الذّهنيّ كالسّبب والمسبّب والعلّة

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥/ ٤٢٣).

(٢) الرازي، مختار الصحاح؛ ص: ٣٠٩.

(٣) السيوطي، الإتقان (٣/ ٣٧١).

(٤) الزركشي، البرهان (١/ ٣٥).

(٥) أبو بكر ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، قاض، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. من كتبه (العواصم من القواصم)، و (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي) و (أحكام القرآن)، توفي سنة: ٥٤٣هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ٢٣٠).

(٦) القاضي أبي بكر ابن العربي، سراج المريدين. نقلاً عنه: السيوطي، الإتقان (٣/ ٣٦٩).

والمعلول والنّظيرين والضّدّين ونحوه"[1].

وقال الزركشي بأنها: أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول[2].

فعلم المناسبة علم يعنى بإبراز أوجه الصلة وتناسب الآيات والسور، وسبق التطرق لهذه الأقوال في تعريف التناسق الموضوعي[3].

(١) السيوطي، الإتقان (٣/ ٣٧١).

(٢) الزركشي، البرهان (١/ ٣٥).

(٣) صفحة: ٢٧.

المطلب الثاني:

شرف هذا العلم وفائدته

أولاً: تعلقه بكتاب الله العزيز، وهل في الدنيا أكرم وأعظم وأجل من كتاب الله، فشرف هذا العلم من شرف من قاله ونقله وبلغه، فقائلة هو الله عز وجل، وناقله أشرف الملائكة جبريل عليه السلام، إلى أفضل البشر وأكملهم وأعظمهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: أنه وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم. قال السيوطي: "الوجه الرابع من وجوه إعجازه: مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني وقد ألف عماؤنا في أسرارها تواليف كثيرة منهم العلامة أبو جعفر بن الزبير[1] شيخ أبي حيان في كتاب سمَّاه: البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن. ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سمَّاه نظم الدرر في تناسب الآي والسور. وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمَّنه مرتباً من جميع وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته تناسق الدرر في تناسب السور". وقال أيضاً: "وعلم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[2].

وقال الإمام الرازي في تفسير سورة البقرة: "ومن تأمّل في لطائف نظم هذه السّورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أنّ القرآن كما أنّه معجزٌ بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعلّ الّذين قالوا إنّه معجزٌ بسبب أسلوبه أرادوا ذلك. إلّا أنّي رأيت جمهور المفسّرين معرضين عن هذه اللّطائف غير منتبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلّا كما قال المعري:

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ * * * وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ[3]

---

(١) سبقت ترجمته صفحة: ١٠.

(٢) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٤٣). نقلاً عن: الرازي، التفسير الكبير (١٠/ ١١٠).

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: محمد رضوان

وقال الباقلاني: فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه. ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولي به على الأمد وتصل به إلى المقصد وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس وتتيقن تناهي بلاغته كما تتيقن الفجر وأقرب عليك الغامض وأسهل عليك العسير، واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب[1].

الداية، دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب، دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ

السيوطي، الإتقان (٣/ ٣٧٠). نقلاً عن: الرازي، التفسير الكبير (٧/ ١٠٦).

(١) الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م؛ ص: ١٨٤.

المطلب الثالث:

ترتيب الآيات والسور

أولاً/ ترتيب الآيات:

ترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدليل النصوص الصحيحة الثابته والإجماع.

– ومن النصوص الثابته: مارواه ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال: "قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرّحمن الرّحيم، فوضعتموها في السّبع الطّول، فما حملكم على ذلك؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا يأتي عليه الزّمان وهو ينزل عليه من السّور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشّيء دعا بعض من يكتب له، فيقول: "ضعوا هذه في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا"، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: "ضعوا هذه الآيات في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا"، وإذا أنزلت عليه الآية، قال: "ضعوا هذه الآية في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا"، قال: وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما أنزل من القرآن، قال: فكانت قصّتها شبيهًا بقصّتها، فظننّا أنّها منها، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبيّن لنا أنّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطرًا: بسم الله الرّحمن الرّحيم، ووضعتها في السّبع الطّول"[1].

– ومنها: مارواه عثمان بن أبي العاص قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، إذ شخصَ ببصره ثم صوَّبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: أتاني

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٤٩٩ (١/ ٥٢٩). وأبي داود، حديث رقم: ٧٨٦ (١/ ٢٠٨). والترمذي وقال: «هذا حديث حسنٌ لا نعرفه إلّا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس» ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عبّاسٍ، غير حديثٍ، ويقال هو: يزيد بن هرمز، ويزيد الرّقاشيّ هو: يزيد بن أبان الرّقاشي ولم يدرك ابن عباس إنما روى عن أنس بن مالكٍ، وكلاهما من أهل البصرة، ويزيد الفارسيّ أقدم من يزيد الرّقاشيّ ". سنن الترمذي، تحقيق: شاكر، حديث رقم: ٣٠٨٦ (٥/ ٢٧٣).

جبريل عليه السلام، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ}[1]"[2].

وأخرج البخاري عن ابن أبي مليكة، قال: قال ابن الزّبير: قلت لعثمان: هذه الآية الّتي في البقرة { وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا}[3] إلى قوله { غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ }[4] قد نسختها الأخرى، فلم تكتبها؟ قال: «تدعها يا ابن أخي، لا أغيّر شيئًا منه من مكانه»، قال حميدٌ: أو نحو هذا[5].

ومنها: ما رواه مسلم عن أبي الدّرداء، أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آياتٍ من أوّل سورة الكهف عصم من الدّجّال»، وفي لفظ له: (من آخر الكهف)[6].

وأيضاً: مارواه مسلم عن معدان بن أبي طلحة، أن عمر بن الخطّاب، خطب يوم جمعةٍ، فذكر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، وذكر أبا بكرٍ، ثمّ قال: إنّي لا أدع بعدي شيئًا أهمّ عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيءٍ ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيءٍ ما أغلظ لي فيه، حتّى طعن بإصبعه في صدري، وقال: «يا عمر، ألا تكفيك آية الصّيف الّتي في آخر سورة النّساء، وإنّي إن أعش أقض فيها بقضيّةٍ يقضي بها من يقرأ القرآن، ومن لا يقرأ

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن أسود بن عامر، عن هريم بن سفيان، عن ليث بن أبي شليم، عن شهر بن حوشب. وهذا إسناد ضعيف فيه شهر وقد ضُعِّف، وليث بن أبي سُليم سيئ الحفظ. مسند أحمد، حديث رقم: ١٧٩١٨ (٥/ ٨٩) و (٢٩/ ٤٤١). ومع ذلك فقد قال ابن كثير في "تفسيره" هذا إسناد لا بأس به، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين – والله أعلم–. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٣).

(٣) سورة البقرة، آية:٢٣٤ .

(٤) سورة البقرة، آية:٢٤٠ .

(٥) صحيح البخاري، باب: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا} سورة البقرة، آية: ٢٣٤، حديث رقم: ٤٥٣٦؛ (٦/ ٣١).

(٦) صحيح مسلم، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، حديث رقم: ٨٠٩؛ (١/ ٥٥٥).

القرآن»[1].

قال ابن الزبير الغرناطي[2]: "اعلم أولا أن ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"[3].

وقال الإمام الباقلاني: "والذي نذهب إليه أن ترتيبه ونظمه ثابتٌ على مانظمه الله سبحانه، ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدّم من ذلك مؤخراً، ولا أخّر منه مقدماً، وأن الأمة ضبطت على النبي صلى الله عليه وسلم ترتيبَ آي كل سورة ومواضعها، وعَرَفَت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القرآن وذات التلاوة، وأنه قد يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سوره على ما انطوى عليه مصحفُ عثمان، كما رتب آياتِ سوره، ويمكن أن يكون قد وكَلَ ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتولّ ذلك بنفسه صلى الله عليه وسلم، وأن هذا القول الثاني أقربُ وأشبه أن يكون حقاً"[4].

وبهذا يتبين الإجماع بكون ترتيب آياته توقيفي، وبهذا حُقَّ لكل باحث في مجال الدراسات القرآنية أن يبحث في علم التناسب بين آيات الذكر الحكيم، فكل ما اتصل بهذا الذكر الحكيم مُعجز، وتعلمه وبحث ما انطوى عليه من أجل وأعظم الأمور، حيث إن تطرق العلماء له قليل.

---

(١) المرجع السابق، حديث رقم: ١٦١٧؛ (٣/ ١٢٣٦).

(٢) سبقت ترجمته، صفحة: ١٣.

(٣) ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م؛ ص: ١٨٢.

(٤) الباقلاني، الانتصار للقرآن (١/ ٥٩)، بتصرف.

ثانياً/ ترتيب سورة:

حيث عُلم أن ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف، بقي الحديث عن ترتيب السور في المصاحف الذي بين أيدينا، والتي هي نسخة عن مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي كتبه بمرأى من الصحابه الكرام، الذين وافقوه ولم نعلم لهم مخالف، وهم أعلم الناس بالوحي الكريم، وأحرص الناس على اتباع هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في كل أمورهم.

وإن كان هناك خلاف في كون توتيب السور توقيفي أم اجتهادي إلا أن سورة الجاثية ترتيبها توقيفي بلا خلاف.

قال الإمام ابن عطية: "وظاهر الآثار أن السبع الطول والحواميم والمفصل كان مرتبا في زمن النبي عليه السلام، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت الكتب"(١).

وسورة الجاثية هي السورة السادسة من سور آل حم السبع، فترتيبها توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (١/ ٥٠).

المطلب الرابع:

أنواع علم المناسبة

- **أولاً: المناسبات بين السور:**

المناسبة بين كل سورة والسورة التي تسبقها، والسورة التي تليها.

كقولنا أنّ الرابط بين سورة النبأ والنازعات قضية البعث.

وجعل له الزركشي فصلاً مستقلاً، وقال: "ومن أسراره مناسبة فاتحة السّورة بخاتمة الّتي قبلها حتّى إنّ منها ما يظهر تعلّقها به لفظًا كما قيل في قوله تعالى: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ }[1] {لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ }[2].

والسور التي تشترك في المطلع كآل حم، والمبدوءة بـ الم، أو المبدوءة بالتسبيح أو الحمد. تدخل في هذا القسم.

- **ثانياً: مناسبة أجزاء الآية الواحدة لبعضها وخاتمتها.**

قال الإمام الزركشي: " وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها، والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عامٌّ أو خاصٌّ عقليٌّ أو حسّيٌّ أو خياليٌّ وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهي كالسّبب والمسبّب والعلّة والمعلول والنّظيرين والضّدّين ونحوه أو التّلازم الخارجيّ كالمرتّب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعضٍ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التّأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[3].

---

(١) سورة الفيل، آية: ٥.

(٢) سورة قريش، آية: ١.

(٣) الزركشي، البرهان (١/ ٣٥).

• **ثالثاً: مناسبة آيات السورة لبعضها، ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.**

قال الإمام أبو جعفر الغرناطي بعد الحديث عن الآية الخامسة من سورة المطففين: "ثم التحمت الآي مناسبة لما افتتحت به السورة إلى خاتمتها"(١).

والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له. وإذا اعتبرت افتتاح كل سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، وإذا ثبت هذا بالنّسبة إلى السّور فما ظنّك بالآيات وتعلّق بعضها ببعضٍ، بل عند التّأمّل يظهر أنّ القرآن كله كالكلمة الواحدة(٢).

وذكر الآية بعد الأخرى إمّا أن يظهر الارتباط بينهما لتعلّق الكلام بعضه ببعضٍ وعدم تمامه بالآية الأولى، وكذلك إذا كانت الثّانية للأولى على جهة التّأكيد والتّفسير أو الاعتراض والتّشديد وهذا القسم لا كلام فيه، وإمّا ألّا يظهر الارتباط بل يظهر أنّ كلّ جملةٍ مستقلّةٌ عن الأخرى وأنّها خلاف النّوع المبدوء به، فإمّا أن تكون معطوفةً على ما قبلها بحرفٍ من حروف العطف المشترك في الحكم ومنه: أن تكون معطوفةً ولا بدّ أن تكون بينهما جهةٌ جامعةٌ على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}(٣).

وقد تكون العلاقة بينهما المضادّة وهذا كمناسبة ذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب والرّغبة بعد الرّهبة وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا، ليكون ذلك باعثًا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم الآمر والنّاهي.

وقد يكون العطف من باب الاستطراد، كقوله تعالى: {يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}(٤).

---

(١) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن؛ ص: ٣٥٩.

(٢) الزركشي، البرهان (١/ ٣٧).

(٣) سورة سبأ، آية: ٢ .

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط فتحتاج إلى شرحٍ، كقوله تعالى: {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ}[1]، فقد يقال أيّ رابطٍ بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت والجواب من وجوهٍ وليس المجال هنا لذكرها[2].

وقد أورد الإمام الزركشي فصلاً في مناسبة فواتح السور وخواتمها، فقال: "ومن أسراره مناسبة فواتح السّور وخواتمها"[3]، وللسيوطي في ذلك كتاب: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع.

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٢) الزركشي، البرهان (١/ ٤٠).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٨٥).

المطلب الخامس:

مناسبة سورة الجاثية لِآل حم

افتتحت سورة الجاثية بالحروف المقطعة مما يعني أن هناك تناسقاً عاماً بينها وبين جميع السور التي ابتدأت بالحروف المقطعة، وتناسقاً خاصاً بينها وبين السور التي ابتدئت بـ "حم".

ومناسبتها مع السور المفتتحة بالأحرف المقطعة: أن كلها أو معظمها يُذكر بعدها الحديث عن القرآن الكريم ، وكذلك سورة الجاثية فبُدئت بـ {حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ }. فحيث إن السور السبع (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف) اشتركت في المطلع "حم" ومر معنا أيضاً أنها نزلت بهذا الترتيب كذلك[١]، فهذا يعني أنّ بينها أمراً جامعاً تختلف به عن باقي السور، قال الزركشي: "لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم أحدها بحسب الحروف كما في آل حم"[٢].

والرابط المشترك بين آل حم هو اشتراكها في الافتتاح بـ (حم) وبذكر الكتاب بعد (حم)، وكونها جميعاً مكية حيث نزلت متتابعة لم يتخللها أي سورة[٣].

قال الكرماني[٤]: "وسميت هذه السورَ السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به، وهو أن كل واحدة استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام[٥].

---

(١) انظر: مبحث تاريخ نزول السورة، صفحة: ٦٩.

(٢) الزركشي، البرهان (١/ ٢٦٠).

(٣) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع؛ ص: ١٢٩.

(٤) سبقت ترجمته، صفحة: ٣٦.

(٥) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٠٣٧). ونقله عنه السيوطي في الإتقان (٣/ ٣٨٧)، وفي معترك الأقران (١/ ٥٧).

ويُطلق عليها الكثير لفظ: (الحواميم)[1] أو (آل حم) "ووجود رأس واحدة تشترك فيها عدة سور هي إيذان بأن هذه الرأس منها لامحالة معنى جامع في هذه العائلة ذات الرأس الواحدة، وأن من حسن التدبر لكتاب الله ومن واجب النصح لكتاب الله أن نجتهد في معرفة هذا الأمر الجامع"[2].

وهذه جملة من المواضيع المشتركة بين آل حم السبع:

أولا/ الحديث عن القرآن:

تناولت هذه السور في مطالعها الحديث عن القرآن الكريم، وأنه قد اجتمع فيه شرف المنَزِّل والمنَزَّل، فهو من لدن عزيز عليم رحمن رحيم حكيم، وهو كتاب آياته مفصلة باللسان العربي المبين له المترلة العالية عند المولى جل وعلا مشتمل على جميع أنواع الحكم والأمور المحكمة وقت نزوله في ليلة مباركة.

قال تعالى في مطلع سورة غافر: {حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ }وفي مطلع سورة فصلت جاء فيه بيان أن هذه القرآن أنزله الرحيم بعباده وفصله لهم باللغة العربية، قال تعالى: {حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ}، وفي مطلع سورة الشورى جاء بيان أن الوحي إلى نبينا صلى الله عليه وسلم سنة كانت للأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: {حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ }، وختم سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة بامتنانه على نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا الوحي العظيم الذي جعله مشعل هداية لمن شاء من

---

(١) نقل عن الحريري أنه قال: "يقولون: قرأتُ الحواميمَ والطواسِينَ، والصواب: قرأت آل حم وآلَ طس".
علي بن لالي بالي بن محمد القسطنطيني الحنفي، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، (ص: ١٨).

(٢) أبو موسى، الدكتور محمد محمد أبو موسى، آل حم دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، مصر – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م (٣/ ٣٤).

عباده جل وعلا فقال: {وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}[1].

وجاء في مطلع سورتي الزخرف والدخان القسم بالكتاب ووصفه بأنه مبين، وفي الزخرف بين سبحانه وتعالى أنه جعله لعباده باللغة العربية لعله يلمس عقولاً صافية تعقله وتعمل بما فيه {حٰمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣}، وفي سورة الدخان بيان وتشريف الليلة التي اختارها الله لوقت نزوله {حٰمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣}، وجاء في آخرها بيان تيسيره باللغة العربية ليتذكر وينتفع به الناس {فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ}[2]. وفي سورتي الجاثية والأحقاف بين سبحانه أن نزوله كان من لدن عزيز حكيم فقال عز وجل في كلا السورتين: {حٰمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ}.

ثانيا/ قصص الأنبياء عليهم السلام:

ذكرت قصص الأنبياء عليهم السلام في آل حم السبع بعضها مجمل وبعضها مفصل، ولم تخل سورة منهن من قصة موسى عليه السلام مع قومه، وكذلك ماجرى بين نبينا عليه الصلاة والسلام مع أهل مكة الذين نزل فيهم الخطاب.

وذكر سبحانه وتعالى قصة موسى بالتفصيل في سورة غافر، وبدأها بقوله: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ}[3]، وذكر بعض الأمم السابقة: {مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ

(١) آية: ٥٢.

(٢) آية: ٥٨.

(٣) آية: ٢٣.

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ }[1].

وفي سورة فصلت هدد الله كفار مكة ببيان حال من سبقهم من المشركين {فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ}[2]، وذكر في آخرها ما امتن به على موسى عليه السلام من إيتاءه الكتاب: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ }[3].

وفي سورة الشورى ذكر سبحانه وتعالى أولى العزم من الرسل عليهم صلوات ربي وسلامه {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ}[4]، أما في سورة الزخرف فقد ذكر سبحانه في أولها أنه أرسل الأنبياء إلى أقوامهم جملة {وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ}[5]وتحدث عن إبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه فقال تعالى: {وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ}، {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }، {وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ}[6].

وضرب سبحانه في سورة الدخان المثل لكفار مكة بقوم موسى فقال تعالى: {وَلَقَدۡ فَتَنَّا

---

(١) آية: ٣١.

(٢) آية: ١٣.

(٣) آية: ٤٥.

(٤) آية: ١٣.

(٥) آية: ٦.

(٦) الآيات: ٢٦، ٤٦، ٥٧.

قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ }[1]، وفي سورة الجاثية كذلك ذكر جل وعلا بني إسرائيل بقوله: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ}[2]، وفي سورة الأحقاف بين سبحانه وتعالى أن موسى تقدمه إلى قومه بكتاب مما أوحي إليه ربه تبارك وتعالى، ثم ذكر سبحانه قصة نبيه هود عليه السلام مع قومه، قال تعالى: {وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ} ، {وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }[3].

ثالثاً/ تقرير البعث:

لما كان إنكار أهل مكة للحياة بعد الموت شديدا واستبعدوا الرجوع للحياة بعد الموت غاية الاستبعاد كان تكرار هذه القضية وتأكيدها في جميع هذه السور واضحٌ جدا، مع تذكيرهم بالنشأة الأولى وضرب الأمثلة لهم بإحياء الأرض الميتة في بعضها، والوعيد الشديد لهم يوم القيامة في بعضها الآخر.

فبين سبحانه وتعالى في سورة غافر إقرارهم يوم القيامة بأنه أوجدهم من عدم ثم أماتهم ثم أحياهم فقال تعالى: {قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ }[4]، وضرب لهم المثل بالأرض التي يعيشون عليها ويرون مظاهر إحيائها بالمطر بالمطر في سورة فصلت بقوله عز وجل: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا

(١) آية: ١٧.

(٢) آية: ١٦.

(٣) الآيتان: ١٢، ٢١ .

(٤) آية: ١١.

عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ }[1]، وقال جل ثناؤه في سورة الشورى مستفهما ومنكرا عليهم تولي غيره ممن لا يملك البعث: أَمِ{ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ }[2]، وكذلك ضرب لهم جل جلاله المثل بالأرض في البعث في سورة الزخرف، وبين سبحانه حال هؤلاء المشركين في إنكارهم للبعث في سورة الدخان بقوله: {إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ٣٥ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٦ }[3]، وفي سورة الجاثية بين سبحانه أن كثيرا من الناس ينكر البعث، لأنه لايعلم حقيقته بقوله: { قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ}[4]، وفي سورة الأحقاف بين سبحانه أن الناس سيحشرون جميعا وتظهر عداوة المعبودين لمن عبدوهم: {وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ }[5].

رابعا/ الترغيب في الجنة:

تعدد ذكر حال المؤمنين، وما أعد الله لهم من النعيم المقيم في الجنة، وفي بعض هذه السور ذكرت مشاهد يوم القيامة، كالحشر وسؤال وتلقي الملائكة للمؤمنين بالتهنئة والتبشير؛ بما أعد لهم جزاء على أعمالهم الحسنة في الدنيا.

قال تعالى في سورة غافر حاكيا حال الداعين المصدقين بموعوده بدخولهم الجنة واجتماعهم بمن صلح من أقاربهم: {رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ

(١) آية:٣٩.

(٢) آية: ٩.

(٣) الآيات: ٣٤ – ٣٦.

(٤) آية: ٢٦.

(٥) آية: ٦.

وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ }[1].

وقال تعالى في سورة فصلت مبينا حال المؤمنين وأن الخوف والحزن يفارقهم بمفارقة الدنيا ويبشرون بما أعد الله لهم من الخير في الجنة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ }[2].

وفي سورة الشورى بين سبحانه أن نعيم الجنة هو الفضل الكبير فقال سبحانه: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ }[3].

وفي سورة الزخرف وصف الله حال المؤمنين في الجنة وتلذذهم وخلودهم فيها قال تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣ }[4].

وجاء في سورة الدخان التصريح بعدم الموت بعد موتة الدنيا وأن الله وقى أهلها عذاب الجحيم ليكثر شوق المؤمنين لهذه الجنة العظيمة قال تعالى: {إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي

(١) آية: ٨.

(٢) الآيتان: ٣٠،٣١.

(٣) آية: ٢٢.

(٤) الآيات: ٦٩ – ٧٣.

جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ }[1].

وذكر سبحانه وتعالى أن دخول المؤمنين الجنة هو الفوز الحقيقي في سورة الجاثية: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ }[2].

وبين سبحانه وتعالى في سورة الأحقاف أن ما ناله المؤمنون من الكرامة بدخول الجنة جزاء على أعمالهم الصالحة فقال جل وعلا: {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[3].

خامساً/ التحذير من النار:

تعدد ذكر حال الكافرين وما أعد لهم من العذاب والنكال والعرض على النار والعياذ بالله وفي بعض هذه السور ذكرت مشاهد يوم القيامة كالحشر وسؤال وتلقي الملائكة للكافرين بأسئلة كلها تبكيت وتذكير بما كانوا عليه من عصيان وتمرد في الدنيا.

فبين سبحانه وتعالى في سورة غافر ما سيلقونه بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى بقوله: {ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ

(١) الآيات: ٥١ – ٥٦.

(٢) آية: ٣٠.

(٣) الآيتان: ١٣، ١٤.

فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ }[1].

وأخبر سبحانه أنهم ستشهد عليهم جوارحهم بما عملوا في الدنيا يوم القيامة في سورة فصلت بقوله: { وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ }[2].

وذكر سبحانه في سورة الشورى حالهم عندما يعرضون على النار والعياذ بالله وأخبر أن هذا المصير هو الخسران الحقيقي فقال تعالى: {وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ }[3].

وجاء في سورة الزخرف الإخبار بخلودهم في النار، فقال سبحانه: {إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ }[4].

وفي سورة الدخان ذكر سبحانه وتعالى بعض مظاهر التعذيب في النار وشدة ما يلقاه المتكبرون المتغطرسون الذين كانوا عقبة في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال جل وعلا: {إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾

---

(١) الآيات: ٧٠- ٧٢.

(٢) الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٣) الآيتان: ٤٤، ٤٥.

(٤) الآيتان: ٧٤، ٧٥.

ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ }[1].

وتوعد الله في سورة الجاثية بالويل من أصر على الاستكبار واتخذ آيات الله هزوا وأنه لن يغني عنهم كسبهم ولا أولياهم فقال وهو أصدق القائلين: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ }[2].

وجاء تبكيت المشركين عند عرضهم على النار في سورة الأحقاف بسبب استكبارهم وفسقهم، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ }[3].

سادساً/ خلق السماوات والأرض:

إقرار المشركين بخلق الله عز وجل للسماوات والأرض أعظم حجة عليهم في ضرورة الإيمان به وقد تنوع تقرير ذلك في هذه السور تارة بأن خلقهما أكبر من خلق الناس وتارة بأن من خلقهما هو الخالق لما بينهما من مما يدب فيهما من دابة، وأن العلة من خلقهما ما يترتب على الإيمان والكفر به سبحانه مع تفصيل بداية ذلك الخلق العظيم في بعض السور.

فجاء في سورة غافر بيان أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فلا معنى لعدم

(١) الآيات ٤٣- ٤٩.

(٢) الآيات: ٧ - ١١.

(٣) آية: ٢٠.

إيمانهم بخالقهم وخالق السماوات والأرض قال تعالى: {لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(١).

وجاء في سورة فصلت تفصيل خلق السماوات وحالها وهي دخان، وحفظ الله لها من الشياطين، وما جعل فيها سبحانه من الزينة، والأرض وما قدر الله فيها من أقوات وجعل فيها من رواسي فقال تعالى: { قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾}(٢).

وبين جل وعلا في سورة الشورى ما بث في السماوات والأرض التي خلقها من دابة وأنه قادر على جمعهم، فقال سبحانه: {وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ}(٣).

وهؤلاء المشركون لا يسعهم إنكار خلق السماوات والأرض إذا سئلوا فقال تعالى في سورة الزخرف: { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ }(٤).

والله جل وعلا، مترہ عن خلق السماوات والأرض لعبا وعبثا، بل خلقهم لحكم عظيمة كلها حق وعدل، كما قال تعالى في سورة الدخان: { وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

(١) آية: ٥٧.

(٢) الآيات: ٩ – ١٢.

(٣) آية: ٢٩.

(٤) آية: ٩.

لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ }[1].

وذكر سبحانه وتعالى أن من حكم خلقه للسماوات والأرض أن تجزى كل نفس بما كسبت دون أن تظلم فقال في سورة الجاثية: {وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[2].

واستنكر جل وعلا على هؤلاء المشركين إيمانهم بخلق السماوات والأرض مع عظمها وإنكارهم للبعث مع أنه أهون من خلقهما فقال سبحانه في سورة الأحقاف: {أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}[3].

(١) الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) آية: ٢٢.

(٣) آية: ٣٣.

المطلب السادس:

مناسبة سورة الجاثية لما قبلها (سورة الدخان)

القرآن الكريم وحدة متناسقة مترابطة، ولكل سورة منه وِحدةٌ وسياق خاص، وهناك تناسقٌ بين السور بحسب ترتيبها المجمع عليه في المصاحف التي بين أيدينا، وهذا ينطبق قطعاً على سورتي الدخان والجاثية، فبالرغم من اختلاف سياق السورتين، فسورة الجاثية يسير سياقها في عرض موضوعها في يسر وهوادة وإيضاح هادىء، وبيان دقيق عميق، على غير ما يسير سياق سورة الدخان قبلها في لفظ قوي.

والله خالق القلوب، ومنزل هذا القرآن، يأخذ القلوب تارة بالقوة، وتارة بالرفق، وتارة بالبيان، حسب تنوعها واختلافها، وحسب تنوع حالاتها ومواقفها في ذاتها، وهو اللطيف الخبير، وهو العزيز الحكيم[1]، ومن التناسب بين السورتين:

أولاً/ مناسبة خاتمة سورة الدخان لفاتحة سورة الجاثية:

حكى السيوطي القول بأنه إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدتها في غاية المناسبة لما ختمت به السورة التى قبلها، وأنه يخفى تارة، ويظهر أخرى[2].

وخُتمت سورة الدخان بقوله: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ } ولعلي استخرج هنا ثلاث روابط:

الرابط الأول: وهو أوضح مايُقال، أن سورة الدخان خُتمت بالحديث عما أنزله الله بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم باللغة العربية، ونعود فنقول أن فاتحة سورة الزخرف تحدثت عن كون القرآن الكريم عربياً بلسان أهل مكة، وكذلك كل نبيٍّ إنما يأتي بكتابٍ موافق للغته ولغة قومه، وكذلك فاتحة سورة الجاثية كباقي آل حم كان في مطلعها الحديث عن تنزيل

---

(١) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ (٥/ ٣٢٢١).

(٢) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن؛ ص: ٤٦.

هذا الكتاب من الله العزيز الحكيم.

الرابط الثاني: قال الله هنا: {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}، وبيّن في الآيات الأول في الجاثية ما يدعو إلى التذكر {إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } فهذه أمور ينبغي النظر والتفكر فيها [1].

ثالثاً: التهديد في قوله: {فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ } يرتقب ماذا؟ فالجواب -والله أعلم- يرتقب يوم يرى كُلَّ أمه جاثية.. كُل أمة تُدعى إلى كتابها..

قال الشيخ عبد الكريم الخطيب: ختمت سورة الدخان بقوله تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ } وهذا الختام هو دعوة إلى النبي أن ينتظر ما ستأتى به الأيام من قومه، ولن ييأس منهم، كما أن هذا الختام هو دعوة للمشركين أن يأخذوا حظّهم من هذه الرحمة المنزلة عليهم من السماء، والتي يسر الله سبحانه وتعالى مواردهم إليها، فجعل القرآن بلسان عربى مبين، ولو كان بغير اللسان العربي، لما كان لهم سبيل إليه.

وهنا تبدأ «سورة الجاثية» بالحديث عن هذا القرآن، وأنه كتاب منزّل من الله العزيز الحكيم، ثم تعرض الآيات بعد هذا بعض ما اشتمل عليه هذا القرآن من هدى، ونور، فكان هذا البدء متلاقيا مع ختام السورة قبلها، معانقا له[2].

وقال الزحيلي: "ابتدأت هذه السورة بالكلام عن تنزيل القرآن من اللَّه تعالى، والذي هو مكمّل لما ختمت به السورة المتقدمة من جعل القرآن بلغة النبي صلى اللَّه عليه وسلم ولغة قومه

---

(١) السامرائي، فاضل صالح، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، فصل سورة الجاثية؛ ص١٣٢.

(٢) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢١٩).

العرب، فهو عربي اللسان نصاً وفحوىً، ومعنىً وأسلوباً، وفي ذلك حث على اتباعه والإيمان به"[1].

ثانياً/ مناسبة مطلع السورتين:

مطلع سورة الدخان: {حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠}.

ومطلع سورة الجاثية: {حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧}.

وفي كلا السورتين نرى تطابق الآية الأولى (حم)، والحديث عن الكتاب في الآية الثانية، بوصفه مبيناً في سورة الدخان وعن تشريفه بكونه نزل في ليلةٍ مباركة. والحديث بوصف منزله في سورة الجاثية وهو الله العزيز الحكيم، وكفى بذلك شرفاً.

واتبع ذلك الحديث عن خلق السماوات والأرض، وهي من أعظم الآيات وأوضحها في الكون، فمن تفكر فيها علم أن لهذا الكون إلهاً واحداً لايستحق العبادة سواه، ثم اتبع الحديث عن السماوات والأرض في كلا السورتين بالوعيد لمن شك أو كذب بآيات ربه.

وإن كان الواضح القول أن الحديث عن السماوات والأرض جاء إجمالاً في سورة الدخان،

(١) الزحيلي، التفسير المنير (٢٥/ ٢٤٦).

كما في بدايتها، وفي الآيتين ٣٨و٣٩: {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ }، ثُم بشي من التفصيل في سورة الجاثية وجاء ذلك في بداية السورة أيضاً وهي الآيات ٣و٤و٥: {إِن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ }، والآية ١٣: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }، والآية ٢٢: {وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }، والآية ٢٧: {وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ } وخاتمة السورة: {فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }.

ثالثاً/ مناسبة مواضيع السورتين:

قال الامام ابن الزبير الغرناطي: "لما تضمنت السور الثلاث المتقدمة إيضاح أمر الكتاب وعظيم بيانه وأنه شاف كاف وهدى ونور، وكان أمر من كفر من العرب أعظم شيء لانقطاعهم وعجزهم وقيام الحجة به عليهم حتى رضوا بالقتل والخزي العاجل وما فاهوا بادعاء معارضة ولا تشوفوا إلى الاستناد إلى عظيم تلك المعارضة، أتبع ذلك تعالى تنبيه نبيه والمؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل سواء مما صد المعرض عن الاعتبار بها أو ببعضها مجرد هواه، ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله"(١).

وقال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها: أن أول هذه مشاكل لآخر سابقتها في الأغراض والمقاصد"(٢).

وموضوعات السور المكية عموماً تدور معانيها على بيان أصول العقيدة الإسلامية والتوحيد، والنبوة والرسالة، والبعث وكذلك الإخبار عن المغيبات، وذكر قصص الأمم السابقة وآيات الله الكونية وذكر الجنة والنار.

مواضيع سورة الدخان:

بدئت السورة ببيان تاريخ بدء إنزال القرآن في ليلة القدر من رمضان، رحمة من اللَّه بعباده، وأن منزله هو مالك الكون كله والمخلوقات جميعها، وأنه هو الإله الحقّ الواحد الذي لا شريك له، غير أن المشركين في شكّ وارتياب من أمر القرآن. ثم وعدتهم بالعذاب الشديد، وبالدّخان المخيف الذي ينذرهم بأسوأ العواقب، ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا.

وأردفت ما سبق بعظتهم بقصة فرعون وقومه مع موسى عليه السّلام، حيث نجّى اللَّه المؤمنين، وأغرق الكافرين في البحر.

ثم وصفت مشركي مكة بأنهم قوم منكرون للبعث وهدّدتهم بالإهلاك كما أهلك المجرمين الأشدّاء من قبلهم، ثم وصفت لهم أهوال يوم القيامة وما فيه من الحساب والعقاب وطعام الزّقوم في نار جهنم وغير ذلك مما يرهب ويرعب، ويثير المخاوف الشّديدة في النّفوس.

---

(١) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن (١ / ٣٠٣).

(٢) تفسير المراغي (٢٥ / ١٤٠).

وختمت السّورة بنعت وبيان مصير الأبرار ومصير الفجّار، لترغيب الفريق الأول وتبشيره بالعاقبة الحميدة، وترهيب الفريق الثاني وإنذاره بالنّكال والعذاب الشّديد[1].

ويمكن تلخيص مواضيعها كالتالي:[2]

الموضوع الأول: فضل القرآن ووقت نزوله.

الموضوع الثاني: أنواع التوحيد.

الموضوع الثالث: الوعيد والتهديد لمكذبي ومعاندي النبي صلى الله عليه وسلم.

الموضوع الرابع: قصة موسى عليه السلام مع قومه وما فيها من العبر والدروس.

الموضوع الخامس: الإخبار عن المشركين بإنكارهم للبعث وضرب المثل لهم.

الموضوع السادس: الاستدلال بالآيات الكونية على مقتضيات الإيمان.

الموضوع السابع: يوم الفصل الذي يجمع الله فيه الخلائق ولا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا.

الموضوع الثامن: بيان حال المجرمين في النار.

الموضوع التاسع: بيان حال المتقين في الجنة.

الموضوع العاشر: تيسير القرآن للتالين وارتقاب الانتقام من المشركين.

وسأتطرق لمواضيع سورة الجاثية في المبحث التالي، لكنني أوردها هنا على وجه الاختصار لبيان المناسبة بين السورتين:

الموضوع الأول: مصدر القران الكريم واثبات وحدانية الله.

الموضوع الثاني: صفة المكذبين بآيات الله وجزاؤهم.

الموضوع الثالث: التذكير بنعم الله تعالى على عباده.

الموضوع الرابع: أمر المؤمنين بالتجاوز عن الكفار، وترك الجزاء على الله عز وجل.

الموضوع الخامس: فضل الله على بني إسرائيل، واختلافهم من بعد العلم.

الموضوع السادس: المنة العُظمى على نبينا صلى الله عليه وسلم بهذه الشريعة، والأمر

---

(١) الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج التفسير المنير، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ (٢٥/ ٢٠٣).

(٢) تحديد مواضيع السور من اجتهادي، بعد الرجوع للتفسيرين الجليلين: التفسير الواضح للدكتور: محمد محمود حجازي، والتفسير المنير للدكتور: وهبة الزحيلي.

بإتباعها.

الموضوع السابع: الفرق بين المحسنين والمسيئين في المحيا والممات.

الموضوع الثامن: صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم.

الموضوع التاسع: بعض من مشاهد يوم القيامة.

الموضوع العاشر: حال المؤمنين والكافرين يومئذ.

الموضوع الحادي عشر: الثناء على الله عز وجل.

فنرى التناسب في الحديث عن القرآن الكريم، والتوحيد، وذكر الآيات الكونية، وقوم موسى (بني إسرائيل)، والحديث عن الكفار وجزائهم، فبدأ بالتهديد في سورة الدخان وأعقبه بجثوهم وحصول جزائهم بتعبير قوي حتمي وكأنك تُشاهد جزاءهم أمام ناظريك: {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[1]، وتحدثت كلا السورتين عن حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة، ومشاهد من ذلك اليوم العظيم.

قال الزحيلي: "تشابه السورتين في الغايات الكبرى التي يستهدفها القرآن: وهي إثبات وحدانية اللَّه من خلال بيان أدلة القدرة الإلهية في خلق السموات والأرض، ومناقشة المشركين في عقائدهم الفاسدة، وضرب الأمثال من مصائر الأمم الغابرة التي أهلكها اللَّه لتكذيبهم الرسل"[2].

وكلا السورتين أكدت على خلق السماوات والأرض بالحق، ففي سورة الدخان: {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[3]، وفي الجاثية: {وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[4].

---

(١) الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٢) الزحيلي، التفسير المنير (٢٥/ ٢٤٦).

(٣) الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٤) آية: ٢٢.

المطلب السابع:

مناسبة سورة الجاثية لما بعدها (سورة الأحقاف)

قدم الله عز وجل ذكر الكتاب وعظيم الرحمة به وجليل بيانه، وأردف بتوبيخ من كذب به فهو سبحانه قد نصب لهم دلائل كثيرة من أوضحها السماوات والأرض، ومع ذلك فلم يجر عليهم إلا التمادي على ضلالهم وكفرهم، ثُم أردفت سورة الأحقاف بيان سوء مرتكبهم، وأليم منقلبهم، فقال تعالى: {مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ}، ولو اعتبروا بعظيم ذلك الخلق وإحكامه وإتقانه لعلموا أنه لم يوجد عبثا، ولكنهم عموا عن الآيات، وتنكبوا عن انتهاج الدلالات {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ}[1]"[2].

أيضاً لما بنيت سورة الجاثية على النظر في الآيات وخاطبت بذلك أهل الإيمان وذلك استدلالاً على يوم الفصل، جاء في الدخان قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ}، فخالقهما استحق الكبرياء؛ فقد قهر الملوك، وهو مميتُ كُلِّ حيّ، وهو العزيز الحكيم الذي يعيدهم للبعث، والخلق كله آيات وحكم واعتبارات، فالله عز وجل هو حق، وما سواه باطل.

"ولما ثبت في الجاثية مضمون قوله تعالى في الدخان {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ}[3] بما ذكر فيهما من الآيات والمنافع والحكم، أثبت هنا مضمون ما بعد ذلك بزيادة الأجل، فقال دالاً على عزته وحكمته: {وَمَا خَلَقْنَا} أي على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء { ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ } على ما فيهما من الآيات التي فصل بعضها في الجاثية.

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٣.

(٢) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن؛ ص: ٣٠٥.

(٣) سورة الدخان، آية: ٣٨.

ولما كان من المقاصد هنا الرد على المجوس وغيرهم ممن ثبت خلقاً لغير الله قال: {وَمَا بَيْنَهُمَا} أي: من الهواء المشحون بالمنافع وكل خير وكل شر من أفعال العباد وغيرهم"[1].

أولاً: مناسبة خاتمة سورة الجاثية لفاتحة سورة الأحقاف:

قال أبو حيان في تفسير سورة الأحقاف: "ومناسبة أولها لما قبلها، أن في آخر ما قبلها { ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا} [2]، وقلتم: أنه عليه الصلاة والسلام اختلقها، فقال تعالى: حمٓ{ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ } وهاتان الصفتان هما آخر تلك، وهما أول هذه"[3].

فكيف تُتَّخذ هذه الآيات هُزُواً وهي منزلة من الله العزيز الحكيم! الذي خلق السماوات والأرض العظيمتان بالحق وأجل مسمى، والذي منعهم من تصديق سيد البشر وأصدقهم محمد صلى الله عليه وسلم ليس عدم بيان الحق؛ بل منعهم كبرهم وإعراضهم، والكبر لايصح ولاينبغي إلا لله العزيز الحكيم.

ثانياً: مناسبة فاتحة السورتين:

مطلع سورة الجاثية: {حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١٩).

(٢) سورة الجاثية، آية: ٣٥.

(٣) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ (٩/ ٤٣١).

حَدِيثٍ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧}.

ومطلع سورة الأحقاف: {حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ }.

أولاً: نرى التطابق التام في الآيتين الأولتين، دون غيرها من السور، إلا أن الآية الثانية من السورتين توافق الآية الأولى من السورة التي تسبق آل حم (الزمر): {تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ }. فهذا القرآن أعظم برهان وحجة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، ثم اتبعه الحديث عن أعظم الآيات الكونية: {ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ}، وفصل في ذكر الآيات التي لاتخرج عن نطاق كونها ضمن نطاق السماوات والأرض في سورة الجاثية. ثُم الحديث عن أهل الضلال الذين كذبوا بهذا الحق الواضح البين الذي أنزل الله له آيات شرعية وآيات كونية في كلا السورتين.

ثالثاً: مناسبة مواضيع السورتين:

مواضيع سورة الجاثية:

الموضوع الأول: مصدر القران الكريم واثبات وحدانية الله.

الموضوع الثاني: صفة المكذبين بآيات الله وجزاؤهم.

الموضوع الثالث: التذكير بنعم الله تعالى على عباده.

الموضوع الرابع: أمر المؤمنين بالتجاوز عن الكفار، وترك الجزاء على الله عز وجل.

الموضوع الخامس: فضل الله على بني إسرائيل، واختلافهم من بعد العلم.

الموضوع السادس: المنة العُظمى على نبينا صلى الله عليه وسلم بهذه الشريعة، والأمر بإتباعها.

الموضوع السابع: الفرق بين المحسنين والمسيئين في المحيا والممات.

الموضوع الثامن: صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم.

الموضوع التاسع: بعض من مشاهد يوم القيامة.

الموضوع العاشر: حال المؤمنين والكافرين يومئذ.

الموضوع الحادي عشر: الثناء على الله عز وجل.

ومواضيع سورة الأحقاف:

الموضوع الأول: إثبات وجود اللَّه تعالى ووحدانيته ووقوع الحشر والرد على عبدة الأوثان.

الموضوع الثاني: شبهات المشركين حول الوحي والنبوة والقرآن.

الموضوع الثالث: أهل الاستقامة وجزاؤهم.

الموضوع الرابع: وصف الولد البار بوالديه

الموضوع الخامس: وصف الولد العاقّ لوالديه منكر البعث.

الموضوع السادس: حال الكفار في النار.

الموضوع السابع: قصة هود عليه السلام مع قومه عاد.

الموضوع الثامن: إيمان الجن بالقرآن.

الموضوع التاسع: إثبات البعث والأمر بالصبر.

فنرى التناسب بين مواضيع السورتين بالحديث عما يدل على وجود الله عز وجلّ، ثُم الحديث عن المشركين ببيان صفتهم وبعض شبهاتهم في سورة الجاثية، وإتمامها في سورة الأحقاف.

أيضاً الحديث عن الكتاب الذي أوتيه موسى عليه السلام، والكتاب الذي أوتيه محمد صلى الله عليه وسلم، ففي سورة الجاثية: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

فِيمَا كَانُواْ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ }[1]، وفي سورة الأحقاف: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ }[2].

وتحدثت سورة الجاثية عن بعض أهوال يوم القيامة وحال المشركين يومئذٍ وجاءت سورة الأحقاف تتمة لحالهم وحيث إن موضوع سورة الجاثية العام بيان خطورة التكبر في الأرض؛ فجاء في سورة الأحقاف أن سبب عذابهم هو استكبارهم في الأرض {وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ }[3].

(١) الآيات: ١٦- ١٨.

(٢) الآيتان: ١١، ١٢.

(٣) آية: ٢٠.

المبحث الثالث:

وجه اختصاص سورة الجاثية بما اختصت به من موضوعات

لكل سورة مميزات تختص بها عن غيرها من السور، وقد اختصت سورة الجاثية من بين سائر سور القرآن الكريم بعدد من الموضوعات والجمل والألفاظ، بذلت جهدي للبحث عنها، وتوصلت لما يلي:

أولاً: أبرز ما اختصت به سورة الجاثية من موضوعات:

• اختصاصها بالحديث عن القوم الذين سبوا الدهر، في قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ}[1].

ولم يرد الحديث عن ذلك في موضع آخر، إلا أنه ورد لفظ الدهر في موضع واحد وهو الآية الأولى من سورة الإنسان: { هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا }.

والفرق واضح بينهما حيث إن لفظ الدهر في سورة الإنسان لم يقرر حكماً خاصاً بالدهر، ولم يصف قوماً كما في سورة الجاثية، وإنما جاء اللفظ في سياق الحديث عن خلق الإنسان.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: «يؤذيني ابنُ آدم بِسَبِّ الدهرَ، وأنا الدهرُ بيدِيَ الأمرُ، أُقَلِّبُ الليل والنهار»[2].

وقد كان من عادة العرب: أن يَذُمُّوا الدهرَ، ويسبُّوه عند النوازل، وقد جاء ذلك في أشعارهم كثيراً؛ اعتقاداً منهم أن النوائب من أفعال الدهر، فقال الله عز وجل: " وأنا الدهر"، أي: أنا الذي أُحِلُّ بهم النوائبَ والنوازل، وأنا فاعل ذلك، فالذي تظنون أنه الدهر الفاعل لذلك، إنما هو أنا، فأنا الدهر الذي يفعل ما تنسبونه إلى الدهر في زعمكم.

ومعنى: (يؤذيني) أي: يخاطبني من القول بما يتأذى به من يجوز في حقه التأذّي والله تعالى منزّه عن أن يصير في حقه الأذى إذ هو محال عليه، وإنما هذا من التوسع في الكلام والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله عز وجل (يسب الدهر) يقول إذا أصابه مكروه بؤسًا للدهر، وتبًّا

---

(١) آية: ٢٤.

(٢) صحيح البخاري، باب: {وما يهلكنا إلا الدهر} الآية، حديث رقم: ٤٨٢٦؛ (٦/ ١٣٣).

له[1].

وقوله: (أقلب)، أي: أصرفهما وما يجري فيهما –والله تعالى أعلم– [2].

• أيضاً اختصاصها بوصف جثو الأمم يوم القيامة، قال تعالى: {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[3].

والأمة: في اللغة أشياء، فمنها؛ أن الأمة: الدين، والقرون، والرجل الذي لا نظير له، والنعمة[4]. والجماعة العظيمة من الناس التي قد جمعها معنى أو وصف شامل لها.

قال مجاهد: الأمة: الواحد من الناس، وهذا قليل في اللغة، وإن قيل في إبراهيم عليه السلام أمة، وقالها النبي عليه الصلاة والسلام في قس بن ساعدة[5] فذلك تجوز على جهة التشريف والتشبيه. و: جاثِيَةً معناه على الركب، قاله مجاهد والضحاك، وهي هيئة المذنب الخائف المعظم، وفي الحديث: «فجثا عمر على ركبتيه». وقال سلمان: في القيامة ساعة قدر عشر سنين يخر الجميع فيها جثاة على الركب"[6].

---

(١) القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ (٧/ ٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري، تعليق مصطفى البغا (٦/ ١٣٣).

(٣) آية: ٢٨.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة (١٥/ ٤٥٥).

(٥) قس بن ساعدة: من خطباء إياد، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: «رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت»، وهو القائل: «يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد. أين المعروف الذي لم يشكر، والظلم الذي لم ينكر. أقسم قسّ قسما بالله، إن لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا»، كان من حكماء العرب وأعقل من سمع به منهم، وبه ضرب المثل في الخطابة والبلاغة، ويذكر أن الرسول قال: "يرحم الله قسًّا، إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده، ومعظم أهل الأخبار يرى أنه كان على الحنيفية، أي: على التوحيد، فلا هو من يهود، ولا هو من النصارى. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ١٤٢٣هـ (١/ ٢٥٣). الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م (١٦/ ٤١٨).

(٦) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٨).

- اختصاصها ببيان صفة الكبرياء لله عز وجل: {وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}[1]، فهذا الموضع الوحيد في القرآن الذي ورد بلفظ (الكبرياء) مختصاً به الله عز وجل، وقد ورد لفظ الكبرياء لغير الله في قوله: {قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ}[2]. ومن أسماء الله عز وجل (المتكبر) {هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[3]. وروى مسلم عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، أدخلته النار". وفي رواية: عذبته. وفي رواية: قصمته[4].

والكبرياء والعظمة من صفات الله عز وجل.

وصفة الكِبر على المخلوقين الضعفاء محرمة، وصاحبها مذموم ومتوعد، فالكبرياء والعظمة إنما هي لله عز وجل، فهو الكبير العظيم المتعالي سبحانه وتعالى.

والتعالي والترفع والتكبر والتعاظم من الخلق مذموم؛ لأن المطلوب في حقهم أن يكونوا عبيداً لله مستضعفين، فعليهم أن يتواضعوا لله عز وجل، وألا يتعالوا ويتكبروا على غيرهم.

وقوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي) يعني: أن هذه من الخصائص التي يختص بها سبحانه وتعالى، وهي ملازمة لله، وليس لغيره أن يبحث عنها وأن يتطلبها؛ لأن هذه من خصائص الله عز وجل.

وقوله: (إزاري وردائي) الشاهد من الحديث أن الله تعالى مختص بها وأنه لا ينازعه أحد فيها، كما أن من يكون له إزار ورداء من الخلق فإن ذلك الإزار والرداء مختص به ليس لأحد غيره

---

(١) آية: ٣٧.

(٢) سورة يونس، آية: ٧٨.

(٣) سورة الحشر، آية: ٢٣.

(٤) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر (٤/ ٢٠٢٣).

مشاركته فيه.

ومن صفات الله عز وجل (صفة العظمة) و (صفة الكبرياء)، وذكر الإزار والرداء إشارة إلى الاختصاص، وإلى عدم الأحقية في المنازعة فيها، فلا يقال: (إن لله إزاراً). ويُسْكَت عن التفصيل، وإنما يقال: إن لله الكبرياء وله العظمة، وأن الله عز وجل بين أنه مختص بها كما أن من يكون من الناس عليه إزار ورداء فإن إزاره ورداءه مختصان به، فدل هذا على أن ذلك من خصائص الله سبحانه وتعالى، وأن ليس لأحد أن يتعاطى ذلك أو يتطلب ذلك أو يبحث عن ذلك أو يؤمل أن يحصل له ذلك؛ لأن هذا خصائص الله سبحانه وتعالى.

• ولعل المناسبة بين موضوعي جثو الأمم وبيان صفة الكبرياء لله عزّ وجل: أنه لما كان العباد في موقف الذل لاحول لهم ولا قوة ناسب ذكر صفة الكِبر لله عزّ وجلّ، فالله هو المتكبر الخالق الذي له مقاليد الأمور كلها وليس كمثله شيء سبحانه، والعباد كلهم ضعفاء أذلاء لاحول لهم ولا قوة إلا به، ولا سبيل لهم إلى الجنة إلا برحمته تعالى.

فلما نازعوه العظمة قهرهم وأذلهم، وجميعهم سيجثو يوم القيامة خوفاً وانقياداً وذلةً، والذل والانقياد لله والخوف منه بحق المخلوق حال اختياره في الدنيا علو ورفعة.

ثانيا : أبرز ما اختصت به سورة الجاثية من جمل وألفاظ ما يلي:

- بالأمر المبدوءبـ: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ } قال تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ }[1]. ولم ترد في غيرها. وإنما ورد {{قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ } في موضعين: قوله تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ }[2]، وقوله: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ }[3].

وحيث إن الأمر بالصفح ليس سهلاً على القلوب، ذكر لنبيه أن يناديهم بنداء الإيمان، فهو أبلغ لإزالة التشفي من القلوب وإبتغاء ماعند الله -عز وجل-.

- لفظ: (شريعة) قال تعالى:{ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ }[4]؛ ولهذا تُسمى سورة الشريعة، قال الإمام ابن عاشور: "لوقوع لفظ شريعة فيها ولم يقع في موضع آخر من القرآن"[5][6].

- الألفاظ: (اجترحوا، محياهم ومماتهم) في الآية: {أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ }[7].

و (اجْتَرَحُوا) معناه: اكتسبوا، ومنه جوارح الإنسان، ومنه الجوارح في الصيد، وتقول العرب:

---

(١) آية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

(٤) آية: ١٨.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٢٣).

(٦) سبق تفصيل ذلك صفحة: ٣٩-٤٢.

(٧) آية: ٢١.

فلان جارحة أهله، أي كاسبهم[1].

- لفظ: (نستنسخ)، في قوله تعالى:{هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[2]. اختصت السورة بهذا اللفظ، وقد ورد لفظ: (ننسخ) في سورة البقرة {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ }[3].

فهل النسخ والاستنساخ بنفس المعنى؟

في لسان العرب: "نسخ: نسخ الشيء ينسخه نسخًا وانتسخه واستنسخه: اكتتبه عن معارضه. والنسخ اكتتابك كتابا عن كتاب حرفا بحرف، والاستنساخ: كتب كتاب من كتاب؛ وفي التنزيل: إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون؛ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله. وفي التهذيب: أي نأمر بنسخه وإثباته. والنسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه؛ وفي التنزيل: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ }، والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة"[4].

وفي القاموس المحيط: "نسخه، كمنعه: أزاله، وغيره، وأبطله، وأقام شيئا مقامه، والشيء: مسخه، والكتاب: كتبه عن معارضة، كانتسخه واستنسخه"[5].

وقال الراغب الأصفهاني[6]: " نسخ الكتاب، وهو نقل صورة الكتابة إلى غيره من غير إبطال إبطال لرسمه الأول، ونَسَخَ الظَّلُّ الشمسَ إذا أزَالَها، وحقيقة النسخ: إزالة مثل الحكم الثابت بالشرع

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٥).

(٢) آية: ٢٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب (٣/ ٦١).

(٥) الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م؛ ص: ٢٦١.

(٦) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، والأخلاق، توفي سنة: ٥٠٢ هـ. الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥).

بشرع آخر مع التراخي"[1].

والنسخ في أصول الفقه: "رفع الحكم الثَّابِت بخطاب مُتَقَدم بخطاب متأخر عنه"[2].

ويحتمل أن يراد من الانتساخ: ابتداء الكتابة من غير أخذ من كتاب أو نحوه، فإنه يجوز أن يستعمل الانتساخ في ابتداء الكتابة على غير أخذ من الكتاب أو غيره، نحو أن يقول الرجل: انتسخته، أي: كتبته، فيكون كأنه قال: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ } أي: نكتب ما كنتم تعملون ونثبته عليكم من خير أو شر، فيخرج لهم كتبهم التي فيها أعمالهم، فكانت عليهم حجة، وهي التي كتبت عليهم الحفظة[3].

فالنسخ بمعناه الشرعي هو: رفع حكم شرعي بخطاب جديد، وذلك في قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}الآية. وأما نستنسخ فهي بمعنى نسخ الكتاب أي كتابته كقوله تعالى {هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[4].

والإمام ابن عاشور يرى أن الاستنساخ: استفعال من النسخ. والنسخ: يطلق على كتابة ما يكتب على مثال مكتوب آخر قبله. ويسمى بالمعارضة أيضا. وظاهر الأساس أن هذا حقيقة معنى النسخ، وأن قولهم: نسخت الشمس الظل مجاز. وكلام جمهور العلماء بخلافه، كما يقوله علماء أصول الفقه في باب النسخ. وكلام الراغب يحتمل الإطلاقين، فإذا درجت على كلام الجمهور فقد جعلت كتابة مكتوب على مثال مكتوب قبله كإزالة للمكتوب الأول، لأن ذلك في الغالب يكون

---

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (١/ ٣٢).

(٢) ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي، : المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: د. محمد مظهربقا، جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة؛ ص: ١٣٦.

(٣) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م (٩/ ٢٣٢).

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر ، مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١ م. (ص: ٧٨)

لقصد التعويض عن المكتوب الأول لمن ليس عنده، أو لخشية ضياع الأصل. وعن ابن عباس أنه يقول: ألستم عربا وهل يكون النسخ إلا من كتاب.

وأما إطلاق النسخ على كتابة أنف ليست على مثال كتابة أخرى سبقتها فكلام الزمخشري في الأساس صريح في أنه من معاني النسخ حقيقة، وهو ظاهر كلامه في «الكشاف»[1] ، فيكون لفظ النسخ مشتركا في المعنيين بل ربما كان معنى مطلق الكتابة هو الأصل وكانت تسمية كتابة على مثل كتابة سابقة نسخا؛ لأن ذلك كتابة وكلام صاحب «اللسان» وصاحب «القاموس» أن نقل الكتابة لا يسمى نسخا إلا إذا كان على مثال كتابة سابقة. وهذا اختلاف معضل، والأظهر ما ذهب إليه صاحب «اللسان» وصاحب «القاموس» فيجوز أن يكون السين والتاء في نستنسخ للمبالغة في الفعل مثل استجاب.

ويجوز أن يكون السين والتاء للطلب والتكليف، أي نكلف الملائكة نسخ أعمالكم، وعلى هذا المحمل حمل المفسرون السين والتاء هنا للطلب، ثم يجوز أن يكون النسخ على معنى نقل كتابة عن كتابة سابقة وبه فسر ابن عباس قال: إن الله وكل ملائكة ينسخون من أم الكتاب في رمضان كل ما سيكون من أعمال بني آدم، ويجوز أن يكون النسخ بمعنى كتابة ما تعلمه الناس دون نقل عن أصل. والمعنى: إنا كنا نكتب أعمالكم. والنسخ هنا: الكتابة، وإسناد فعل الاستنتاج إلى ضمير الله على هذا إسناد مجازي لأن الله أمر الحفظة بكتابة الأعمال[2].

إذاً عند القول أن النسخ بمعنى الكتابه، فتكون زيادة السين والتاء للطلب والتكليف، ومعنى نستنسخ: أي نكلف الملائكة نسخ أعمالكم -والعلم عند الله-.

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٢٩٣).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٠).

- لفظ: {بِمُسْتَيْقِنِينَ} في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}[1].

وأشير هُنا أن قوله: {وَمَا نَحْنُ} وردت في القرآن ثلاث عشرة مرة، وفي جميع المواضع ساقها الله على لسان الكفرة المكذبين، كقوله تعالى: {قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}[2]. وفي موضع سورة يوسف أتت على لسان الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه، وكانت لتكذيب الرؤيا {قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ}[3].

(١) آية: ٣٢.

(٢) سورة هود، آية: ٥٣.

(٣) سورة يوسف، آية: ٤٤.

الفصل الثالث:

أسباب النزول الواردة في سورة الجاثية

ومقاصد السورة

ويشتمل على مبحثين:

*،

المبحث الأول/ **أسباب النزول الواردة في سورة الجاثية**

المبحث الثاني/ **مقاصد سورة الجاثية**

المبحث الأول

أسباب النزول الواردة في سورة الجاثية

تمهيد:

أولاً: التعريف بأسباب النزول لغة:-

السبب لغة: الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره[١]. وجمعه أسباب، قال تعالى: {فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ}[٢][٣].

والنزول يعني: الانحطاط من علو[٤]، أو هو: هبوط شيء ووقوعه[٥].

ثانيا : التعريف بأسباب النزول اصطلاحا:-

وعرفه السيوطي بقوله: "والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه"[٦].

وعرفه الزرقاني بقوله: "سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه"[٧].

فالمراد بسبب نزول الآية: الحادثة أو القصة أو السؤال التي نزلت بشأنها الآية أو الآيات.

وقال المزيني في رسالته عن أسباب النزول: "ومن الملفت للنظر أنه لا يوجد تعريف واضح لهذا المصطلح عند المتقدمين، ولعل هذا يعود إلى عدم عنايتهم بالدراسات النظرية لعلم أسباب النزول فقد كان همهم منصبًّا على ذكر الأحاديث وتطريقها شأنهم شأن المؤلفين في تلك العصور"[٨].

ولايلزم أن يكون لكل آية سبب نزول، فأغلب القرآن الكريم نزل بدون سبب، فهو كتاب

---

(١) الرازي، مختار الصحاح ص: ١٤٠.

(٢) سور ص، آية: ١٠.

(٣) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ؛ ص: ٣٩١.

(٤) المرجع السابق؛ ص: ٧٩٩.

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة (٥/ ٤١٧).

(٦) السيوطي، الإتقان (١/ ١١٦).

(٧) الزرقاني، مناهل العرفان (١/ ١٠٦).

(٨) المزيني، خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م (١/ ١٠٤).

هداية وإرشاد.

ثالثا: فوائد معرفة أسباب النزول:-

لمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة تناول ذكرها طائفة من العلماء المحققين أوجزها في إحدى عشرة فائدة

- **الفائدة الأولى:**

أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، ومعرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

قال الواحدي عن أسباب النزول: "إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[(١)].

- **الفائدة الثانية:**

أن العلم بسبب النزول يرفع الإشكال، ويحسم النزاع قال الشاطبي: "إن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع"[(٢)].

- **الفائدة الثالثة:**

أن معرفة سبب النزول يبين الحكمة الداعية إلى تشريع الحكم.

- **الفائدة الرابعة:**

أن يخصص الحكم بالسبب الذي نزل من أجله. قال الزركشي: "وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم وأفردوا فيه تصانيف، وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ؛ وليس كذلك بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما ويقوم الدليل على التخصيص"[(٣)].

---

(١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م؛ ص: ٨.

(٢) نقلت قوله من رسالة الأستاذ: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، طبعة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م؛ ص: ٤٠.

(٣) الزركشي، البرهان (١/ ٢٢).

- **الفائدة الخامسة:** دفع توهم الحصر.
- **الفائدة السادسة:** بيان أخصية السبب بالحكم.
- **الفائدة السابعة:** معرفة التاريخ.
- **الفائدة الثامنة:**

قال الطوفي: "ومنها توسعة علم الشريعة بمعرفة الأحكام بأسبابها، فيكثر ثواب المصنفين، كالذين صنفوا أسباب نزول القرآن، والمجتهدين بسعة محل اجتهادهم"(١).

- **الفائدة التاسعة:**

التأسي والاقتداء بما وقع للسلف من حوادث في الصبر على المكاره واحتمال الأقدار المؤلمة.

قال الطوفي: "ومنها: التأسي بوقائع السلف وما جرى لهم، فيخف حكم المكاره على الناس، كمن زنت زوجته فلاعنها، فهو يتأسى بما جرى لهلال بن أمية، وعويمر العجلاني في ذلك، ويقول: هؤلاء خير مني، وقد جرى لهم هذا فلي أسوة بهم"(٢).

- **الفائدة العاشرة:**

تعيين المبهم. قال السيوطي: "ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها"(٣).

- **الفائدة الحادية عشر:**

تيسير الفهم والحفظ. قال الإمام الزرقاني: "تيسير الحفظ وتسهيل الفهم، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء، وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس"(٤).

---

(١) الطوفي، نجم الدين أبي الربيع سليمانبن عبد القوي الطوفي، شرح مختصر الروضة، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م؛ ص: ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق؛ ص: ٢٨٨.

(٣) السيوطي، الإتقان (١/ ١١٠).

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان (١/ ١١٣).

المبحث الأول:

أسباب النزول الواردة في السورة

بين طيات كتب التفسير وجدت مجموعة من أسباب النزول للسورة، وممن أكثر من أسباب النزول الإمام ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير)، لكنّ كُتب الحديث لم تذكر أياً منها، وسأقتصر هُنا على أشهر ماذُكر:

أولاً/ الآيتين السابعة والثامنة: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ }.

من المفسرين من فسرها دون أن يذكر لها سبب نزول، كالطبري. ومنهم من قال أنها نزلت في النضر بن الحارث حيث كان يشترى من أحاديث الأعاجم، ويشغل الناس بها عن استماع القرآن كالزمخشري والسمرقندي[1].

ومنهم من ذكر أنها نزلت في أبي جهل و النضر بن الحارث، كابن عطية حيث قال: "روي أن سبب هذه الآية أبو جهل، وقيل النضر بن الحارث، والصواب أن سببها ما كان المذكوران وغيرهما يفعل، وأنها تعم كل من دخل تحت الأوصاف المذكورة إلى يوم القيامة[2].

فلا خلاف في كون الآية عامّة في كل من كان مضارّا لدين الله.

"ونزلت هذه الآية في النضر بن الحارث لأنه كان يشتري من أحاديث العجم ويتلوه على الناس ليشغلهم عن سماع القرآن ويحبذ لهم سماعها، والاستهزاء بالقرآن. وهي عامة في كل من هذا شأنه ونزولها فيه لا يقيدها"[3].

وفي الموسوعة القرآنية المتخصصة أورد العلماء مجموعة ممن نزل فيهم آيات من القرآن، وذكروا أن النضر بن الحارث: أنزل الله تعالى فيه من القرآن الآيات: ٣١ – ٣٣ من سورة الأنفال: {وَإِذَا

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٢٨٦). السمرقندي، بحر العلوم (٣/ ٢٧٦).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨١).

(٣) آل غازي، بيان المعاني (٤/ ١١٢).

تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } فقط.

ثم قالوا: "هذا وهناك كثير غير هؤلاء ذكر المفسرون: أنه قد أنزل الله تعالى فيهم آيات من القرآن، ولكن عند تأمل ما قالوه تبين أن أقوالهم مبنية على تكلف واضح، أو أن هناك احتمالا لنزول هذه الآيات في من ذكروهم أو في غيرهم، لذلك ضربنا عنها صفحًا، ولم نذكر إلا من كانت سببية النزول فيه واضحة، لا تكلف فيها، ولا لبس فيها ولا احتمال"[1].

ثانيًا/ الآية الرابعة عشر:

قوله تعالى: قُل{ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ }.

قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية أن في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنهم نزلوا في غَزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: «المريسيع» ، فأرسل عبدُ الله بن أُبيّ غلامَة ليستقيَ الماء، فأبطأ عليه، فلمّا أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر، ما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه، فقال عبد الله: ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلاّ كما قيل: سَمِّن كلبك يأكلك، فبلغ قوله عمر، فاشتمل سيفه يريد التوجُّه إليه، فنزلت هذه الآية.[2].

والثاني: قال الواحدي: عن ابن عباس قال: لما نزلت: {مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، تأليف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (١/ ٧٦).

(٢) هذا الحديث رواه الواحدي في أسباب النزول بدون إسناد؛ فلا يؤخذ سبباً والله أعلم، حديث رقم: ٧٤٣؛ ص:٣٩٣.

حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ } [1] قال يهوديٌّ بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج ربُّ محمد. فلما سمع بذلك عمر، اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية، فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم في طلب عمر، فلمّا جاء قال: «يا عمر، ضَعْ سيفَك»، قال: صدقت يا رسول الله، أشهد أنك أُرسلت بالحق، قال: فإن ربك عز وجل يقول: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ } قال: لاجرم والذي بعثك بالحق لايُرى الغضب في وجهي[2].

والثالث: أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمَروا بالقتال، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، قاله القرظي، والسدي[3].

والرابع: أن رجلاً من كفار قريش شتم عمر بن الخطاب، فهمَّ عمر أن يبطش به، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل[4]. وقال ابن العربي: "روي أن رجلا من المشركين شتم عمر بن الخطاب،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٤٥.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول أيضاً، حديث رقم: ٧٤٣؛ ص:٣٩٤. وإسناده هالك، بسبب اليشكري، قال العسقلاني: كذبوه. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، رقم: ٥٨٩٠؛ ص: ٤٧٩.

وقال عنه الذهبي أيضاً أنه كذاب يضع الحديث. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة – مكة، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م؛ ص: ٣٥١.

(٣) قال الاستاذ عبد الرزاق: "عزاه المصنف للقرظي وهو محمد بن كعب، وللسدي، ولم أقف على إسناده، وكلاهما مرسل وأخرج الطبري بسند فيه مجاهيل عن ابن عباس نحوه. وهذا القول أقرب للصواب، وإن لم يصح بوجه من الوجوه. وكون السورة نزلت في عمر، واه". ابن الجوزي، زاد المسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (٤/ ٩٨).

وعنى برواية الطبري قوله: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين إذا آذوه، وكانوا يستهزئون به، ويكذبونه، فأمره الله عز وجل أن يقاتل المشركين كافَّة، فكان هذا من المنسوخ. الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٦٦).

(٤) رواه السمرقندي عن مقاتل والكلبي. بحر العلوم (٣/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير، وفي تحقيق: عبد الرزاق المهدي قال: "عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم بالكذب، فالخبر لا شيء" (٤/ ٩٨).

فهم أن يبطش به فنزلت الآية. وهذا لم يصح"[1].

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره للآية: "وقد روي في سبب نزولها أخبار متفاوتة الضعف"[2]. ثم عقب بقوله: "أن هذه الآية متصلة بالآي التي قبلها في النزول ولم يصح ما روي عن ابن عباس في سبب نزولها، ومناسبة وقعها هنا أن قوله: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ.. إلى قوله: لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝١١ } الآيات: ٧- ١١؛ يثير غضب المسلمين على المستهزئين بالقرآن. وقد أخذ المسلمون يعتزون بكثرتهم فكان ما ذكر من استهزاء المشركين بالقرآن واستكبارهم عن سماعه يتوقع منه أن يبطش بعض المسلمين ببعض المشركين، ويحتمل أن يكون بدر من بعض المسلمين غضب أو توعد وأن الله علم ذلك من بعضهم"[3].

ثانياً/ الآية الحادية والعشرون: {أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ }

قال البغوي: "نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا"[4].

{ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ } قيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة. و{كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ } علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم[5].

ونقل الطاهر ابن عاشور هذان القولان، وعقب بقوله: "وتأويل نزول هذه الآية على هذا السبب أن حدوث قول هؤلاء النفر صادف وقت نزول هذه الآيات من السورة أو أن قولهم هذا متكرر فناسب تعرض الآية له حقه[6]. ونزول الآية على هذا السبب لإبطال كلامهم في ظاهر

---

(١) ابن العربي، أحكام القرآن (٤/ ١٢١).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٣٩).

(٣) المرجع السابق (٢٥/ ٣٣٨).

(٤) البغوي، معالم التنزيل (٤/ ١٨٦).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٦٥).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٥٢).

حاله وإن كانوا لم يقولوه عن اعتقاد وإنما قالوه استهزاء، لئلا يروج كلامهم على دهمائهم والحديثين في الإسلام لأن شأن التصدي للإرشاد أن لا يغادر مغمزا لرواج الباطل إلا سده، كما في قوله تعالى: {أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا}[1] وله نظائر في القرآن.

(١) سورة مريم، الآيتان: ٧٧ ، ٧٨.

المبحث الثاني

مقاصد سورة الجاثية

تمهيد:

القصد لغة: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدا، فهو قاصد. قال تعالى: {وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ}[1]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، {وَمِنۡهَا جَآئِرٞ}: أي ومنها طريق غير قاصد. وطريق قاصد: سهل مستقيم. وسفر قاصد: سهل قريب[2].

والمقصود هنا الوقوف على الموضوعات الرئيسية التي تدور عليها سورة الجاثية، فمن المعلوم أن السور القرآنية وحدة متكاملة لها أهدافها ومقاصدها، وعامة السور المكية القصد منها: ترسيخ العقيدة، وإظهار صدق القرآن والنبوة، وقصص الأنبياء، وتقرير البعث، وبيان أحوال اليوم الآخر، وذكر الجنة والنار.

وإن من الأهمية بمكان أن يتأمل المسلم عند قراءته للقرآن في اسم السورة ومدلولها، وبمعرفته يتبين له المقصد الكلي للسورة، قال الإمام تقي الدين الحصني[3] في حديثه عن مصاعد النظر للبقاعي: "قد وقفت على المجلد الرابع للمناسبات، فرأيته شاملاً على بدائع الآيات، محتوياً على فنون من الحجج والبينات، وهو مع وجازة لفظه، حاوٍ لمنتخب كل مديد وبسيط، جامع لخلاصة كل وجيز ووسيط، مطلع على زبدة مطالب هي نتائج أنظار المتقدمين، مظهر لنخب مباحث هي أبكار أفكار المتأخرين، فهو بحر محيط بغرر درر الدقائق، وكنز أودع فيه نقود الحقائق، ألفاظه

---

(١) سورة النحل، آية: ٩.

(٢) ابن منظور،لسان العرب (٣/ ٣٥٣).

(٣) تَقِيّ الدِّين الحِصْني: تقي الدين بن محمد شمس الدين بن محمد بن محمد محب الدين الحصني الحسيني الشافعي: فاضل. مولده ووفاته في دمشق. قال المرادي: رأيت له (مجاميع) بخطه تدل على فضله وإتقانه ومعرفته بالأنساب والتاريخ، أجازه جماعة من الشام وغيرها فمن الشاميين الشيخ عبد الباقي الحنبلي والمحدث الامام محمد بن علي بن سعد الدين المكتبي الدمشقي والشيخ محمد البلباني انصالحي ومن المدنيين الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني والشيخ علي البصري البصير المالكي نزيل المدينة وعالمها، توفي سنة: ١١٢٩هـ. الحسيني، أبو الفضل، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م. (٢/ ٥). والأعلام للزركلي (٢/ ٨٦).

معادن جواهر المطالب الشرعية، وحروفه أكمام أزاهير النكات اللفظية، ففي كل لفظ منه روض من المنى، وفي كل شطر منه عقد من الدرر"[1].

ثم قال: "أن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها". وقال أيضاً: "فليفتحوا طريق سورة من السور، وإن كانت في غاية الوجازة والقصر فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليك، استدل عليه"[2].

وقال الدكتور عادل أبو العلا: "مامن سورة إلا لها من المعالم مايختص بها، سواء في ذلك السور القصار والطوال، وكلما قصرت السورة كبرت هذه الخاصة، ويتضح ذلك من أن الله تعالى لم يجعل السور القصار سورة واحدة مستقلة إلا لحكمة عظيمة، وهي استقلال كل واحدة منها بما يميزها عن سواها"[3].

(١) البقاعي، مصاعد النظر (١/ ١٢٩).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٤٩).

(٣) أبو العلا، مصابيح الدرر؛ ص ١٠٩.

مقاصد سورة الجاثية

أولاً/ المقصد الكلي للسورة:

حيث إن السورة مكية، ومعلوم أن العهد المكي عهد تكوين للعقيدة، لذلك تحدثت السورة عن آيات الله، وعذاب من كذب بها واستكبر، وعن خوف الأمم وجُثُوِّها يوم الحساب.

و الجو الذي نزلت فيه السورة كان يسوده الطغيان، والإنكار والتكبر على ماجاء به خالق الخلق أجمعين، {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ }[1] وبرغم ذلك كان الأمر بالعفو المؤقت عنهم، فحال المؤمنين آنذاك لايسمح بالقتال {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ }[2].

وأكثر السور المبدوءة بالأحرف المقطعة، نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى، وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والكهانة، فواجههم القرآن بالتحدي، وعاجزهم مجتمعين، بل ومن ظاهرهم من الجن أيضًا، أن يأتوا بسورة من مثله مفتراه، أو يأتوا بعشر سور، أو بحديث مثله، ما داموا يزعمون أن محمداً افتراه وتَقوّله.

ومسألة تحديد مقصد السورة الكلي تحتاج إلى دقة وطول تأمل، وقبل هذا توفيق وفتح من الله، وتحديده هنا من باب اللإجتهاد –والله أعلم–

أن مقصد السورة الكلي هو: (**معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن الحق؛ من خلال عرض الآيات والتذكير بالآخرة**).

فتناولت السورة الكريمة: (خطورة التكبّر في الأرض):–

قال تعالى ففي بدايتها:{وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ

---

(١) آية: ٢٥ .

(٢) آية: ١٤.

مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ }، وفيها:{وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ }، وخاتمة السورة جعلت صفة الكبرياء خاصة بالله عز وجل: فقال تعالى: {وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}(١).

وذِكْر استكبار الكفار عند سماع الآيات ليس خاصاً بسورة الجاثية، بل ورد في غيرها أيضاً كقوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا }(٢)، وقوله:{قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ }(٣). أما ذِكر صفة الكبرياء لله عزّ وجل فهي من خصائص السورة الكريمة.

والكِبر أمر عظيم يمنع من دخول الجنة، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»(٤). وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»(٥).

وقوله: "لا يدخل النار"، أي: لا يخلد فيها. "من كِبْر" ومثله قوله تعالى: {تِلْكَ ٱلدَّارُ

---

(١) الآيات: (٧، ٨)، (٣١، ٣٢)، ٣٧.

(٢) سورة لقمان، آية: ٧.

(٣) سورة الأحقاف، آية: ١٠.

(٤) صحيح مسلم، باب: تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ١٤٧؛ (١/ ٩٣).

(٥) المرجع السابق، حديث رقم: ١٤٨ (١/ ٩٣).

ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ }[1].

والمقصود بالكِبر هنا: هو التكبر الذي يؤدي إلى رفض الحق، فيكون موافقاً للآية: {يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ }[2].

ومن المعلوم أن إبليس منعه من السجود لآدم الكِبر {وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ }[3]، فكان أن لعنه الله، وأخرجه من الجنة.

وآل فرعون أيضاً، يُعرضون غدواً وعشياً على النار، سوى العذاب الأليم الذي ينتظرهم يوم القيامة، بسبب تكبرهم ورفضهم للحق الذي جاء به نبيهم الكريم موسى عليه السلام، قال تعالى: {ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ}[4] وقال عزّ وجل عن سبب هلاكهم في الدنيا وعذابهم الشديد يوم القيامة، أنهم استكبروا وظنوا أنهم لن يقفوا بين يدي الله عز وجل أذلاء مستضعفين: {وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ }[5].

والوليد بن المغيرة، أيضًا قال الله عنه: {ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦}[6]. فلما استكبر عن الحق وزعم

(١) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٢) آية ٨ و ٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٤.

(٤) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٥) سورة القصص، آية: ٣٩.

(٦) سورة المدثر، الآيات: ٢٣- ٢٦.

أن الرسول ساحر، كان جزاؤه جهنم خالداً فيها.

وهنا يتبين أن الكبر أساس رفض الحق، فناسب ذلك ذكر جثو الأمم يوم القيامة على الركب من الفزع في انتظار الحساب، بل وتسمية السورة بـ (الجاثية)، فهنا يتجلى ضعفهم وهوانهم، فأين تكبرهم يومئذ؟ إنما يتجلى حينها صغارهم وهوانهم أمام رب الكون، لما رفضو الإيمان **بعد أن أتتهم الأدله والبراهين على وحدانية رب العالمين**، وذلك من خلال آياته فأثبتت الآيات دلائل القدرة والوحدانية، والبعث والجزاء، يوم يلقى المحسن جزاء إحسانه والمسيء جزاء إساءته[1]، وقارئ السورة لايخفى عليه أنها تحدثت كثيراً عن آيات الله، ومن ينتفع بها، وجزاء من كذب بها.

فكيف يتكبر الإنسان ويرفض الحق بعد مشاهدته للآيات الكونية في السماوات والأرض؛ وبعد مشاهدته للآيات المحسوسة في خلقه وخلق سائر الدوابّ، ؛ وتلمسه للآيات الله من اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر؛ إن الكافر بهذه الآيات الكونية لهو أفاك أثيم مستحق للعذاب الأليم كما قال تعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠}

فالله تعالى قد أنزل آيات عظيمة لهداية الناس، والكفر بها شيء ذنب عظيم يستحق العذاب الأليم، ويكفيها للدلالة على عظمتها أن نسبها الله تعالى إلى نفسه في هذه المواضع الأربع.

وفي ثنايا السورة ذكر أن المعرضين المكذبين أهل الأهواء لم يكتفوا بهذه الآيات التي وصفها الله هنا بأنها بينه واضحة كافية، وطلبوا أن يريهم الله إعادة آبائهم الميتين ليصدقوا ويؤمنوا، فقال عز وجل: {وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ }.

وذكر الله عز وجل في تقريعهم بعد دخول النار أنه يقال لهم:{أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ

(١) الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن؛ ص١٨٥.

عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ }، وقال أيضاً: {ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا }.

ومناسبة هذا مع اسم السورة (الجاثية) التحذير من إنكار آيات الله عز وجلّ، ومن الكفر والإستكبار عن قبول الحق الواضح البين، الذي دل الله عليه بجميع هذه الآيات، فمن وراء الناس يوم عظيم للحساب، من عظمته أنك ترى كل أمةٍ جاثية على الركب خائفة وجلة مترقبة لمصيرها، وياله من موقف عظيم، حق على كل من علمه أن يستعد له بالإيمان الخالص والعمل الصالح.

ثانياً/ المقاصد الفرعية في السورة:

بينت السورة شيئاً من مواقف وأقوال الكفار، وعنادهم وتعصبهم الأعمى ضد دعوة النبي والبعث والحساب، وأنذرتهم الخزي والعذاب الأبدي، وطمأنت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ودعتهم إلى التسامح مع الخلق وترك أمرهم للخالق، وذكرت حالة بني إسرائيل رغم نعم الله العديدة لهم، وذكرت بعض مشاهد الكون مما يدل على عظمة الله وربوبيته الشاملة.

قال الفيروزآبادي[1]: "معظم مقصود السّورة: بيان حُجّة التّوحيد، والشكاية من الكفار والمتكبرين، وبيان النفع، والضرّ والإساءَة، والإحسان، وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أَهل الإيمان، وذَمّ متابعى الهوى، وذلّ الناس في المحشر، ونسخ كُتُب الأَعمال من اللَّوح المحفوظ، وتأبيد الكفَّار في النَّار، وتحميد الرّب المتعال بأَوجز لفظ، وأَفصح مقال، في قوله: {فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ} إلى آخر السورة[2].

والسورة مكية تصور جانبا من استقبال المشركين للدعوة الإسلامية، وطريقتهم في مواجهة حججها وآياتها، وتعنتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها، واتباعهم للهوى اتباعا كاملا[3]، وسيرهم وراء شهواتهم، وإنكارهم لخالق السماوات والأرض، وإرجاع المصائب للدهر.

فذكر لهم الله عظيم آياته في الكون ليتفكروا ثم يعودوا إلى خالق الكون ويؤمنوا به، ويتركوا كل شريك له، فعالج قلوبهم بآيات الله القاطعة العميقة التأثير والدلالة، فالقرآن يقود الناس بهداياته، والكون يدل على الله بآياته، وذكر لهم أليم عذابه، وبين لهم ثوابه، وقرر لهم سننه، ومن رحمة الله أن أمهلهم فلم يُعجل عقوبتهم، وأمهلهم ليعودوا إليه، وأمر المؤمنين بالصفح عنهم، وبين

---

(١) الفيروزابادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي، من أئمة اللغة والأدب، وانتشر اسمه في الآفاق، كان قوي الحافظة و مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، كان شافعيا، من أشهر كتبه (القاموس المحيط، والمغانم المطابة في معالم طابة، ونزهة الأذهان في تاريخ أصبهان، والدرر الغوالي في الأحاديث العوالي، وسفر السعادة: في الحديث والسيرة النبوية، توفي سنة: ٨١٧ هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ١٤٦).

(٢) الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م (١/ ٤٢٦).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/ ٣٢١٩).

موقف بني إسرائيل وإختلافهم بعد أن جاءهم العلم، فحذر من الوقوع فيما وقعوا به، بل عليهم أن يتمسكوا جميعاً بهذا الشرع القوي المتين ويجانبوا الهوى الذي يقوده الجهل، قبل أن يأتي يوم الجثو والندم، ويحل بالقوم الكافرين أشد العذاب[1].

(١) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، ص: ٣٥٨-٣٦٠.

الباب الثاني:

التناسق الموضوعي في سورة الجاثية دراسة تطبيقية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

*،

الفصل الأول: **مناسبات سورة الجاثية.**

الفصل الثاني: **موضوعات سورة الجاثية وتناسقها.**

الفصل الثالث: **تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.**

الفصل الأول:

مناسبات سورة الجاثية

ويشتمل على أربعة مباحث:

*،'

المبحث الأول/ مناسبة أسماء السورة لموضوعاتها.

المبحث الثاني/ مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

المبحث الثالث/ مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

المبحث الرابع/ مناسبة خاتمة السورة لموضوعاتها.

المبحث الأول

مناسبة أسماء السورة لموضوعاتها.

قال الزركشي: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من: نادر، أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"(١).

وحيث إن للسورة ثلاثة أسماء: (الجاثية، الشريعة، الدهر)، فسأذكر مناسبة كل اسم لموضوعاتها، وأبدأ بالمدون في مصاحفنا، وأشهر أسمائها:

أولاً: مناسبة اسم (الجاثية) لموضوعاتها:

ذكرت قبلاً أنها تُسمّى الجاثية لوقوع لفظ جاثية: أي باركة على الركب، في هذه السورة فقط، فهي مختصة بهذا المعنى(٢).

قال التستري(٣): " قوله تعالى: {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } قال: على ركبها تجادل عن نفسها عند المرافقة الصادق يجتهد في تحقيق صدقه، والجاحد يجتهد في الدفع عن نفسه، وكلٌّ محكوم عليه في الذي أملاه، مدده ريقه، وقلمه لسانه، وقرطاسه جوارحه(٤).

وعن مناسبة هذا الاسم لباقي موضوعات السورة قال البقاعي: " واسمها "الجاثية" واضح الدلالة فيه، إذا تؤمل كل من آيتيهما"(٥).

فسميت (الجاثية) لذكرها الأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب، فحينها تجثوا الخلائق من

---

(١) الزركشي، البرهان (١/ ٢٧٠).

(٢) صفحة: ٣٦- ٣٩.

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري، شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد المحدث، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق. توفي في المحرم، سنة: ٢٨٣هـ، على الصواب، ويقال: عاش ثمانين سنة أو أكثر. سير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٠- ٣٣٣).

(٤) التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، تفسير التستري تحقيق: محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ؛ ص: ١٤٣.

(٥) البقاعي، مصاعد النظر (٢/ ٤٧٧).

الفزع على الركب، في انتظار الحساب، بعد أن أقام الله عليهم الحجة في الدنيا ثم جمعهم يوم القيامة للتحاكم، فيغشى الناس من الأهوال مالا يخطر على بال.

– مناسبة الاسم للموضوع الأول (آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها):

جاء القرآن الكريم بالحق الذي لاشك فيه، والبراهين التي تُقيم الحجة على كل من كذب وأنكر وتجعله مستحقاً للعذاب الأليم، وهذه آيات الله واضحة بينه؛ مُنذرة لجميع الثقلين، من يوم عظيم، لهوله ترى كل أمة جاثية.

– مناسبة الاسم للموضوع الثاني (وصايا للمؤمنين):

مهما لاقى الإنسان من متاعب في هذه الدنيا، ومهما ضعفت شوكة المسلمين، وتمكن منهم أعدائهم، وعاثوا في الأرض فساداً وسفكوا دماء المسلمين، فإن بانتظارهم يوماً لا يستطيعوا الوقوف على أقدامهم لهول مايرونه، فلا تحزنوا أيها المؤمنون، إن الله منتقم من كل طاغٍ متجبر، واحذروا من الإختلاف والإبتعاد عن هذا النهج القويم، كما فعل بنو إسرائيل، بل اتبعوا هذه الشريعة الحقة لتأمنوا يوم الفزع الأكبر.

– مناسبة الاسم للموضوع الثالث (صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم) :

هؤلاء الضالين تكبروا عن قبول الحق رغم أن الحق واضح بيّن، {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ}، فعلى هذا استحقوا العذاب الأليم والفزع والجثو، ولعل المقصود من الآيات تخويفهم وإقامة الحجة عليهم، وتطمين قلب المؤمنين الذين يُلاقون من أذاهم الكثير.

– مناسبة الاسم للموضوع الرابع (مشاهد يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ) :

حذر الله الضالين المتكبرين في مواضع كثيرة في كتابه من يوم القيامة، وذكر في هذه السورة أمراً عظيماً يدل على شدة خوف الناس يومئذ، وهو جثو الأمم على ركبها من هول مايرون، وإن كان المألوف من حال الناس هو قلة الخوف عند الإجتماع، لكن لهول مايرونه يوم القيامة فإنهم رغم اجماعهم فإن الخوف يأخذهم كل مأخذ حتى لا يستطيعوا القيام.

ثانياً: مناسبة اسم (الشريعة) لموضوعاتها:

لقوله تعالى في الآية الثامنة عشر منها: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }.

فلما قال الله: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ} بين أنهم بعد ذلك لم يتفقوا، بل اختلفوا وبدلوا الحق الذي جاءهم، وبعد أن يئس الله من اتفاقهم على كتابهم وشريعتهم؛ قال: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا}، فتضمنت نسخ هذه الشريعة لجميع الشرائع السابقة، وفضلها عليها .

والله تعالى إنما أنزل هذه الآيات وبينها لعبادة، ليتبعوا هذه الشريعة المباركة، والتي هي موجودة بين أيدينا في هذا الكتاب المقدس، فهي الحق الذي من اتبعه اهتدى ونجى، وكل ماسواها باطل صاحبه ضال قد غوى، توعده الله في هذه السورة وغيرها بالذل والهوان والعذاب.

وحيث إن مقصود السورة الدلالة على أن منزل هذا الكتاب ذو العزة الذي لا يغلبه شيء، وهو يغلب كل شيء، والحكمة حيث لم يصنع شيئاً إلا في أحكم مواضعه، فعلم أنه المختص بالكبرياء، فوضع شرعاً هو في غاية الاستقامة، لا تستقل العقول بإدراكه، أمر فيه ونهى، ورغب ورهب، وظهر حتى إنه لا يجهل، فمن المكلفين من حكم عقله وجانب هواه، فشهد جلاله، فسمع وأطاع، ومنهم من اتبع هواه فضل عن نور العقل فزاغ، فاقتضت الحكمة ولا بد أن يجمع سبحانه الخلق، ويظهر كل الظهور، وبدين عباده ليشهد رحمته المطيع، وكبرياءه العاصي المضيع، وينشر العدل، ويظهر الفضل، ويتجلى في جميع صفاته لجميع خلقه يوم الفصل، وعلى ذلك دل اسمها (الشريعة)[1].

(١) البقاعي، مصاعد النظر (٢/ ٤٧٦).

– مناسبة الاسم للموضوع الأول (آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها):

إن موجد هذه الآيات العظيمة، الكونية والشرعية، يستحق الطاعة المطلقة والإيمان الكامل الذي لايتخلله ريب، ودلالة الإيمان هو اتباع هذا الشرع القويم، والكفر بكل ماعداه.

– مناسبة الاسم للموضوع الثاني (وصايا للمؤمنين):

لا يكون المؤمن مؤمناً إلا بالإيمان بجميع ماشرعه الله وأمر به، فلابد من التسليم الكامل المطلق لشرع الله وأوامره، والعمل به، وعند الله لايستوي المؤمن المطيع لشرع الله، مع الكافر العاصي متبع الهوى.

– مناسبة الاسم للموضوع الثالث (صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم):

إنما ضل من ضل بسبب ترك شرع الله، فنقيض الحق هو الضلال، وكل من ترك شرع الله فهو ضال منحرف، وحججه ومزاعمه باطلة، تقوده لنار جهنم وبئس المصير.

وكل هذه الشبهات هي ظلمات لا سبيل للخلاص منها إلا باتباع شرع الله، فهو النور المنجي من زيغ العقول، ومن العذاب الأليم يوم الدين، قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ}[1].

– مناسبة الاسم للموضوع الرابع (مشاهد يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ):

حيث إن الله خلق السماوات والأرض بالحق، فكلٌ سيُجازى على مافعل، وسبيل النجاة من العذاب المذكور هنا هو اتباع شرع الله العزيز الحكيم.

(١) سورة الحديد، آية: ٩.

ثالثاً: مناسبة اسم (الدهر) لموضوعاتها:

سميت سورة الدهر لقوله تعالى في الآية الرابعة والعشرين منها: {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ}.

والدهر في لغة العرب بمعنى الزمان[1]، وهولاء القوم كما وصفهم الله في الآية جعلوا الأحداث منسوبة إلى الدهر، ولو كانت لهم عقول تفقه، لعلموا أن رب الزمان والمكان ومدبرهما هو الله عز وجل، وسماهم الشهرستاني[2] بمعطلة العرب، وقال أنهم ثلاثة أصناف وجعل المقصودين بهذه الآية الصنف الأول وهم: (منكرو الخالق، والبعث، والإعادة)، فهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني[3].

- مناسبة الاسم للموضوع الأول (آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها):

إن الله عز وجل أنزل الآيات ليهتدي الناس إلى ربهم الذي أوجدها، ويقرُّوا بقدرته ووحدانيته وأنه المتصرف المدبر وحده، ولكن لما كان هؤلاء بلا عقل ولا يقين ولا إيمان لم ينتفعوا بها، بل كفروا بها وجعلو الزمان هو المتصرف المدبر.

- مناسبة الاسم للموضوع الثاني (وصايا للمؤمنين):

لما ذكر الله وصف المشركين الجهله، وبني إسرائيل الذين آتاهم العلم، جعل هذا الحق المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الشرع القويم الذي يجب على الكل اتباعه.

وعند الله لايستوي مصدق الحق ومتبعه، مع المكذب الكافر به، وهولاء الدهرية إنما ادعوا ما

---

(١) تهذيب اللغة (٦/ ١١٠). وابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٧).

(٢) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام. كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام) من كتبه (الملل والنحل) و (نهاية الإقدام في علم الكلام) و (الإرشاد إلى عقائد العباد) و (تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام) وغيرها، توفي سنة: ٥٤٨ هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٥).

(٣) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي (٣/ ٨٠).

ادعوه على غير بصيره وغير هدىً، فحيث إن هذا الكون المبدع لابد له من مصرف ومدبر، وهم اختاروا الكفر والغواية، فنسبوا تصريف الأمور للزمان، وقد أوجده الله، ودبر كل ما أراد فيه {يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}(١).

- مناسبة الاسم للموضوع الثالث (صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم) :

وردت آية الدهر في هذا الموضوع، وقد ابتدأها الله بلفظ:.{قَالُوا} فهو قول باللسان لاعلم لهم به ولا يقين.

- مناسبة الاسم للموضوع الرابع (مشاهد يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ):

حين ذكر الله شبهتهم التي خرجوا بها عن الإيمان، ذكر شيئاً من أهوال يوم القيامة للإنذار، والقرآن حجة لكل من له شبهه من دهرية وغيرهم.

(١) سورة السجدة، آية: ٥.

المبحث الثاني

مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها

ابتدأ الله عز وجل السورة ب {حم}وقال عنها كثير من العلماء أنها للتحدي[1] وهذا من أوجه تناسب مطلع السورة لموضوعاتها، قال الإمام ابن عاشور: "الابتداء بالتحدي بإعجاز القرآن وأنه جاء بالحق توطئة لما سيذكر بأنه حق كما اقتضاه قوله {تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ}[2]. وإثبات انفراد الله تعالى بالأُلوهية، بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه، وقدرته في جواهر الموجودات وأعراضها وإدماج ما فيها مع ذلك من نعم يحق على الناس شكرها لا كفرها. ووعيد الذين كذبوا على الله، والتزموا الآثام بالإصرار على الكفر، والإعراض عن النظر في آيات القرآن والاستهزاء بها. والتنديد على المشركين إذ اتخذوا آلهة على حسب أهواءهم وإذ جحدوا البعث، وتهديدهم بالخسران يوم البعث، ووصف أهوال ذلك، وما أعد فيه من العذاب للمشركين ومن رحمة للمؤمنين. ودعاء المسلمين للإعراض عن إساءة الكفار لهم والوعد بأن الله سيخزي المشركين.

ووصف بعض أحوال يوم الجزاء. ونظر الذين أهملوا النظر في آيات الله مع تبيانها وخالفوا على رسولهم صلى الله عليه وسلم فيما فيه صلاحهم بحال بني إسرائيل في اختلافهم في كتابهم بعد أن جاءهم العلم وبعد أن اتبعوه فما ظنك بمن خالف آيات الله من أول وهلة تحذيرا لهم من أن يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل من تسليط الأمم عليهم وذلك تحذير بليغ.

وذلك تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم بأن شأن شرعه مع قومه كشأن شريعة موسى لا تسلم من مخالف، وأن ذلك لا يقدح فيها ولا في الذي جاء بها، وأن لا يعبأ بالمعاندين ولا بكثرتهم إذ لا وزن لهم عند الله"[3].

فإيثار وصفي العزيز الحكيم بالذكر دون غيرهما من الأسماء الحسنى، لإشعار وصف العزيز بأن ما نزل منه مناسب لعزته، فهو كتاب عزيز غالب لمعانديه، وذلك لأنه أعجزهم عن معارضته.

---

(١) سيأتي الحديث عن ذلك صفحة: ٢١٥.

(٢) آية: ٦.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٢٤).

ولإشعار وصف الحكيم بأن ما نزل مناسب لحكمته، فهو مشتمل على دلائل اليقين والحقيقة، ففي ذلك إيماء إلى أن إعجازه، من جانب بلاغته إذ غلبت بلاغة بلغائهم، ومن جانب معانيه إذ أعجزت حكمته حكمة الحكماء، وقد تقدم مثيل هذا في طالعة سورة الزمر وقريب منه في طالعة سورة غافر(١).

فقد بدأت السورة الكريمة بحرفين لَم نَستطع سوى الوقوف إعترافاً بجهلنا أمام علم الله، وتعظيم وإجلال رب هذا الكتاب المحكم، وحسبنا أن مشركي العرب قبلاً لم يستطيعوا أن يستخرجوا ذماً واحداً في هذا الكِتاب، ولم يتجرؤا حتى ادعاء نقصانه كذباً، وذلك لأنهم أهل الفصاحة والبيان فقد أدركوا أنّ هذه الآيات ليست من قول بَشَر، ومنعهم في بادئ الأمر من الإيمان الكِبر والتمسك بدين الآباء، وقد أنطق الله رأساً من رؤوس الكفر بكلمة حق عن هذا القرآن وهو الوليد بن المغيرة –سيد قريش وأحد فصحائهم– حيث قال: (والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يعلى. ثُمّ حملته الحمية فنكص على عقبيه وكابر{فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ}(٢)(٣).

ولآ يخفى على صاحب حِسٍ وإيمان رهبة النطق بهذا القرآن الكريم، ولهذه الحروف التي في أوائل السور وقعاً خاصاً، وصدىً عجيباً، وتأثيراً يتمكن من القلب يجعل الإنسان يُقرُّ بضعفه وقلة علمه، وأنه لن يُدرك شيئاً من العلم ما لم يمنن الله عليه بفهمه، وبهذا نرى أهل الزيغ والضلال والفرق الضالة، برغم تلاوتهم للقرآن إلا أنه لم يُجاوز حناجرهم ولم يُرشد عقولهم للصواب، ففهم القرآن لايُنال إلا بفضل من الله يؤتيه من يشاء.

وكان بعد هذان الحرفان بيانٌ تكرر في عديد من السور وهو أن هذا القرآن أُنزل من عند الله العزيز الحكيم.

وهذه منَّة الله امتن على نبيه صلى الله عليه وسلم وأمّته؛ بأن أنزل عليه هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد وفيه نبأ ما كان قبلنا،

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٢٥، ٣٢٦).

(٢) سورة المدثر، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٣) الزركشي، البرهان (٢/ ١١١).

وخبر ما بعدنا، وحُكم ما بيننا، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سَمِعَته حتى قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ }[1]،

واسم [الله] تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى[2].

ف "الله": هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هى صفات الكمال، فالله تعالى له جميع معاني الألوهية، وهي كمال الصفات والإنفراد بها، وعدم الشريك في الأفعال؛ لأن المألوه إنما يؤله لما قام به من صفات الكمال، فيُحب ويخضع له لأجلها، والباري جل جلاله لا يفوته من صفات الكمال شيء بوجه من الوجوه، أو يؤله أو بعبد لأجل نفعه وتوليه ونصره فيجلب النفع لمن عبده فيدفع عنه الضرر، ومن المعلوم أنَّ الله تعالى هو المالك لذلك كله، وأنَّ أحداً من الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، فإذا تقرر عنده أنَّ الله وحده المألوه، أوجب له أن يعلق بربه حبه وخوفه ورجاءه، وأناب إليه في كل أموره، وقطع الإلتفات إلى غيره من المخلوقين ممن ليس له من نفسه كمال ولا له فعال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[3].

و{العزيز}: الْعَزِيز أصل (ع ز ز) فِي الكلام الغلبة والشدة، ويُقال عزني فلان على الأمر، إذا غلبني عليه. وقال الله تعالى: {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ}[4]: أراد والله أعلم قوينا أمره وشددناه وقال تعالى {وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}[5] أراد غلبني. ويُقال: عزه يعزه، والله تعالى هو الغالب على كل شيء، وهو

(١) سورة الجن، الآيتان:١، ٢.

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٩).

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة عام ١٤٢١هـ؛ ص: ١٦٥.

(٤) سورة يس، آية: ١٤ .

(٥) سورة ص، آية: ٢٣ .

العزيز الذي ذلّ لعزته كل عزيز[1].

والعزة الكاملة لله، وقد خلق العزة فأعز بها من شاء من المدة، ثم أعقبهم الذلة وأعقب الذليل عزة فهو كما قال: {قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ }[2] ، بينما هو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فيرزقه الله العقل فتراه عزيزا منيعا آمرا ناهيا، ثم تراه وضيعا خاملا، والله تعالى لم يزل عزيزا ولا يزال عزيزا لا تنقص عزته ولا تفنى[3].

{الحكيم}: حكيم بمعنى مُحكم، والله تعالى مُحكم للأشياء متقن لها ، وهو الذي يحسن دقائق الصناعات ويتقنها، كما قال تعالى: {صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ }[4][5].

والحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه، قال تعالى: {وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ}[6]، فلا يخلق شيئاً عبثا، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها. والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والإطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه، وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

---

(١) مقاييس اللغة، (٤/ ٣٨-٤٢). لسان العرب (٥/ ٣٧٤). الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربي؛ ص: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

(٣) قوام السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (١/ ١٤٢).

(٤) سورة النمل، آية: ٨٨ .

(٥) لسان العرب (٢/ ٩١٥-٩٥٥). الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى؛ ص: ٥٢.

(٦) سورة المائدة، آية:٥٠ .

وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، وخلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا.

والخير والشر والطاعات والمعاصي كلها متعلقة وتابعة للحكم القدري، وما يحبه اللَّه منها هو تابع الحكم الشرعي ومتعلّقه- واللَّه أعلم- [1].

فعقب الله مطلع السورة بهذين الاسمين، "وهو تعقيب يناسب جو السورة وما تتعرض له من ألوان النفوس"[2]، وختم بهما أيضاً.

(١) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى؛ ص ١٨٦- ١٨٩. سعيد القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، مطبعة سفير، المملكة العربية السعودية- الرياض؛ ص ١٠١- ١٠٥.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٢١).

المبحث الثالث

مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

• افتتحت السورة وخُتمت بنفس الاسمين {ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ }، وهي متضمنه لما حوته مواضيع السورة المباركة فهو سبحانه: {ٱلۡعَزِيزِ } في نقمته من أعدائه، ومن كذب أو استهزأ بآياته، وهو القاهر كل ما دونه، الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، و{ٱلۡحَكِيم} في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم، الذي يضع الأشياء في أتقن مواضعها ولا يضع شيئاً إلا كذلك كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه، وأحكم نظم هذا القرآن في جميع جمله وآياته وفواصله وغاياته.

"وبعد أن حرر معانيه وتنزيله جواباً لما كانوا يعتنون به، فصار معجزاً في نظمه ومعناه وإنزاله طبق أجوبة الوقائع على ما اقتضاه الحال، فانطبق آخرها على أولها بالصفتين المذكورتين، وبالحث على الاعتبار بآيات الخافقين، والتصريح بما لزم ذلك من الكبرياء المقتضية لإذلال الأعداء وإعزاز الأولياء"(١).

• وافتتحت بتنزيل الكتاب، وختمت بحمد الله، ومعلوم أن إنزال الكتاب نعمة ينبغي شكر الله عليها، كما قال تعالى: {أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ}(٢).

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١٧).

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٥١.

المبحث الرابع

مناسبة خاتمة السورة لموضوعاتها

خُتمت السورة بحمد الله وربوبيته المطلقة، وتمجيده وتعظيمه، إزاء أولئك الذين يغفلون عن آياته ويستهزئون بها ويستكبرون عنها[1].

فقوله تعالى: {فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} تفريع على ما احتوت عليه السورة الكريمة، وقد احتوت على آلاء الله تعالى وأفضاله عز وجل، واشتملت على الدلائل الآفاقية والأنفسية، وانطوت على البراهين الساطعة والنصوص اللامعة في المبدأ والمعاد، وأن كفرهم لا يؤثر شيئا في ربوبيته تعالى، ولا يسد طريق إحسانه ورحمته عز وجلّ. ومن يسد طريق العارض الهطل. وإنما هم ظلموا أنفسهم، وإجراء ما جرى من الصفات الدالة على إنعامه تعالى عليه عز وجلّ كالدليل على استحقاقه تعالى الحمد واختصاصه به جلّ وعلا.

وهو الموصوف بالكمال والأفضال، فله الحمد، وهو رب لسماوات والأرض ومن أقامهما بالعدل فله الحمد، وأنزل شريعة تامة فيها كل الخير، وتجنب الإنسان من اتباع الهوى والسير في الضلال، فحيث أن الخلق يغلب عليهم الهوى فلابد من الوعيد والتخويف، والحث على الخير بذكر الجزاء العظيم لمن أستقام على هذا الشرع القويم.

وذكر لفظ (رب) مرتين، فهو تعالى المربي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم، فأنزل الآيات ليرشدهم ويدلهم عليه[2].

وقد تطرقت السورة كثيراً لاستكبار المشركين، واستهزائهم بالآيات؛ فذكر في آخرها صفة الكبرياء له عز وجل، فهو العلي الكبير المتعالي، الذي لايضره كفر كافر، ولا تكبر ضال ضعيف.

{وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ } الذي لا يغلب {ٱلْحَكِيمُ} في كل ما قضى وقدر، وهو أعظم الملوك، وقد رفع أقواماً وخفض آخرين. وفي هذه الجمل إرشاد إلى أوامر جليلة، وكأنه قيل: له الحمد فاحمدوه تعالى، وله الكبرياء فكبروه سبحانه وهو العزيز الحكيم فأطيعوه في الأوامر المذكورة -والله تعالى أعلم-[3].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٢١).

(٢) القحطاني، الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى؛ ص: ٨٨.

(٣) الألوسي، روح المعاني (١٣/ ١٦٠).

الفصل الثاني

موضوعات سورة الجاثية وتناسقها

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

*،

المبحث الأول:

آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها، يشمل الآيات: (١-١٣).

المبحث الثاني:

وصايا للمؤمنين، يشمل الآيات: (١٤-٢٢).

المبحث الثالث:

صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم، يشمل الآيات: (٢٣- ٢٦).

المبحث الرابع:

مشاهد يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ، يشمل الآيات: (٢٧ – ٣٧).

التمهيد:

لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة، وملامحها المميزة، ومحورها الذي تشد إليه موضوعاتها جميعا، ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تجتمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها، في نظام خاص بها بارز ومميز، والفقرات والآيات والكلمات في السورة، هي الوسائل التي تبلغ بها ما تريد[1].

"وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر"[2]، وغاية مانفعله هو استخراج بعضها مما يفتح الله عز وجل به علينا، وقد ظهرت لي جملة من آيات السورة متناسقة في عباراتها ومواضيعها وتدل دلالة واضحة على الترابط والتناسق والإعجاز في هذه السورة، منها:

• ذكر الله في بداية السورة عدة آيات تُوجب الإيمان والإنقياد له، وهي: تنزيل الكتاب، وخلق السماوات والأرض، وخلق الناس والدواب، واختلاف الليل والنهار، وإنزال الرزق، وتصريف الرياح. لكن برغم عظم هذه الآيات ووضوحها التام؛ فهي في أنفسهم، وفيما حولهم مما يُدركونه؛ إلا أنهم لم ينتفعوا بها، فذكر مقابلها عدة صفات لهم، وهي: الإستكبار عند سماع الآيات، والإستهزاء بها، واتخاذ الأولياء من دون الله، والكفر بآيات الله.

• وذكر عز وجل أن المستفيدين من الآيات ثلاثة وهم: المؤمنين، والموقنين، والعاقلين. وذكر مقابلها ثلاثة أنواع للعذاب: أليم، ومهين، وعظيم.

• وتكرر لفظ هزوا في الآية ٩: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ}، والآية ٣٥: {ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا }، وذلك تناسب واضح، فذكر في وصف هؤلاء الكافرين أنهم اتخذوا آياته هزواً ، ثم بعد أن ذكر صفة عذابهم، عاد للصفة المذكورة في البداية، وبين أنها سبب العذاب.

فما أعظمه من كتاب، وما أحوجنا للتفكر في آياته ودراستها.

---

(١) سد قطب، في ظلال القرآن (١/ ٥٥٥).

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان (٢/ ٢٤٩).

والمعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم:

- **أولا: علم الأحكام:**

كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات، أو الاجتماع أو السياسة المدنية. ويتضح هذا العلم في المبحث الثاني من هذا الفصل: (وصايا للمؤمنين).

- **ثانياً: علم الجدل:**

وهي المحاجة مع الفرق الأربع الباطلة، اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين. ويرجع في شرح هذا العلم وتعريفه إلى المتكلم. ويتضح هذا العلم في المبحث الثالث من هذا الفصل: (صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم).

- **ثالثاً: علم التذكير بآلاء الله:**

كبيان خلق السموات والأرض وإلهام العباد ما يحتاجون إليه، وبيان الصفات الإلهية. ويتضح في المبحث الأول من هذا الفصل: (آيات الله عز وجلّ ووعيد من كفر بها).

- **رابعاً: علم التذكير بأيام الله:**

وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله تعالى إنعاماً على المطيعين ونكالا للمجرمين ،كقصص الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، ومواقف شعوبهم وأقوامهم معهم. ويتضح هذا العلم في المطلب الثاني: (فضل الله على بني إسرائيل واختلافهم من بعد العلم)، من المبحث الثاني، من هذا الفصل.

- **خامساً: علم التذكير بالموت وما بعد الموت:**

كالحشر والنشر والحساب والميزان، والجنة والنار. ويرجع تفصيل هذه العلوم وبيانها وذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بها إلى الواعظ والمذكر. ويتضح هذا العلم في المبحث الرابع من هذا الفصل:(مشاهد يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ)[1].

---

(١) ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م؛ ص: ٢٩.

المبحث الأول:

آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها

يشمل الآيات: (١-١٣)، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

*

المطلب الأول:

مصدر القران الكريم واثبات وحدانية الله. ويشمل الآيات: (١- ٦).

المطلب الثاني:

صفة المكذبين بآيات الله وجزاؤهم. ويشمل الآيات: (٧-١١).

المطلب الثالث:

التذكير بنعم الله تعالى على عباده. ويشمل الآيتان: (١٢-١٣).

المطلب الأول:

مصدر القران الكريم واثبات وحدانية الله

قال الله تعالى:

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾

في هذا المطلب: (**آيات في آيات**)؛ فذكر عدداً من الآيات الكونية في هذه الآيات الشرعية. حيث إن لفظ الآية يطلق في القرآن الكريم على إطلاقين:

الأول منهما: على الشرعية الدينية، كآيات هذا القرآن العظيم، ومنه قوله هنا: {تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ}.

والثاني: على الآية الكونية القدرية، كقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ}[1][2].

وقد ورد لفظ (آيات) هنا خمس مرات، في الأربعة الأولى أُطلق على الآيات الكونية،

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م (٧/ ١٨٧).

والأخيرة عُني بها الآيات الشرعية الدينية.

وهذا من حُسن وبلاغة القرآن، فقوله: {تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ} يشمل الآيات الكونية المذكورة في الآيات الشرعية، فناسب البدء بالآيات الكونية، ثم التعقيب بالآية الشرعية.

وفي التناسب بين الآيات وختامها هنا: أنه تعالى لما ذكر العالَم وكان لا بدَّ له من صانعٍ موصوفٍ بصفات الكمال، ولابد على الخلق أن يؤمنوا بالصانع ناسب ختم الأولى بـ{المؤمنين}، ولما كان الإنسان أقرب إلى الفهم من غيره، وكان فكرُه في خلْقهِ وخلْقِ الدوابّ ممَّا يزيده يقيناً في إيمانه ناسب ختم الثانية بقوله {يوقنون}، ولما كان جزئيات العالَم من اختلاف الليل والنهار وما ذكره معهما مما لا يُدركُ إلَّا بالعقل ناسبَ ختم الثالثة بقوله {يعقلون}[1].

وقد ذكر الله عز وجل هنا جملة من الآيات:

أولها: الأجساد فذكر خلق السماوات والأرض: وهي آيات واضحة تكرر ذكرها في القرآن كثيراً.

ثانيها: الأرواح فذكر خلق الإنسان، وجميع الدواب في الأرض، فخص الإنسان وابتدأ به تكريماً، ثم ذكر كل مايدب في الأرض، وكل شيء مما خلق الله يسمى دابة[2].

ثالثها: الأعراض فذكر اختلاف الليل والنهار، وإنزال المطر، وتصريف الرياح.

وأطلق الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة الرزق وأراد المطر؛ لأن المطر سبب الرزق، وإطلاق المسبب وإرادة سببه لشدة الملابسة بينهما، أسلوب عربي معروف. فأوضح بقوله: {فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أن مراده بالرزق المطر؛ لأن المطر هو الذي يحيي الله به الأرض بعد موتها. وأوضح جل وعلا في مواضع أُخر أنه إنما سمي المطر رزقا؛ لأن المطر سبب الرزق[3].

---

(١) السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م (١/ ٥٢٠).

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال (٨/ ١٣).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان (٦/ ٣٧٧).

فابتدأ الله تعالى السورة بذكر هذه الآيات ليتفكر الناس ويهتدوا، فالشريعة المنزلة من عند الله عز وجل تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريق الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية الحقة لله الواحد الأحد، ولقد كان المفتاح الذي فتح الله به قلوب العباد هو آياته التي تحدثهم عنه، وتربط قلوبهم به: {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ}[1]، ومن لم تنفعه هذه الآيات فهو مُغلق القلب، جاهل الفكر، غرته الدنيا وزينتها، وأخذه الكِبر بعيداً عن الله، فويلٌ ثم ويلٌ له.

وتصدر سور القرآن الكريم بالأحرف المقطعة وإنزال القرآن من الله تعالى، لبيان الإعجاز، والتحدي، وإثبات جهل العباد التام، إلا من أنعم الله عليه وعلمه ماينفعه، وأساس العلم وأنفعه، هو تعلم وإدراك مافي هذا الكتاب الكريم من علوم وبينات.

وذكر الآيات تمهيد لما في السورة الكريمة من أحكام وأوامر، ودليل عدل الله عز وجل في تعذيب الكفار، فقد بين لهم آياته واضحة بينه، وحيث منعهم كِبرهم عن الإيمان بها؛ فهم مستحقون للعذاب الأليم {وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ }[2].

(١) سورة الزمر، آية: ٢٣.

(٢) آية: ٣١.

المطلب الثاني:

صفة المكذبين بآيات الله وجزاؤهم

قال الله تعالى:

وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها :

في المطلب السابق بين الله الآيات واضحة جلية للمؤمنين، فإن لم يكن لديهم إيمان يهديهم ويبصرهم بهذه الآيات، فلعلهم من طلاب الحق واليقين فلينتفعوا بهذه الآيات المحسوسة التي يرونها أمامهم كل حين، وإن لم يكونوا كذلك فلا أقل من أن يكونوا عقلاء لينتفعوا بالآيات[1].

وفي حين عدم إيمانهم بالله واستكبارهم عن قبول الحق، رغم مشاهدتم للآيات الكونية، وسماعهم للآيات الشرعية، فقد استحقوا الويل، والعذاب الأليم.

فأردف تعالى بتقريعهم وتوبيخهم فقال {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ..} الآيات الثلاث، ثم قال {هَـٰذَا هُدًى} وأشار إلى الكتاب وجعله نفس الهدى؛ لتحمله كل أسباب الهدى وجميع جهاته،

(١) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧١).

ثم توعد من كفر به، ثم أردف ذلك بذكر نعمه وآلائه ليكون ذلك زائداً في توبيخهم، والتحمت الآي عاضدة هذا الغرض تقريعاً وتوبيخاً ووعيداً وتهديداً إلى آخر السورة[1].

ولقد حذر الله في أكثر من موضع في كتابه الكريم من الإستهزاء بآياته {وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا }[2]، بعد أن أنزلها وبينها: {وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتٖ مُّبَيِّنَـٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ}[3]، وهو بيان واضح بآيات بينات يرآها ويدركها كل إنسان {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}[4]، فكيف بعد هذه الآيات العظيمة يُعرض إنسان ذو عقل عن هذا الهدى والحق! {وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ }[5]! إن من أعرض بعد ذلك فإنما هو منكوس الفطره، ضال الفكر، منزوع الخير، توعده الله بعذاب أليم غير منقطع.

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨ / ٦٣).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣١.

(٣) سورة النور، آية: ٣٤.

(٤) سورة غافر، آية: ٨١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠١.

المطلب الثالث:

التذكير بنعم الله تعالى على عباده

قال الله تعالى:

ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

لآزال السياق في الحديث عن آيات الله عز وجل ولذلك جعلت هذه المطالب الثلاث في مبحث واحد أطلقت عليه عليه عنوان: (**آيات الله عز وجل ووعيد من كذب بها**).

ففي المطلب الأول: كان الحديث عن الآيات الدالة على ربوبيته عز وجل، وعلى صدق ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وعمن ينتفع بها. وفي المطلب الثاني: كان الحديث عمن استكبر وأعرض عنها، فهذه الآيات إنما اوجدها الله هدىً للناس، فمن أعرض وكذب بها استحق الجزاء العظيم.

وبعد أن ذكر الحجج الدالة على ربوبيته ووحدانيته أردف ذلك ذكر آثارها، فمن ذلك تسخير السفن في البحار، حاملة للأقوات والمتاجر، رجاء أن يشكروا ما أنعم به عليهم، ومنها تسخيره ما في السموات والأرض من شموس وأقمار وبحار وجبال، لتنتفعوا بها في مرافقهم وشئونهم المعيشية[1].

(١) تفسير المراغي (٢٥/ ١٤٦).

قال الشيخ عبد الكريم الخطيب: "مناسبة هذه الآية لما قبلها، هى أن الآية السابقة عليها، أشارت إلى القرآن الكريم، ونبهت إلى أنه الهدى لكل من طلب الهدى، ثم تهددت الآية أولئك الذين يكفرون بربّهم، ولا يقبلون على هذا الهدى الذي أنزله الله سبحانه وتعالى إليهم. وهذه الآية، تجىء بعد هذا، لتحثّ أولئك الذين استمعوا للآية السابقة، ووقفوا موقف التدبّر والتبصر على أن يسرعوا الخطا إلى الله، وان يستجيبوا لما يدعوهم إليه الرسول، من خير وهدى. وإنهم إذ يتجهون إلى الله ليجدون هذه الدعوة المجدّدة إليهم، والكاشفة لهم عن جلال ربهم وعظمته وقدرته، وماله من فضل وإحسان إليهم، فهو سبحانه الذي سخر البحر، ومكّن الناس من أن يجعلوه طريقا ذلولا تجرى الفلك عليه، كما تجرى الدواب على اليابسة كل هذا بأمر الله وحكمته، فهو سبحانه الذي قدّر بحكمته أن تطفو بعض الأجسام على الماء، حسب قانون محكم لا يتخلف أبدا، ومن عجيب هذا القانون: أن يلقى بالحصاة الصغيرة في الماء فتغوص فيه، على حين أنه يلقى فوق ظهره بالسفينة محملة بالدواب، والناس، والأمتعة، فتظلّ سابحة فوقه!"[1].

وفي هذا المطلب تتمة للآيات الكونية، مع اختلاف سياق الآيات، ففي الآيتين نجد لفظ (سخَّر)، وفي معناه قال ابن فارس في معجمه: "(سخر) السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستذلال. من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيء، وذلك إذا ذلله لأمره وإرادته. قال الله جل ثناؤه: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ}"[2].

ومن المجَاز (سَخَرَت السَّفِينَةُ، كمَنَعَ) : أَطاعَت وجَرَتْ و (طَابَ لَهَا الرِّيحُ والسَّيْرُ) ، وَالله سَخَّرَها تَسْخِيراً، والتَّسْخِيرُ: التذليل، وسُفُن سَواخِر مَواخِر، من ذلك. وكل ما ذل وانقاد أَو تَهَيَّأَ لك على ما تُريد فقد سُخِّر لك[3].

فامتن الله هنا بتسخير البحر على وجه الخصوص، وتسخير كل مافي السماوات والأرض على وجه العموم.

وذُكر البحر هنا مع شيء من منافعه، ففيه تسير الفلك لتحمل الناس، وتحمل بضائعهم،

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٣٠).

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة (٣/ ١٤٤).

(٣) الزبيدي، تاج العروس (١١/ ٥٢٣).

وتسهل تجارتهم، ولعل ذكر المنافع في هذه الآية سبب لختامها بأمر الشكر. وكل مافي السماوات والأرض مسخرة مسهلة لنفع الإنسان، فمما في الأرض البحر لتجري فيه الفلك، والجبال الأوتاد، والأنهار العذبة، والأشجار، والدواب.

والسماء هي: كل ما علاك فأظلك، والسماء المطر[1]، فسخر الله لنا السماء تجلب المطر، والهواء العذب للتنفس، والضوء من الشمس، والنجوم زينة للسماء ولينظر ويهتدي بها البشر.

وهنا لفته بسيطة: وهو أن الله ابتدأ بذكر آياته عموماً، ثم اردف بوعيد من استكبر أو استهزأ بها، ثم عاد هنا فذكر الآيات بشيء من التخصيص، فكان حال المستكبرين عنها والمستهزئين بها داخلاً بينها، وكأنه يشير إلى أنّ استكبارهم عنها واستهزاءهم بها لايُغير شيئاً، والله غنيٌ عنهم، وقد علم كفرهم قبل أنّ يُنشئ هذه الآيات، ولا ينتفع بالآيات ويستدل بها على كمال الربّ تبارك وتعالى إلا من امتنّ الله عليه بالإيمان والهداية، فشكر الله تعالى وأدى حق عبادته {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ }[2] والله لاينفعه شكر، ولايضره معصية وكفر.

(١) الرازي، مختار الصحاح؛ ص: ١٥٥.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٣.

المبحث الثاني:

وصايـــــا للمؤمنيـــن

يشمل الآيات: (١٤-٢٢). وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

*،

المطلب الأول:

أمر المؤمنين بالتجاوز عن الكفار، ويشمل الآيتان: (١٤ ، ١٥).

المطلب الثاني:

الحذر مما وقع فيه بنو إسرائيل، ويشمل الآيتان: (١٦ ، ١٧).

المطلب الثالث:

المنة العُظمى على نبينا ﷺ بهذه الشريعة، و يشمل الآيات: (١٨ – ٢٠).

المطلب الرابع:

الفرق بين المحسنين والمسيئين في المحيا والممات، ويشمل الآيتان: (٢١ ، ٢٢).

التمهيد:

مناسبة هذا المبحث للمبحث السابق:

كان الحديث في المبحث الأول عن آيات الله عزّ وجل، والحديث هنا ليس عن استفتاح السورة فقد سبق بيانه في التناسب بين فاتحة السورة لموضوعاتها[1]، بل عن المناسبة بين المبحث الأول والثاني من هذا الفصل، ففي الآيات المذكورة في المبحث الأول تحدث الله عز وجل عن قدرته في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وانزال المطر رزقاً للعباد، فويل لمن كذب بعد هذا، ثُم ذكر أن ماخلقه وأوجده إنما هو تسخير منه لعباده، فينتفع منه الطائع والعاص، وهو بذلك فضل على الطائعين الموحدين الشاكرين الله على مامنّ به عليهم في الأرض والسماء، وهو متاع قليل للكافرين المستكبرين.

ثم بعد أن بين ملكه وفضله جاء الحديث في المبحث الثاني عن وصايا للمؤمنين، وهذا أدعى لقبول الأمر، ونحن نرى ذلك في الدنيا، فالأمر عندما يكون من ملكٍ عظيمٍ ذو سلطان ونفوذ، وصاحب كرم وتفضل على شعبه، فإن ذلك أدعى أن يُنفذ الشعب أوامره، بخلاف لو كان ملكاً ضعيفاً، أو كان ملكاً لم يُقدم شيئاً نافعاً، أيضاً لو قام فرد من عامة الشعب وأصدر أمراً فإن أحداً لن يُبالي به. والله هو الملك الأعظم وصاحب كل فضل، وموجدنا من العدم وهو أعزّ وأجلّ وفوق كل مثل –سبحانه جل في علاه–.

قال الإمام الرازي: "واعلم أنه تعالى لما علم عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة، أتبع ذلك بتعليم الأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة"[2].

وقال البقاعي: "ولما علمت دلائل التوحيد على وجه علم منه أنه قد بسط نعمه على جميع خلقه طائعهم وعاصيهم، فعلمت بواسطة ذلك الأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة، وكان على المقبل عليه المحب له التخلق بأوصافه، أنتج قوله مخاطباً لأفهم خلقه عنه وأطوعهم له الذي الأوامر إنما هي له من شدة طواعته تكوين لا تكليف"[3].

---

(١) صفحة: ١٦٤.

(٢) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٣).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧٧).

المطلب الأول:

أمر المؤمنين بالتجاوز عن الكفار

قال الله تعالى:

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

بعد أن ذكر الله عز وجل الآيات الواضحة البينة، وفضله ومنته على عباده بتسخير كل مافي السماوات والأرض لينتفع به الخَلق، أورد وصايا لعباده المؤمنين، وكان أولها: أن أمرهم بالصفح عن الكفار وعبر عنهم هنا بصفة {لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ } فهم لا يرجون ثواباً، ولا يخافون عقاباً، فمثل هؤلاء خلُّو بينهم وبين ربهم، فهو قادر عليهم وسيأتي اليوم الذي فيه { تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ}[1]، فمن عمل صالحاً فهو ينفع نفسه في الدنيا بأن يكون الله معه ويعينه ويرزقه انشراح الصدر، وفي الآخرة بأن يدخله ربه جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، ومن عمل سوءاً فهو يضرُّ نفسه ويسيء إليها في الدنيا بضنك العيش وفي الآخرة بسوء المآل، وصاحبها يدعو للشفقة فهو هالك متخبط في غياهب الظلم، فحق للمؤمن أن يعفو عنه ولايبالي، فسوف يجازيه الله على سوءه بالعذاب الذي يستحقه.

وأمر الله المؤمنين بالتجاوز والصفح عن الكفار؛ لأن بانتظارهم يوماً يُحاسبون فيه حساباً عسيراً. وفي ذلك اليوم يجزي الله المؤمنين خير الجزاء وأكرمه، من ربٍّ عظيم العطاء والمغفرة،

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

فليصبروا على أذى الكفار قليلاً، فالحال لن يدوم لهم طويلاً. والله تعالى عفوٌ قدير{إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}[1]، وهو يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته.

لذلك أمرهم الله عز وجل بالعفو حتى يأتي يومهم الذي يوعدون، قال تعالى: {خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ }[2].

ولما كان الصبر على الظلم والقهر يحتاج إلى صبر ومواساة؛ كانت صيغة الأمر هنا مطمئنة معلَّلة، فذكر صفة هؤلاء الكفار وهي أنهم لايُدركون حقيقة ماينتظرهم في الأيام المقبلة، فسوف يُهزمون في الدنيا على يد المؤمنين الصابرين المخلصين، وسوف يُلاقون أشد العذاب يوم لاينفعهم ندم. ولما كان انتفاء هذه الصفة عن الكفار ملازماً لكونها من صفات المؤمنين، فهي خير مطمئن لقلوبهم، فكأنه يقول: أنتم يامن ترجون لقاء الله اصبروا على أذى هؤلاء القوم، فهم يفعلون مايفعلون لأنهم لايرجون لقاء الله، بخلافكم أنتم الموقنون المصدقون، فاصبروا حتى تأتي أيام الله التي وعدكم إياها.

قال سيد قطب: "وحين يبلغ سياق السورة إلى هذا المقطع القوي، الذي يصل قلب المؤمن بقلب هذا الوجود، ويشعره بمصدر القوة الحقيقي وهو الاهتداء إلى أسرار هذا الوجود، عند هذا يدعو المؤمنين إلى الترفع والاستعلاء، وسعة الأفق، ورحابة الصدر في مواجهة الضعاف العاجزين، الذين لا تتصل قلوبهم بذلك المصدر الثري الغني، كما يدعوهم إلى شيء من العطف على هؤلاء المساكين، المحجوبين عن الحقائق المنيرة القوية العظيمة من الذين لا يتطلعون إلى أيام الله، التي يظهر فيها عظمته وأسراره ونواميسه"[3].

---

(١) سورة النساء، آية ١٤٩.

(٢) سورة المعارج، آية: ٤٤.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٢٧).

المطلب الثاني:

الحذر مما وقع فيه بنو إسرائيل

قال الله تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

بعد أن وجه الله خطابه للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يأمر المؤمنين بالصبر على أذى الكفار، قص عليهم نعم بني إسرائيل وموقفهم منها، ليثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وقلوب المؤمنين المضطهدين آنذاك {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}[1]، ولايزال الأمر يتكرر على مدى التاريخ، مع أنّ كلمة الدين هي العليا، إلا أنه لايزال هناك أفراد من المؤمنين يُلاقون الظلم على أيدي كفار ضلوا فلايرجون أيام الله ولا لقاءه.

وبنو إسرائيل آتاهم الله نعماً كثيرة وفضلهم على أهل زمانهم، لكنهم مع ذلك كذبوا واستكبروا كما فعلت قريش بادئ الأمر، وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولقومه المؤمنين، وبيان وتحذير للكافرين، لينظروا أحوال الأمم من قبلهم، وكان أقربهم زماناً هم بني إسرائيل.

---

(١) سورة هود، آية: ١٢٠.

أيضاً لأن بني إسرائيل لقوا من آل فرعون عذاباً شديداً، فصبروا حتى نجاهم الله ونصرهم {وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ }[1]، فاعتبروا وانتظروا فرج ربكم فالحال لايدوم، {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ }[2].

وفي هاتين الآيتين امتنّ سبحانه على بنى إسرائيل بما أنعم به عليهم من وافر النعم الدينية والدنيوية، فذكر:

- إنزال التوراة على موسى فيها معالم للهدى وشرائع للناس تهديهم إلى سواء السبيل. {{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ }.
- والقضاء بين الناس والفصل في خصوماتهم، إذ كان الملك فيهم، فاجتمع لهم حكم الدين وحكم الدنيا. {وَٱلْحُكْمَ}.
- وإرسال الرسل، فكثر فيهم الأنبياء بما لم يكن لأمة مثله. {وَٱلنُّبُوَّةَ}.
- وإيتاؤهم طيبات الأرزاق، فكانوا ذوى ترف ونعيم في معايشهم، وكان منهم الملوك ذوو الحظ الأوفر من العظمة والفضل وسعة الجاه والأمر والنهى وبسطة العيش كداود وسليمان عليهما السلام. {وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ }.
- وتفضيلهم على الناس جميعا، إذ لم يكن في أمة أنبياء كما كان فيهم، ولم يجمع الله بين الملك والنبوة في شعب كما اجتمع فيهم، فهم أرفع الشعوب منقبة. {وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ}.

قال ابن عباس: "لم يكن أحد من العالمين أكرم على الله ولا أحب إليه منهم". وقد آتاهم الله من الآيات المرئية والمسموعة وأكثر فيهم من الأنبياء بما لم يفعله بغيرهم ممن سبق.

- وإيتاؤهم أحكاما ومواعظ مؤيدة بالمعجزات. {وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ }.

وقد كان هذا مما يستدعى ألفتهم واجتماعهم، وكانوا كذلك لا يختلفون إلا اختلافا يسيرا لا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٩.

(٢) سورة الحج، آية: ٤٠.

يضر مثله، فلما جاءهم العلم اختلفوا كما أشار إلى ذلك بقوله: {فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ} أي فما حدث فيهم هذا الخلاف إلا بعد قيام الحجة طلباً للرياسة وحسدا فيما بينهم(١).

"ومناسبة هذه الآية وما بعدها مما فيه ذكر لبنى إسرائيل، هى أن الآيات السابقة عليها قد وضعت بين يدى المشركين من قريش هذا الهدى الذي أرسله الله إليهم، وتلك الرحمة التي ساقها لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يقفون من هذا الهدى وتلك الرحمة، موقف الشك، والاتهام، والتردد، وإن ذلك يوشك أن يعرّضهم لعقاب الله، وينزلهم منازل سخطه وغضبه فناسب ذلك أن يُلفتوا إلى بنى إسرائيل الذين يجاورونهم، ويعيشون بينهم، وإلى ما آتاهم الله من الحكم والنبوة، وما رزقهم من طيبات، حيث أنزل عليهم المنّ والسلوى، وكانوا مثلا فريداً في الناس بكثرة الأنبياء الذين بعثوا فيهم، وبالملوك الذين جمعوا بين الملك والنبوة، فحكموهم بسياسة الملك، وحكمة النبوة، ثم بتلك المعجزات الكثيرة التي جاءتهم من الله سبحانه على يد الأنبياء والرسل، فهذه الألطاف والنعم لم تجتمع لمجتمع كهؤلاء القوم.

ومع هذا فقد تحولت تلك النعم في أيدى القوم إلى بلاء ونقم، حيث مكروا بآيات الله وكفروا بها، وقد لعنهم الله، وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، وأقامهم في هذه الدنيا مقاما مضطربا قلقا، لا يجدون فيه إلى الأمن والسلام سبيلا، إذ قطّعهم في الأرض أمما، وسلّط عليهم الناس في كل مجتمع يعيشون فيه، كما قال تعالى: {وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ}(٢).

فهذا التفضيل الذي فضّل الله به بنى إسرائيل، هو ابتلاء لهم كشف عن نفوسهم الخبيثة، وطباعهم الشرسة، كما يكشف الغيث المنزّل من السماء عن معدن الأرض السبخة التي يصيبها الماء الغدق، فإذا هى بعد قليل قد أصبحت مستنقعا آسنا متعفنا، يؤذى كل من يلم به، ففي هذا المثل، يرى المشركون عاقبة من يكفر بنعم الله، ويمكر بآياته، وها هم أولاء بين يدي نعم الله وآياته،

(١) تفسير المراغي (٢٥/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٦٧.

فماذا هم فاعلون؟ أيكفرون ويمكرون، فيلقوا جزاء الكافرين الماكرين، أم يشكرون ويؤمنون، فيكون لهم جزاء الشاكرين المؤمنين؟ ذلك ما تكشف عنه التجربة التي لم يخرجوا منها بعد"[1].

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٣٦،٢٣٧).

المطلب الثالث:

المنة العُظمى على نبينا ﷺ بهذه الشريعة

قال الله تعالى:

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

تم بيان تسمية السورة بسورة شريعة، وسبب هذه التسمية[1]، والحديث هنا عن التناسق في ورود هذه المنّة العظيمة في هذا الموضع من السورة الكريمة.

وقبل هذه الآيات كان (الحديث عن بني إسرائيل)، وهو توطئة وتمهيد لهذا الموضوع[2]؛ فبعد أن ذكر تعالى إنعامه وفضله على بني إسرائيل واختلافهم رغم ذلك، ذكر منّته وفضله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم[3]، وأيضاً لما جعل سبحانه وتعالى بني إسرائيل على شريعة وهددهم بسبب الخلاف فيها؛ كان تهديدهم تهديداً لنا[4].

وقد اختلف بنو إسرائيل، رغم أن الحق كان واضحاً بين أيدهم، وسبب اختلافهم وتفرقهم هو عدم اتباع الحق الذي أُنزل إليهم، فاتباع الحق يترتب عليه مصلحة الدنيا والآخرة، وما نرى

(١) صفحة: ٣٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٣).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط (٩/ ٤١٩).

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧٠). و البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٧).

اختلاف أمتنا اليوم إلا بسبب بعدهم عن الحق واتباعهم لهوى انفسهم.

وقوله: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} معطوف على قوله تعالى: {وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ}، أي ثم بعد أن آتينا بنى إسرائيل ما آتيناهم من بينات من دين الله وشريعته، جعلناك أيها النبي على شريعة من الأمر، فاتبعها.

وفي العطف بثم، إشارة إلى تراخى الزمن، بين ما أنزل الله سبحانه على بنى إسرائيل من آيات ومعجزات، وبين بعثه الرسول، وما أنزل الله الله سبحانه وتعالى عليه من آياته وكلماته[1].

فأمر الله نبيه باتباع هذه الشريعة، والأمر له صلى الله عليه وسلم ولأمته جميعاً، والشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي كلها عدل ورحمة ومصالح وحكم؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث ليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل.

وهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة[2].

---

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٣٨).

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م (٣/ ١١).

المطلب الرابع:

الفرق بين المحسنين والمسيئين في المحيا والممات

قال الله تعالى:

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

الموضوع السابق يدور حول محور الشريعة الإسلامية، والأمر باتباعها، فناسب هنا أن يورد الفرق بين من تمسك بها وبين من أعرض عنها، فإن السماوات والأرض مخلوقتان بالحق، ومن الحق ألا يستوي مُحسن ومسيء.

فابتدأ الله وصاياه بأن أمر المؤمنين بالصفح عن الكافرين، ثُم بين فضله على بني إسرائيل، ثُم فضله ومنته الكبرى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وأمره وأمته تبعاً باتباعها، وكان لابد أن يكون بعد الأمر جزاءً، ولما كان في كل دين مؤمن وكافر، مناصر ومعارض، مصدق ومكذب، والله هو العدل الذي لايظلم أحداً ، كان لابد أن تختلف أحوال الناس يوم القيامة، فقال هنا: {أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }.

ومن مناسبة ذلك أن هذا المبحث ابتدأه الله بأوامر للمؤمنين، وكان أعمها {فَٱتَّبِعْهَا}، وختمه ببيان الفرق بين من اتبع الهدى والأوامر، وبين من أعرض وتكبر واتبع هواه.

والله عز وجل عدل حكم يُحصي جميع أعمال عباده ويوفيهم إياها دون ظُلم لأحد. رُوى عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: "إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور – وفي رواية: النار – لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[(١)].

قال محمد دروزة[(٢)]: "في الآيتين على ما يتبادر عودة على بدء إلى ما احتوته الآيات التي سبقت فصل بني إسرائيل أولا، وتعقيبا على ما احتواه هذا الفصل وما بعده من تعقيب ثانيا. وهما والحالة هذه استمرار في السياق والموضوع. وقد استهدفتا تطمين المؤمنين الصالحين وإنذار الكفار المسيئين، وتنبيها موجها إلى العقل على عدم إمكان تسوية المسيئين مع المحسنين وخلق الله للكون عبثا"[(٣)].

وفي الموضوع الأول (آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها): ذكر الله تعالى خلق السماوات والأرض من حيث كونها آيات للمؤمنين {إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ }، وأيضاً ذكر تسخير كل مافيها لمنافع الإنسان {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ }، وهنا أورد أنه خلقها بالحق، ومن الحق أن يخالف بين حكم المسيء والمحسن في العاجل والآجل[(٤)]، والله تعالى لايظلم أحداً.

وإن كان الله عزّ وجل وهو رب الإنسان ومالكه، حرّم على نفسه الظلم، وحرمه بين العباد عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي

---

(١) صحيح مسلم، باب: في قوله عليه الصلاة والسلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، حديث رقم: ١٧٩؛ (١/ ١٦١).

(٢) محمد عزة بن عبد الهادي دروزة، ولد في نابلس سنة ١٨٨٧م، وتوفي في دمشق سنة: ١٩٨٤م، كان أديباً ومؤرخاً وصحفياً ومترجماً ومفسراً للقرآن. حسين عمر حمادة، محمد عزة دروزة صفحات من حياته وجهاده ومؤلفاته، بيروت – الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، طبعة ١٩٨٣م. والموقع الرسمي للمكتبة الشاملة.

(٣) دروزة، التفسير الحديث (٤/ ٥٦٥).

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧٥).

إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا.."[1]، فكيف يظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وأعظم الظلم هو الشرك بالله، ففي الحديث: عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ }[2] شق ذلك على الناس، وقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: " إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: {يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ }[3] إنما هو الشرك"[4].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) قال: ثم قرأ: {وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ }[5][6].

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٧؛ (٤/ ١٩٩٤).

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٤) صحيح مسلم، باب صدق الإيمان وإخلاصه، حديث رقم: ١٢٤؛ (١/ ١١٤). ومسند أحمد، برقم: ٣٥٨٩ (٦/ ٦٨). واللفظ له.

(٥) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٦) صحيح البخاري، باب قوله: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}، حديث رقم: ٤٦٨٦؛ (٦/ ٧٤).

المبحث الثالث:

صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم

صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم

قال الله تعالى:

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

في هذا المبحث محور واحد، حوى أربع آيات: **الآية الأولى**: حوى صفة أهل الضلال وهي كونهم اتبعوا أهواءهم، فحين ذكر الله عز وجل المِنة العُظمى على نبينا صلى الله عليه وسلم، وأمته بهذه الشريعة وأمر باتباعها قال مُحذراً: {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[1]، وفصل هُنا أمر هؤلاء عبده الأهواء. وقد ضل من اتبع نفسه هواها، كما في الحديث عن شداد بن أوس، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل)[2].

(١) الآية: ١٨.

(٢)رواه أحمد في مسنده، برقم: ١٧١٢٣؛ (٢٨/ ٣٥٠). وابن ماجه في سننه، باب: ذكر الموت والاستعداد له، برقم: ٤٢٦٠ (٢/ ١٤٢٣). والترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن، برقم: ٢٤٥٩، واللفظ له (٤/ ٦٣٨). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلق الذهبي أنه: (صحيح). الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث: ٧٦٣٩؛ (٤/ ٢٨٠).

قال عامر بن الظّرب[1]: الرأى نائم والهوى يقظان، فلذلك يغلب الهوى الرأى[2].

والآية الثانية: في نسبتهم الحوادث للدهر، وهذا افتراء عظيم، دالٌ على جهل هؤلاء القوم؛ إذ كيف يرى الإنسان الذي وهبه الله العقل جميع آيات الله الكونية، ثُم يُتبعها الله بهذه الآيات الشرعية، ولا يهديه عقله أن مدبر كل هذا هو الله العزيز الحكيم.

والآية الثالثة: ذكر مايرونه حجة وهو باطل من كل الوجوه، حيث طلبوا ارجاع آبائهم الميتين، وحجتهم هذه يُبطلها النص والعقل، وهو ماذكره الله في **الآية الرابعة**.

فمن أحياهم أول مرة قادر على إرجاعهم بلا شك، كما قال تعالى: {قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ }[3].

ولما تضمنت السورة وضوح آيات الله والوعيد على من كذب بها، أتبع ذلك بوصايا للمؤمنين، ومنها الأمر باتباع الشرع المنزل على نبيها صلى الله عليه وسلم، ونقيض ذلك هو اتباع الهوى، ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله.

ولما كانو مكذبين بالحق، معرضين عن الإيمان، كان أن ادعوا أن تصريف الأمور ليس بيد أحد، وأن الحوادث هي صدف من الزمان.

ولما انكروا آيات الله عزّ وجل بحثوا عن حجة واهية، فقالوا: {ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ }، وأي حجة هذه؟! وأي استكبارٍ هذا الذي قادهم إلى إهمال عقولهم فأصبحوا كالأنعام، بل أضل؟! { أَمۡ

---

(١) ذُو الحِلْم، عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدوانيّ: حكيم، خطيب، رئيس، من الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها وفارسها. وممن حرم الخمر في الجاهلية. وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما. وهو أحد المعمرين في الجاهلية، وأول من قرعت له العصا، وكان يقال له (ذو الحلم) وفيه قول الشاعر: (إن العصا قرعت لذي الحلم). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥٢). ويُقال له أيضاً: ذُو الحكم، لأنه أحد حكام الجاهلية. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، برقم: ١١٤٢ (١/ ٢٨٦).

(٢) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، (ص: ٩٧).

(٣) سورة يس، آية: ٧٩.

تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً}[1].

ورد الله عليهم بأنه هو تعالى وحده من أوجدهم من العدم، وهو الذي يميتهم، وهو الذي يعيد خلقهم يوم البعث، فإن من قدر على ابتداء الخلق قادر على الإعادة، وهي أمر لازم من مقتضيات إقامة العدل التام والجزاء[2]. وقوله تعالى:{وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} لأمرين: الأول: أنهم لا يفكرون ولا يتعقلون، والثاني: أنهم لتكذيبهم بالوحي الإلهي سدوا في وجوههم طريق العلم الصحيح فهم لا يعلمون، ولن يعلموا حتى يؤمنوا بالوحي ويسمعوه ويتفهموه[3].

ولعلها مرتبطة بقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} فهم لاينتفعون بالحق، وذلك لبعدهم عن الشريعة، وتكذيبهم لآيات الله عز وجل.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٤.

(٢) الزحيلي، التفسير المنير (٢٥/ ٢٨١).

(٣) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٥/ ٣٨).

المبحث الرابع:

مشاهد يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب:

*،

المطلب الأول: بعض مشاهد يوم القيامة

يشمل الآيات (٢٧ – ٢٩).

المطلب الثاني: حال المؤمنين والكافرين يومئذ.

يشمل الآيات (٣٠ – ٣٥).

المطلب الثالث: الثناء على الله عز وجل، (خاتمة السورة)

ويشمل الآيتان (٣٦ ، ٣٧).

التمهيد:

في هذا المبحث يصف الله عالماً آخر، ويذكر مشاهد لايسمع بها صاحب عقل إلا وعلم حقارة الدنيا، وأنها لاشيء يُذكر مقارنة باليوم الآخر، فهي لا تسوى عند الله جناح بعوضه، وقد كان قدوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدرك ذلك حقيقة، فعن عبد الله رضي الله عنه قال: اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم، على حصير فأثر في جلده، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئا يقيك منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنا والدنيا؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»[1].

ولقد نهج القرآن الكريم في الاستدلال على البعث، وتحقق وقوعه منهجاً قوياً، يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس ويقع منه تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة، والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان ومن أنكره فهو كافر، وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور حين سُئل عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2]

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أمور:

أولاً: الإيمان بوقوعه، وأن الله يبعث من في القبور، وهو إحياؤهم حين ينفخ في الصور، ويقوم الناس لرب العالمين، وكثيراً مايقرن الله تعالى بين الإيمان به وبين الإيمان باليوم الآخر، لأن من لم يؤمن باليوم الآخر لايعمل، إذ إنه يرى أن لاحساب.

ثانياً: الإيمان بكل ماذكره الله في كتابه، وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون في ذلك اليوم الآخر.

ثالثاً: الإيمان بما ذكر في اليوم الآخر من الحوض والشفاعة والصراط والجنة والنار، فالجنة دار النعيم، والنار دار العذاب الشديد.

---

(١) سنن ابن ماجه، برقم: ٤١٠٩ (٢/ ١٣٧٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، حديث رقم: ٢٣٧٧؛ (٤/ ٥٨٨).

(٢) صحيح مسلم، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم: ٨؛ (١/ ٣٧).

رابعاً: الإيمان بنعيم القبر وعذابه، لأن ذلك ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف[1].

وكان المبحث السابق مقرراً للبعث والجزاء، فالله يستدل على البعث بالنشأة الأولى، كما قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝

(١) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الثريا – الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٥هـ – ٢٠٠٤م؛ ص: ٤٩.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ }[1]، فبين الله سبحانه للناس بقوله: إن كنتم في ريب من البعث، فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع' فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها[2].

وصدق الله العظيم القائل: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ }[3].

(١) سورة الحج، الآيات: ٥- ٧ .

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين (١/ ١٠٩).

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥، ١١٦.

المطلب الأول

بعض مشاهد يوم القيامة

قال الله تعالى:

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

التناسق بين الموضوع والموضوع السابق:

قال الإمام البقاعي: "ولما دل على قدرته على الإعادة بهذا الدليل الخاص الذي تقديره: فالله الذي ابتدأ خلقكم من الأرض على هذا الوجه قادر على إعادتكم، عطف عليه دليلاً آخر جامعاً فقال تعالى: {وَلله} أي الملك الأعظم وحده {مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ} كلها {وَٱلْأَرْضِ ۚ} التي ابتدأكم منها، ومن تصرف في ملكه بشيء من الأشياء، كان قادراً على مثله ما دام ملكاً"[1].

فالآية معطوفة على ماقبلها، حيث بينت دليلاً آخراً على البعث، وهو أن الله ملك السماوات والأرض، وملك هذا الكون العظيم قطعاً قادر على فعل مايريد، وهو إنما خلقها بالحق فكان لزاماً أن يكون هناك يوماً يُجازى فيه أهل الأرض.

لكني جعلتها في محور مختلف لكونها تصف مشهداً من مشاهد يوم القيامة، وهو خسارة أهل الباطل يومئذ، وذلك أنهم لم يتبعوا رسل الله، وساروا على مايوافق أهواءهم، فخابوا وخسروا خسارة مستمرة التجدد لا انفكاك لهم عنها.

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١٠٣).

وقوله: {يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ} الخُسر: النقصان، والفعل: خَسر يخْسر خُسرانا. والخاسر: الذي وضع في تجارته[1]. والمعنى: تبين لهم خسرانهم لما رأوا العذاب وإلا فهم كانوا خاسرين في كل وقت[2]. كما في قوله تعالى: {وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ}[3].

فبدأ الله أهوال هذا اليوم بأنه يتبين فيه جلياً واضحاً خسارة الكافرين، والذي يخسر دائماً يندم ويغتاض، وهذا زيادة في العذاب والنكال بهم. ثُم إنهم يخرون جاثين على الركب وذلك لهول مايرونه يومئذ، ويلاقون جزاء أعمالهم مكتوبة لا سبيل لهم إلى إنكارها.

(١) العين (٤/ ١٩٥).

(٢) لسان العرب (٤/ ٢٣٩).

(٣) سورة غافر، آية: ٨٥.

المطلب الثاني:

حال المؤمنين والكافرين يومئذ

قال الله تعالى:

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

بعد أن ذكر تعالى أهوال العرض والحساب، وأن أعمال كل أمة تعرض عليها، ويقال لهم هذا ما كتبته الحفظة في الدنيا، فهو شهادة صدق لا شك فيها، أردف هذا بيان أنه بعد انتهاء هذا الموقف يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات النعيم، ويوبّخ الكافرون على ما فرط منهم في الدنيا.

ويقال لهم: لا عذر لكم في الإعراض عن آياتي حين كانت تتلى عليكم إلا الاستكبار والعناد، وقد كنتم في الحياة الأولى إذا قيل لكم إن يوم القيامة آت لا شك فيه، قلتم لا يقين عندنا به، وهو موضع حدس وتخمين، فها هو ذا قد حل بكم جزاء ما اجترحتموه من السيئات، وما

كنتم تستهزئون به[1].

وحال المؤمنين والكافرين، جزء من وصف أهوال يوم القيامة، وقد أشار الله إلى شيء من حال الكافرين عند ذلك اليوم العظيم، في الموضوع السابق في قوله: {يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ}[2]، وهنا فصل في حالهم، وذكر أسباب خلودهم في النار وهي:

• استكبارهم وإجرامهم، وهذا الجُرم ذكره الله أيضاً في أول السورة: {ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا}[3]. والمتكبر على الإيمان والطاعة المتعاظم الذي يسير وفق مراده وما يهواه، يطبع الله على قلبه فلا يسمع ولا يبصر ولا يرى حقاً:{كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}[4].

• تكذيب رسل الله عليهم الصلاة والسلام بأمر قيام الساعة، وكان ردهم: {مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}[5].

• عمل السيئات، والإستهزاء بأمور اليوم الآخر، فكان أن أحاط بهم هذا الذي استهزؤا به.

ومعنى حَاق به الشيء: يحِيقُ حيقاً وحيوقاً وحيقاناً، الأخير بالتحريك أحاط به فهو حائق[6]. وحاق بهم الأمر: لَزِمهم، ووجب عليهم، وَنَزَل[7]. قال الإمام ابن عطية: و(حاق) معناه: نَزل وأحاط وهي مستعملة في المكروه[8].

• اهمال الله لهم، بتركهم كالمنسيين، وذلك جزاء تركهم اتباع الحق في الدنيا.

---

(١) تفسير المراغي (٢٥/ ١٦٤).

(٢) آية: ٢٧ من سورة الجاثية.

(٣) آية: ٨ من نفس السورة.

(٤) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٥) آية: ٣٢ من سورة الجاثية.

(٦) القاموس المحيط (ص: ٨٧٧).

(٧) تاج العروس (٢٥/ ٢١٢).

(٨) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٩٠).

• استهزاؤهم بالآيات، وقد ورد ذلك في السورة: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ}[1]، وانخداعهم بالدنيا، فاستغرقوا للعمل فيها بما يوافق أهواءهم، وتركو شرع الله المطهر، وهذه الأمور التي سعوا لها في الدنيا وحرصوا على كسبها من متاع زائل، قال الله عنها: {وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا}[2].

فأسباب خلودهم المذكورة هنا، لاتخرج عن صفاتهم التي ذكرها الله عز وجل في الآيات (٧-١١)، وهو المطلب الثاني من المبحث الأول في هذا الباب (صفة المكذبين بآيات الله وجزاؤهم) -والله أعلم-.

(١) آية: ٩.

(٢) آية: ١٠.

المطلب الثالث:

الثناء على الله عز وجل (خاتمة السورة)

قال الله تعالى:

فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

التناسق الموضوعي بين هذه الآيات وماسبقها:

في الموضوع السابق تحدث الله عز وجل عن حال المؤمنين وحال الكافرين، وشتان بين الفريقين، وفرق بين كلاً منهما.

ومن شأن القرآن أن يأتي الحمد بعد المقارنة كقوله تعالى: {ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[1]، وقوله: {ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[2].

وأيضاً لما تحدث الله عز وجل عن حال المؤمنين الطائعين وحال الكفار في كثير من مواضع القرآن الكريم، أعقب ذلك بالحمد، كقوله تعالى: {وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) سورة النحل، آية: ٧٥.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٩

ٱلۡعَٰلَمِينَ}[1]، وقوله تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ }[2].

وقد تحدثت السورة الكريمة من أولها عن آيات الله وآلائه، ونعمه وأفضاله، واشتملت على تعداد الآيات الكونية والبراهين الآفاقية، وأثبتت مبدأ الثواب والعقاب إلى آخر مافيها من آيات بينات، ومنشئ هذه الآيات، ومجازي الناس بالعدل وحده يستحق الحمد، والثناء الجميل، والوصف الكريم، فكان آخر السورة أن أثنى الله على نفسه وحمدها.

وقد ابتدأ الله عز وجل كتابه بالحمد في أول سورة: {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }[3]، وأعلمنا أن آخردعاء أهل الجنة الحمد: {وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}[4].

وبعد أن ذكر الله عز وجل ما حوته السورة من آلائه وإحسانه، وما اشتملت عليه من الدلائل التي في الآفاق والأنفس، وما انطوت عليه من البراهين الساطعة على المبدأ والمعاد، أثنى على نفسه بما هو له أهل فقال: {فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} أي فلله الحمد على أياديه على خلقه، فإياه فاحمدوا، وله فاعبدوا، فكل ما بكم من نعمة فهو مصدرها دون ما تعبدون من وثن أو صنم، وهو مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع، ومالك جميع ما فيهنّ.

وهو الموصوف بالكمال؛ فله الحمد، وهو المتفضل على جميع خلقه؛ فله الحمد.

{وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} أي وله الجلال والعظمة والسلطان في العالم

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٥

(٢) سورة الروم، الآيات: ١٦ – ١٨.

(٣) سورة الفاتحة، آية:٢.

(٤) سورة يونس، آية: ١٠.

العلوي والعالم السفلى، فكل شيء خاضع له فقير إليه دون ما سواه من الآلهة والأنداد[1]. ولا تتم تربيته تعالى بإصلاح العالمين، إلا بالشريعة المانعة من الهوى، والخلق يغلب عليهم الهوى؛ فلابد من الوعيد والتخويف، والإثابة والمعاقبة. وأجرى كل ذلك وفق حكمته وعزته تبارك وتعالى.

وهنا عطف على الحمد صفة الكبرياء، فله وحده جل شأنه الكبرياء والعظمة، وله كمال الذات وكمال الوجود، والتنزه عن كل نقص، والاتصاف بكل كمال، وله وحده الكبرياء التي تظهر آثارها في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغلب، القادر الذي لا يعجز، الحكيم في كل ما قضى وقدر، وأنزل ودبر[2].

ولعله من مناسبة ذكر الكبرياء هنا ما اشتملت عليه السورة من وصف المكذبين للآيات؛ ثُم حال ذلهم وهوانهم وخوفهم الشديد، الذي جعلهم يجثون على الركب متمنين أنهم قدموا صالحاً وأنهم ماعصوا الله طرفة عين، فناسب ذكر صفة الكبرياء لله وحده، وحُق لخالق الكون ومبدعه ومنشيء الآيات أن يتكبر وحده، وأن يُعذب من حاول أن يشاركه هذه الصفة التي لاتنبغي إلا له عز وجل.

{وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} أي وهو العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب، الحكيم في أفعاله وأقواله، تقدس ربنا جلت قدرته، وعظمت آلاؤه. له الحمد فاحمدوه، وله الكبرياء فعظّموه، وهو العزيز الحكيم فأطيعوه"[3].

(١) تفسير المراغي (٢٥/ ١٦٧).

(٢) حجازي، التفسير الواضح (٣/ ٤٣٥).

(٣) تفسير المراغي (٢٥/ ١٦٧).

الفصل الثالث

تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي

سورة الجاثية سورة مكية نزلت بعد سورة الدخان وقبل سورة الأحقاف، كما هي في ترتيب المصحف الشريف، عدد آياتها٣٧، ومن أسماءها: الجاثية والدهر والشريعة.

وابتدأت سورة الجاثية بـ{حم}. وهي مايُطلق عليها: الأحرف المقطعة، أو حروف التهجي؛ وحيث سبق الحديث كثيراً أن سورة الجاثية بُدئت بهذه الحروف لغاية عظيمة، فسأتطرق للحديث عنها من أمور:

الأمر الأول: ورودها في القرآن الكريم:

وردت حروف التهجي في تسعة وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفا، يجمعها قولك: (نَصٌّ حَكِيمٌ قَاطِعٌ لَهُ سِرٌّ)، وجمعها السُّهَيْلِيُّ[1] في قوله: (أَلَمْ يَسْطَعْ نُورُ حَقٍّ كُرِهَ)، وجمعها الزركشي في (لَمْ يكرها نص حق سطع).

ثم بنيتها ثلاثة حروف موحدة: ص ق ن، وعشرة مثنى: طه طس يس حم، واثنا عشر مثلثة الحروف: الم الر طسم، واثنان حروفها أربعة: المص المر، واثنان حروفها خمسة: كهيعص حم عسق.

قال الزركشي في البرهان: "واعلم أن الأسماء المتهجاة في أول السور ثمانية وسبعون حرفا فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد، والعين والياء والهاء والقاف كل واحد في مكانين، والصاد في ثلاثة، والطاء في أربعة والسين في خمسة، والراء في ستة، والحاء في سبعة، والألف واللام في ثلاثة عشر، والميم في سبعة عشر" [2].

فالحاء: تكرر ٧ مرات، وهي في آل حم فقط.

أما الميم: فسبع عشرة مرة، في حم:٧ مرات. وفي الم: ٦مرات، في سور: (البقرة، آل عمرآن،

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أَحمد بن أصبغ بن الحسين بن سعدون، الخُثْعَمِي السُّهيْلي الأندلسي، الحافظ صاحب المصنفات ، ناظر علي بن الحسين بن الطراوة في كتاب سيبويه وسمع منه كثيرا من اللغة والآداب، كان عالما بالعربية واللغة والقراءات بارعا في ذلك تصدر للإقراء والتدريس والحديث وبعد صيته وجل قدره جمع بين الرواية والدراية له من المصنفات الروض الأنف في شرح السيرة، واستدعي إلى مراكش وحظي بها وولي قضاء الجماعة وحسنت سيرته، توفي سنة: ٥٨١هـ. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م (١٨/ ١٠١).

(٢) الزركشي، البرهان (١ / ١٦٧).

العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة). وفي المر: مرة واحدة في سورة الرعد. وفي طسم: في موضعين: الشعراء، والقصص. وفي المص: مرة واحدة في سورة الأعراف.

أصبح المجموع ١٧ مرة ذكر فيها لفظ (ميم) في الأحرف المقطعة في أوائل السور.

فنرى اقتصار لفظ (حا) على آل حم فقط، وتكرر لفظ (ميم) في سور أخرى.

الأمر الثاني: من حيث الإعراب:

قال الزجاج: "أجمع النحويين أن هذه الحُروف مَبْنِية على الوقف لا تعرب"(١).

ومذهب الخليل وسيبويه في الحروف المقطعة عموماً: أنها لم تعرب لأنها بمنزلة حروف التهجّي فهي محكيّة ولو أعربت ذهب معنى الحكاية وكان قد أعرب بعض الاسم، وقال الفراء(٢): إنما لم تعرب لأنك لم ترد أن تخبر عنها بشيء(٣).

قال الإمام الزجاج: "وشرح هذه الحروف وتفسيرها أنها ليست تجري مجرى الأسماءِ الْمُتمكنَة، والأفعال المضَارِعة التي يجب لها الإعرابُ وإنما هي تقطيع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب فيه إلا مع كماله، فقولك: (جَعْفر) لا يجب أن تُعْرَبَ منه الجيمَ ولا الْعَيْنَ ولا الفَاءَ ولا الراءَ، دون تكميل الاسم، فإنما هي حكايات وُضِعَتْ على هذه الحروف، فإن أجريتها مجرى الأسماءِ وحدثت عنها قلت: هذه كاف حسنة، وهذا كاف حسنٌ. وكذلك سائر حُرُوف الْمُعجَم، فمن قال هذه كاف أنثَ معنى الكلمة، ومن ذكر فلمعنى الحرف، والإعرابُ وقع فيها لأنك تخرجها من باب الحكاية"(٤). وقال الإمام أبو حفص النعماني في تفسيره: قيل: إن الحروف المقطّعة في أوائل السور أسماء حروف التهجّي، بمعنى أن الميم اسم ل «مه» والعين ل «عَه»، وإن فائدتها إعلامهم بأن هذا القرآن منتظمٌ من جنس ما تنتظمون من كلامكم، ولكن عجزتم عنه، فلا محلّ لها حينئذ من

---

(١) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١ / ٥٩).

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي، مولى بني أسد المعروف بالفراء أبو زكريا: كان هو والأحمر أشهر أصحاب الكسائي، وكانا أعلم الكوفيين بالنحو من بعده. وكان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يقول: لولا الفراء ما كانت اللغة لأنه حصّلها وضبطها. قال أبو بكر ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلوم إليهما. وكان يقال الفراء أمير المؤمنين في النحو. توفي في طريق مكة سنة: ٢٠٧هـ، وقد بلغ ثلاثا وستين سنة. الحموي، معجم الأدباء (٦/ ٢٨١٣).

(٣) النحاس، إعراب القرآن (١ / ٢٣).

(٤) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١ / ٦٠).

الإعراب، وإنما جيء بها لهذه الفائدة، فألقيت كأسماء الأعداد ونحو: «واحد اثنان» ، وهذا أصح الأقوال الثلاثة.

– أما القولان الآخران اللذان ذكرهما:

أحدهما: أنها معربة، بمعنى أنها صالحة للإعراب، وإنما فات شرطه وهو التركيب، وإليه مال الزمخشري رحمه الله[١]. والآخر: أنها موقوفة أي لا معربة ولا مبنية[٢].

قال الزركشي: "هذه الفواتح الشريفة على ضربين:

أحدهما: ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والم.

وَالثَّانِي: ما يتأتَّى فيه وهو إِمَّا أن يكون اسما مفردا كص وق ون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد ك حم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها فتصير ميم مضمومة إلى طس فيجعلا اسما واحدا كدار انجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية[٣].

والوقف على هذه الحروف على السكون لنقصانها إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتها فإنك تعربها. واختلف: هل لها محل من الإعراب؟ فقيل: لا، لأنها ليست أسماء متمكنة، ولا أفعالا مضارعة، وإنما هي بمنزلة حروف التهجي فهي محكية. هذا مذهب الخليل وسيبويه[٤].

وقال الرازي: "هذه الأسماء معربة وإنما سكنت سكون سائر الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد موجبه، والدليل على أن سكونها وقف لا بناء أنها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموع فيها بين الساكنين"[٥].

وقال أبو حيان: "الم أسماء مدلولها حروف المعجم، ولذلك نطق بها نطق حروف المعجم، وهي موقوفة الآخر، لا يقال إنها معربة لأنها لم يدخل عليها عامل فتعرب ولا يقال إنها مبنية لعدم

---

(١) قال الزمخشري: (هي أسماء معربة)، الكشاف (١ / ٢١).

(٢) ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ –١٩٩٨م (١ / ٢٥١).

(٣) الزركشي، البرهان (١ / ١٧٢).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٥٦).

(٥) الرازي، التفسير الكبير (٢ / ٢٥٠).

سبب البناء، لكن أسماء حروف المعجم قابلة لتركيب العوامل عليها فتعرب، تقول هذه ألف حسنة ونظير سرد هذه الأسماء موقوفة، أسماء العدد، إذا عدوا يقولون: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة"[١].

وقد كتبت في المصاحف الشريفة على صورة الحروف أنفسها لا على صورة أساميها وعلل ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها فحمل على ذلك للمشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضا فإن شهرة أمرها وإقامة ألسنة الأحمر والأسود لها وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يجيء بطائل فيها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي يبنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بنكير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف[٢].

وإن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء، مسمياتها الحروف المبسوطة، لأن الضاد مثلا لفظة مفردة دالة بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه من غير دلالة على الزمان المعين لذلك المعنى، وذلك المعنى هو الحرف الأول من «ضرب» فثبت أنها أسماء ولأنها يتصرف فيها بالإمالة والتفخيم والتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة، فكانت لا محالة أسماء.

قد روى أبو عيسى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف، لكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٣]، سماه حرفا مجازا لكونه اسما للحرف، وإطلاق اسم أحد المتلازمين على الآخر مجاز مشهور[٤].

الأمر الثالث: في المعنى المراد منها:

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط (١ / ٥٦).

(٢) الزركشي، البرهان (١ / ١٧٢).

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن، حديث رقم: ٢٩١٠؛ (٥/ ٢٥).

(٤) الرازي، التفسير الكبير (٢ / ٢٤٩).

من أقوى وأسلم ماقيل في هذا الحروف: أنها علم مستور وسر محجوب استأثر الله به ولهذا قال الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور قال الشعبي إنها من المتشابه نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل.

قال الطبري: قال بعضهم: لكل كتاب سرٌّ، وسرُّ القرآن فواتحه [1].

وقال الإمام الرازي: "وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يفهمه الخلق لأن الله تعالى أمر بتدبره والاستنباط منه وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه ولأنه كما جاز التعبد بما لا يعقل معناه في الأفعال فلم لا يجوز في الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه وتارة بما لا نقف على معناه ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم" [2].

قال الشوكاني: ومن أدق ما أبرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزمخشري في الكشاف فإنه قال: واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء، وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء: وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم، ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف. وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله، وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته، فكأن الله نعالى عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم [3]. وأقول: هذا التدقيق لا يأتي بفائدة يعتد بها، وبيانه أنه إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت كما قال، فهذا متيسر بأن يقال لهم: هذا القرآن هو من الحروف التي تتكلمون بها ليس هو من حروف مغايرة لها، فيكون هذا تبكيتا وإلزاما يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز وتعمية وتفريق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين سورة، ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها، وذلك النصف مشتمل على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلي ولا إسلامي ولا مقر ولا منكر ولا مسلم ولا معارض، ولا يصح أن يكون مقصدا من مقاصد الرب سبحانه،

(١) الطبري، جامع البيان (١ / ٢٠٩).

(٢) الزركشي، البرهان (١ / ١٧٣).

(٣)الزمخشري، الكشاف (١/ ٢٩).

الذي أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به. وهب أن هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة، فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا أنه كلام بليغ أو فصيح، وذلك لأن هذه الحروف الواقعة في الفواتح ليست من جنس كلام العرب حتى يتصف بهذين الوصفين، وغاية ما هناك أنها من جنس حروف كلامهم ولا مدخل لذلك فيما ذكر.

والأسلم التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع، وهذا هو المهيع الواضح والسبيل القويم، بل الجادة التي ما سواها مردوم، والطريقة العامرة التي ما عداها معدوم، فمن وجد شيئا من هذا فغير ملوم أن يقول بملء فيه ويتكلم بما وصل إليه علمه، ومن لم يبلغه شيء من ذلك فليقل لا أدري، أو الله أعلم بمراده، فقد ثبت النهي عن طلب فهم المتشابه ومحاولة الوقوف على علمه مع كونه ألفاظا عربية وتراكيب مفهومة، وقد جعل الله تتبع ذلك صنيع الذين في قلوبهم زيغ، فكيف بما نحن بصدده؟ فإنه ينبغي أن يقال فيه إنه متشابه المتشابه على فرض أن للفهم إليه سبيلا، ولكلام العرب فيه مدخلا، فكيف وهو خارج عن ذلك على كل تقدير.

وختم الشوكاني حديثه بقوله: "والذي أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأمة أن لا يتكلم بشيء من ذلك، مع الاعتراف بأن في إنزالها حكمة لله عز وجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا، وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزه" [(١)].

وقال ابن أبي زَمَنِين[(٢)] في تفسيره: (قد سمعتُ بَعض من أقتدي بِه من مَشَايِخنَا يَقُولُ: إِن الإِمسَاك عَن تَفسيرهَا أفضل)[(٣)].

وهي لإظهار إعجاز القرآن وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنّ كل حرف من هذه الحروف الثمانية والعشرين [(٤)].

---

(١) المرجع السابق (١ / ٣٨).

(٢) ابن أَبي زَمَنِين: محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زمنين: فقيه مالكي، من الوعاظ الأدباء، من أهل إلبيرة، سكن قرطبة، ثم عاد إلى إلبيرة فتوفي بها، سئل: لم قيل لكم بنو أبي زمنين؟ فقال: لا أدري. له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ، منها (أصول السنَّة) و (منتخب الأحكام) و (تفسير القرآن)، توفي سنة: ٣٩٩هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٧).

(٣) ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م (١ / ١٢٠).

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان (١ / ١٣٧).

وقال الإمام أبو جعفر الطبري: "الصوابُ في تأويل ذلك عندي: أنّ كلّ حرف منه يحوي ما قاله الربيع[1]، وما قاله سائر المفسرين غيرُه فيه، سوى ما ذكرتُ من القول عَمَّن ذكرت عنه من أهل العربية: أنهّ كان يوجِّه تأويلَ ذلك إلى أنّه حروف هجاء، استُغني" [2]. وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها[3].

وقال الإمام ابن كثير[4] في تفسيره: "لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى؛ ومن قال من الجهلة: إنه في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية، فقد أخطأ خطأً كبيرا، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: {ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ}[5].

إذاً فلم يُجمع العُلماءُ فيها على شيء مُعيّن، وإنّما اختلفُوا، فمن ظهر لهُ بعضُ الأقوال بدليل فعليه اتّباعُهُ، وإلّا فالوقفُ حتّى يتبيّن. هذا مقام.

الأمر الرابع: في الحكمة الّتي اقتضت إيراد هذه الحُرُوف في أوائل السُّور، مع قطع النّظر عن معانيها في أنفُسها. فقال بعضُهُم: إنّما ذُكرت لنعرف بها أوائل السُّور. وقال آخرُون: بل ابتُدئ بها لتُفتح لاستماعها أسماعُ المشركين، إذ تواصوا بالإعراض عن القُرآن حتّى إذا استمعُوا لهُ تُلي عليهمُ المؤلّف منهُ. حكاهُ ابنُ جرير، وهُو ضعيف أيضا؛ لأنّهُ لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السُّور لا يكُونُ في بعضها، بل غالبُها ليس كذلك، ولو كان كذلك لانبغى الابتداءُ بها في أوائل الكلام

---

(١) قال حدثني المثنى بن إبراهيم الطبري، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، عن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، قال: حدثني أبي، عن الربيع بن أنس، في قول الله تعالى ذكره:"ألم"، قال: هذه الأحرف، من التسعة والعشرين حرفًا، دارت فيها الألسُن كلها. ليس منها حرف إلا وهو مِفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبَلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدّةِ قوم وآجالهم. الطبري، جامع البيان (١ / ٢٠٨).

(٢) المرجع السابق (١ / ٢١٧).

(٣) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (١ / ٢٢).

(٤) ابن كثير: الإمام الجليل الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير، الفقيه الشافعي، وأخذ عن ابن تيمية، كان قدوة العلماء والحُفَّاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجّي: "كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك"، توفي سنة: ٧٧٤هـ. الداوودي، طبقات المفسرين (١/ ١١٢). والذهبي، التفسير والمفسرون (١/ ١٧٣).

(٥) سورة آل عمران، آية ٧ .

معهُم، سواء كان افتتاح سُورة أو غير ذلك. ثُمّ إنّ هذه السُّورة والّتي تليها أعني البقرة وآل عمران مُدنيّتان ليستا خطابا للمُشركين، فانتقض ما ذكرُوهُ بهذه الوُجُوه.

وقال آخرُون: بل إنّما ذُكرت هذه الحروفُ في أوائل السُّور الّتي ذُكرت فيها بيانا لإعجاز القُرآن، وأنّ الخلق عاجزُون عن مُعارضته بمثله، هذا مع أنّهُ تركّب من هذه الحُرُوف المقطّعة الّتي يتخاطبُون بها.

ولهذا كُلُّ سُورة افتُتحت بالحُرُوف فلا بُدّ أن يُذكر فيها الانتصارُ للقُرآن وبيانُ إعجازه وعظمته، وهذا معلُوم بالاستقراء، وهُو الواقعُ في تسع وعشرين سُورة[1] .

وذكر السيوطي أنها من المتشابه والمختارُ فيها أنها من الأسرار التي لا يعلمُها إلا اللهُ تعالى أخرج ابنُ المنذر وغيرهُ عن الشّعبيّ أنّهُ سُئل عن فواتح السُّور فقال: "إنّ لكُلّ كتاب سرّا وإنّ سرّ هذا القُرآن فواتحُ السُّور وخاض في معناها آخرُون" [2].

وحيث أشتهر أن كل سورة افتتحت بالحروف المقطعة فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، فكان مابعدها: {تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ } فأخبر الله تعالى: بأن هذا القرآن تنزيل قاطع من الله القوي الغالب الذي لا يُقهر، المحكم للأشياء [3]. وعظمة القرآن وإعجازة من عظمة مُنزله الله العزيز الحكيم.

وفي إضافة التنزيل إليه في هذا الموضع وفي أمثاله وجهان:

أحدهما: افتتاح كتابه منه كما يفتتح الكاتب كتابه به.

الثاني: تعظيماً لقدره وتضخيماً لشأنه عليه في الابتداء بإضافته إليه [4].

وفي قوله: {تَنْزِيلُ} يُستدل بها على علو الله عز وجل، والعلو صفة ذاتية ثابته لله عزّ وجل بالكتاب والسنة، ومن أسمائه (العلي) و(الأعلى) و(المتعال).

والعلو ثلاثة أقسام: ١- علو شأن. ٢- علو قهر. ٣- علو فوقية (علو ذات).

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله تعالى فوق جميع مخلوقاته، مستوٍ على عرشه، عالياً

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ١٦٠).

(٢) السيوطي، الإتقان (٣ / ٢٤).

(٣) الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٣ / ٢٣٩١).

(٤) الماوردي، النكت والعيون (٥ / ٢٦٠).

على خلقه، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم ولا تخفى عليه خافية[1].

قال تعالى: { يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩}[2].

وروى البخاري عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اتق الله، وأمسك عليك زوجك»، قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات[3].

فالله هو العلي الذي أنزل القرآن الكريم الجامع لكل خير مفرقاً، لزيادة التسهيل في التفهيم والإبلاغ في اليسر في التعليم، وغير ذلك من الفضل العميم، وزاده عظماً بقوله: {مِنَ ٱللَّهِ } أي كائن من المحيط بصفات الكمال.

ولما كان للعزة والحكمة أعظم بركة هنا قال: {ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ } فكان كتابه عزيزاً حكيماً، لا كما تقول الكفرة من أنه شعر أو كذب أو كهانة، لأنه لا حكمة لذلك ولا عزة بحيث يلتبس أمره بأمر هذا الكتاب المحيط بدائرة الحكمة والصواب[4]. والله عز وجل هو {ٱلْعَزِيزِ } في انتقامه من أعدائه (ٱلْحَكِيمِ) في تدبير أمر خلقه[5]. وهاتان الصفتان: نعت وفيهما معنى المدح[6].

وبعد أن ذكر الله إنزال الكتاب وصفتي: العزة والحكمة، دل بشواهد القدرة وآثار الصنعة على هاتين الصفتين، وعلى وحدانيته فيهما، اللازم منه تفرده المطلق فقال مؤكداً لأجل من ينكر ذلك ولو بالعمل، وترغيباً في تدقيق النظر بتأمل آيات الوجود التي هذا الكتاب شرح لمغلقها

---

(١) السقاف، علوي بن عبد القادر السقاف، صفات الله عز وجل الوارده في الكتاب والسنة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية– الظهران، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م؛ ص: ٢٥٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٣) صحيح البخاري، باب {وكان عرشه على الماء} سورة هود، آية: ٧، {وهو رب العرش العظيم} سورة التوبة، آية:١٢٩، حديث رقم: ٧٤٢٠؛ (٩/ ١٢٤).

(٤) البقاعي، نظم الدرر (١٨ / ٦٠).

(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢ / ٥٩).

(٦) النحاس، إعراب القرآن (٤ / ٩٢).

وتفصيل لمجملها. وإيماء إلى أنها أهل لصرف الأفكار إلى تأملها: فقال: {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ} أي ذواتها بما لها من الدلالة على صانعها، وخلقها على ما فيها من العبر بما فيها من المنافع وعظيم الصنعة، وبما فيها من الكواكب {وَالْأَرْضِ} كذلك وبما حوت من المعادن والمعايش والمنابع والمعاون {لَآيَاتٍ} أي دلائل على وحدانيته وجميع كماله، فإن من المعلوم أنه لا بد لكل من ذلك من صانع متصف بذلك.

ومحلُّ الآياتِ إمَّا نفسُ السمواتِ والأرضِ فإنَّهما منطويتانِ من فنونِ الآياتِ على ما يقصرُ عنه البيانُ وإما خلقُهما كما في قولِه تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السموات والأرض وهو الأوفقُ[1].

ولم يأت بالآيات مفصلة، بل أتى بها مجملة، إحالة على غوامض يثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع.

{لِلْمُؤْمِنِينَ} جعلها للمؤمنين، إذ في ضمن الإيمان العقل والتصديق[2].

والإيمان في اللغة: هو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول والإذعان وهو مطابق للشرع[3].

وهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف أهل للنظر؛ لأن ربهم يهديهم بإيمانهم فشواهد الربوبية لهم منهما لائحة، وأدلة الإلهية فيهما واضحة، ولعله أشار بالتعبير بالوصف إلى أنه لا بد في رد شبه أهل الطبائع من تقدم الإيمان، وأن من لم يكن راسخ الإيمان لم يخلص من شكوكهم[4].
شكوكهم[4].

فذكر الله أيات معنوية وآيات حسية من أوضحها السماوات والأرض ففيها عبراً وحُججاً للمصدقين بها، فخالقها تبارك وتعالى لم يخلقها عبثاً[5].

ومن مناسبتها أيضاً للآية السابقة أن من مقتضيات العزة والحكمة: خلق السماوات وخلق

---

(١) أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٨/ ٦٧).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (٩/ ٤١٣).

(٣) العثيمين، شرح الأربعين النووية (ص: ٣٣).

(٤) البقاعي، نظم الدرر (١٨ / ٦٠).

(٥) مكى بن أبى طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٠ / ٦٧٦٥).

الأرض، فهي أدلة قاطعة على وجود الله، ووحدانيته، وقدرته الباهرة [١].

ثم قال تعالى متابعاً آياته: {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

يَبُثُّ معناه: ينشر في الأرض. والدابة: كل حيوان يدب، أو يمكن فيه أن يدب[٢].

فلما ذكَّر سبحانه بالنظر في آيات الآفاق، أتبعها آيات الأنفس فقال: {وَفِي خَلْقِكُمْ} أي المخالف لخلق الأرض التي أنتم منها بالاختيار والعقل والانتشار والقدرة على السار والضار {وَمَا يَبُثُّ} أي ينشر ويفرق بالحركة الاختيارية بثاً على سبيل التجدد والاستمرار {مِنْ دَابَّةٍ} مما تعلمون ومما لا تعلمون بما في ذلك من مشاركتكم في الحركة بالاختيار والهداية للمنافع بإدراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وإدراك الكليات وغير ذلك من مخالفة الأشكال والمنافع والطبائع ونحوها {آيَاتٌ} أي على صفات الكمال ولا سيما العزة والحكمة [٣].

ولما كانت آيات الأنفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف، قال: {لِقَوْمٍ} أي فيهم أهلية القيام بما يحاولونه {يُوقِنُونَ} أي يتجدد لهم العروج في درجات الإيمان إلى أن يصلوا إلى شرف الإيقان، فلا يخالطهم شك في وحدانيته؛ قال الحرالي[٤] في تفسير {أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ}[٥]: آية النفس منبهة على آية الحس، وآية الحس منبهة على آية النفس، إلا أن آية النفس أعلق، فهي لذلك أهدى، غاية آية الآفاق الإيمان، وغاية آية النفس اليقين[٦].

---

(١) الزحيلي، التفسير الوسيط (٣ / ٢٣٩٢).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٧٩).

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٦٧).

(٤) علي بن أحمد بن الحسن الحرالّي التجيبي، أبو الحسن: مفسر، من علماء المغرب. أطال الغبريني في الثناء عليه وإيراد أخباره، وقال: ما من علم إلاَّ له فيه تصنيف. أصله من " حرالة " من أعمال مرسية. ولد ونشأ في مراكش. ورحل إلى المشرق وتصوف، ثم استوطن بجاية، وعاد إلى المشرق، فأخرج من مصر. وتوفي في حماة (بسورية) من كتبه: مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، في التفسير، قال ابن حجر: جعله قوانين كقوانين أصول الفقه، والوافي في الفرائض، قال الذهبي: كان فلسفي التصوف، ملأ تفسيره بحقائقه ونتائج فكره وزعم أنه يستخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها! توفي سنة:٦٣٨ هـ . الأعلام للزركلي (٤ / ٢٥٦).

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٩.

(٦) البقاعي، نظم الدرر (١٨ / ٦٥).

ويتابع الله عز وجل ذكر آياته فقال تعالى: {وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ }: هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه[1]، وأيضاً الاختلاف بالطول والقصر، واختلافهما أيضاً بذهاب أحدهما ومجيء الآخر[2]. {وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ }: أي المطر الذي ينبت به الزرع وتحيا به الأرض. أيضاً إنزال ما قضاه الله في السماء من أرزاق العباد[3]، والرزق هو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيْث ميت الأرض، حتى اهتزّت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع[4]. قال الشوكاني: "والرزق: المطر لأنه سبب لكل ما يرزق الله العباد به، وإحياء الأرض: إخراج نباتها، وموتها خلوها عن النبات"[5].

{وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ } فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تصريفها بإرسالها حيث يشاء.

الثاني: ينقل الشمال جنوباً والجنوب شمالاً ، قاله الحسن.

الثالث: أن يجعلها تارة رحمة وتارة نقمة؛ قاله قتادة [6].

ولا خلاف بين هذه الأوجه فجميعها صحيحة. قال الطبري: "وفي تصريفه الرياح لكم شمالا مرّة، وجنوبا أخرى، وصبًّا أحيانا، ودبورا أخرى لمنافعكم. وقد قيل: عنى بتصريفها بالرحمة مرّة، وبالعذاب أخرى"[7]. وقال الزركشي: "معنى تصريف الرياح أنها تهب تارة من جهة، وتارة من أخرى، وتارة تكون حارة، وتارة تكون باردة، وتارة نافعة، وتارة ضارة"[8].

وفي ختام هذه الآيات قال ابن عطيه: "وذكر تبارك وتعالى الآيات التي في السماوات

---

(١) الطبري، جامع البيان (٢٢ / ٦١).

(٢) الماوردي، النكت والعيون (٥ / ٢٦٠).

(٣) المرجع السابق (٥ / ٢٦١).

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٢ / ٦١).

(٥) الشوكاني، فتح القدير (٥/ ٦).

(٦) الماوردي، النكت والعيون (٥ / ٢٦١).

(٧) الطبري، جامع البيان (٢٢ / ٦١).

(٨) الشوكاني، فتح القدير (٥/ ٦).

والأرض مجملة غير مفصلة، فكأنها إحالة على غوامض تثيرها الفكر، ويخبر بكثير منها الشرع، فلذلك جعلها للمؤمنين، إذ في ضمن الإيمان العقل والتصديق. ثم ذكر تعالى خلق البشر والحيوان، وكأنه أغمض مما أحال عليه أولا وأكثر تلخيصا، فجعله للموقنين الذين لهم نظر يؤديهم إلى اليقين في معتقداتهم. ثم ذكر تعالى اختلاف الليل والنهار والعبرة بالمطر والرياح، فجعل ذلك لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، إذ كل عاقل يحصل هذه ويفهم قدرها، وإن كان هذا النظر ليس بلازم ولا بد فإن اللفظ يعطيه"[(١)].

وقال الرازي: "وأظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين"[(٢)].

وأكثر أدلة التوحيد مذكورة في هذه الآيات الثلاث[(٣)].

قال الخازن: "فإن قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لَآياتٍ للمؤمنين، ولقوم يوقنون ويعقلون. قلت معناه إن المنصفين من العباد إذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه الإله القادر على كل شيء ثم إذا أمعنوا النظر ازدادوا إيقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه"[(٤)].

وقال النيسابوري: "الدلائل المذكورة في هذه الآيات قسمان: نفسية وخارجية. فالنفسية أولى بالإيقان لأنه لا شيء أقرب إلى الإنسان من نفسه، والخارجية بعضها فلكية وبعضها آثار علوية. فالفلكية لبعدها عن الإنسان اكتفى فيها بمجرد التصديق، وأما الآثار العلوية فكانت أولى بالنظر والاستدلال لقربها وللإحساس بها فلا جرم خصت بالتعقل والتدبر، وأما تقديم السموات على الأرض فلشمولها ولتقدمها في الوجود"[(٥)].

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٧٩).

(٢) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧١).

(٣) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢ / ١٠٨٣).

(٤) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ١٢٢)

(٥) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ

ثُم قال تعالى مشيراً إلى الآيات السابقة: {تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ }، أي: هذه حجج الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله أي: بعد حديثه وآياته يؤمن هؤلاء المشركون؟![1] فمن لم ينتفع بهذه الآيات فلا شيء بعده يجوز أن ينتفع به[2].

قال الشيخ إسماعيل حقي[3]: "تلك الآيات القرآنية من أول السورة نتلوها عليك بواسطة جبريل عليه السلام حال كوننا بالحق أي محقين أو حال كون الآيات متصفة بالحق والصدق بعيدة من الباطل والكذب نتلوها عليك اى بتلاوة النظم الدال عليها فبأي حديث من الأحاديث وخبر من الاخبار بعد الله وآياته، وتقديم الاسم الجليل لتعظيمه، كما في قولهم: (أعجبني زيد وكرمه) يريدون أعجبني كرم زيد ونظيره قوله تعالى {وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ}[4] فان اسم الله هنا ايضا مذكور بطريق التعظيم[5].

وفي إسناد تلاوة الآيات من الله عز وجل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، مع أن الذي يتلوها عليه جبريل عليه السلام، تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم، واحتفاء به، وتكريم له.

زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ (٦/ ١١١).

(١) ابن الجوزي، زاد المسير (٤/ ٩٦).

(٢) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧١).

(٣) إسماعيل حَقِّي: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر، تركي مستعرب، ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذي. وعاد إلى بروسة فمات فيها. له كتب عربية وتركية. فمن العربية (روح البيان في تفسير القرآن) أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، و (الرسالة الخليلية) تصوف، و (الأربعون حديثا)، توفي سنة: ١١٢٧هـ. الأعلام للزركلي (١/ ٣١٣).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤١.

(٥) أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، روح البيان، دار الفكر – بيروت (٨/ ٤٣٧).

"وحسبه صلوات الله وسلامه عليه من الشرف والرفعة، أن ينكشف الحجاب بينه وبين ربّه جلّ وعلا وأن يخلي جبريل مكانه بين الله سبحانه، وبين عبده محمد صلوات الله وسلامه عليه، فلا يسمع الرسول إلّا كلمات ربّه، من ربّه وإن كان جبريل هو الذي يحملها إليه"[1].

ثم انتقل الخطاب لتهديد من كفر وتكبر عن الإيمان بهذه الآيات فقال تعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ}، الوادي السائل من صديد أهل جهنم، لكل كذاب ذي إثم بربه، مفتر عليه {يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ } وبدل أن يؤمن بها {ثُمَّ يُصِرُّ } على كفره وإثمه، فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع عنه {مُسۡتَكۡبِرٗا } على ربه أن يذعن لأمره ونهيه {كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا } يقول: كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره {فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ} يقول: فبشر يا محمد هذا الأفَّاك الأثيم الذي هذه صفته بعذاب من الله له. {أَلِيمٖ} : يعني موجع في نار جهنم يوم القيامة[2].

والأفاك: الكذاب، وهي صيغة مبالغة من الإفك والافتراء وقلب الحقائق. والأثيم: المبالغ في اقتراف الآثام. وهاتان الصفتان هما الآفتان اللتان تتسلطان على أهل الزيغ والضلال، فلا يكون منهم قبول للحق، ولا تجاوب معه[3].

{وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ } هو معطوف على تلك الأوصاف التي وصف بها الأفاك الأثيم في الآية السابقة[4]، فلما بين تعالى كفره بما يسمع من الآيات، عطف عليه ما هو أعم منه[5]، فذكر الله أن هذا الأفاك الأثيم إذا حفظ شيئاً

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٢٤).

(٢) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٦٣).

(٣) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٢٥).

(٤) المرجع السابق (١٣/ ٢٢٦).

(٥) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧١).

شيئاً من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا.

ووصف الله عذابهم أنه عذاب مهين يذله ويذهب بعزه، ووصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكباره واستهزائه بآيات الله[1]، فكان جزاؤه العذاب المهين في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به[2]؛ ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو)[3].

بعد أن ذكر الله أن له عذاباً مهينا فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال: {مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ} وكل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة ولا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئا[4].

{مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ} أي بين أيديهم. وإنما قيل لما بين يديه: هو ورائي، لأنك من ورائه، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار: إذ كان ملاقيك، كأنه من ورائك وأنت أمامه. وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك: هو ورائي، ولا إذا كان وراءك أن يقال: هو أمامي، ويقول: إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل: وراءك برد شديد، وبين يديك حرّ شديد، لأنك أنت وراءه، فجاز لأنه شيء يأتي، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. قال: فلذلك جاز الوجهان[5].

قال الشوكاني: "{مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ} أي: من وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم، فإنها من قدامهم لأنهم متوجهون إليها، وعبر بالوراء عن القدام، وقيل: جعلها باعتبار إعراضهم عنها كأنها خلفهم[6].

---

(١) أبو الفداء، روح البيان (٨/ ٤٣٩).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٦٥).

(٣) صحيح مسلم، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم، حديث رقم: ١٨٦٩؛ (٣/ ١٤٩٠).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٦٥).

(٥) الطبري، جامع البيان (١٨/ ٨٣). وابن منظور، لسان العرب (١/ ١٩٣).

(٦) الشوكاني، فتح القدير (٥/ ٧).

ولما كانوا يظهرون الركون إلى ما بأيديهم من الأعراض الفانية، قال: { وَلَا يُغْنِى عَنْهُم} أي في دفع ذلك { مَّا كَسَبُواْ } أي حصلوا من الأمور التي أفادتهم العز الذي أورثهم الاستهزاء {شَيْـًٔا} أي من إغناء. ولما كان هؤلاء لما هم عليه من العمى يدعون إغناء آلهتهم عنهم، قال مصرحاً بها: { وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ } أي كلفوا أنفسهم بأخذه مخالفين لما دعتهم إليها فطرهم الأولى السليمة من البعد عنها.

ولما كان كفرهم إنما هو الإشراك، فكانوا يقولون «الله» أيضاً، قال معبراً بما يفهم سفول ما سواه: { مِن دُونِ ٱللَّهِ } أي أدنى رتبة من رتب الملك الأعظم { أَوْلِيَآءَ ۖ } أي يطمعون في أن يفعلوا معهم ما يفعله القريب من النفع والذب والدفع { وَلَهُم } مع عذابه بخيبة الأمر {عَذَابٌ عَظِيمٌ } لا يدع جهة من جهاتهم ولا زماناً من أزمانهم ولا عضواً من أعضائهم إلا ملأه[1].

ثم قال تعالى: {هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ } فلما أخبر تعالى عن عذاب من أعرض عن الآيات بما هو أجل موعظة وأردع زاجر عن الضلال، قال مشيراً إلى ما افتتح به الكلام من المتلو الذي هذا منه: {هَـٰذَا} أي التنزيل المتلو عليكم {هُدًى} أي عظيم جداً بالغ في الهداية كامل فيها، فالذين اهتدوا بآيات ربهم ولم يغتروا بالحاضر لكونه زائلاً فاستعملوا عقولهم فآمنوا به لهم نعيم مقيم، {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ } أي وهذه التغطية بسبب التكذيب بالعلامات الدالة على وحدانية المحسن إليهم فضلوا عن السبيل لتفريطهم في النظر لغروهم بالحاضر الفاني {لَهُمْ عَذَابٌ } كائن {مِّن رِّجْزٍ } أي عقاب قذر شديد جداً عظيم القلقلة والاضطراب متتابع الحركات، قال القزاز: الرجز والرجس واحد {أَلِيم } أي بليغ الإيلام، والآية من الاحتباك: ذكر الهدى أولاً دليلاً على الضلال ثانياً، والكفر والعذاب ثانياً دليلاً

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧٢).

على ضدهما أولاً، وسره أنه ذكر السبب المسعد ترغيباً فيه، والمشقى ترهيباً منه[1].

ثم قال تعالى: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }، فلما ذكر سبحانه وتعالى صفة الربوبية، ذكر بعض آثارها وما فيها من أياته، فقال مستأنفاً دالاً على عظمتها بالاسم الأعظم: {الله}، وأيضاً لما ذكر ما من به عليهم من النعم الباطنة، وهى دلائل التوحيد، ذكر ما من به عليهم من النعم الظاهرة[2]، {الله}: أي الملك الأعلى المحيط بجميع صفات الكمال. ولما كان آخر الآيات التي قدمها الرياح، ذكر ما يتصرف بتسييرها فقال: {ٱلَّذِى سَخَّرَ } أي وحده من غير حول منكم في ذلك بوجه من الوجوه {لَكُمُ } أيها الناس بربكم وفاجركم {ٱلْبَحْرَ} بما جعل فيه مما لا يقدر عليه إلا واحد لا شريك له فاعل بالاختيار من القبلية للسير فيه بالرقة والليونة والاستواء مع الريح الموافقة وأنه يطفوا عليه ما كان من الخشب مع ما علم من صنعته على هذا الوجه الذي تم به المراد {لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ } أي السفن {فِيهِ بِأَمْرِهِۦ } ولو كانت موقرة بأثقال الحديد الذي يغوص فيه أخف شيء منه كالإبرة وما دونها.

ولما كان التقدير: لتعبروا بذلك فتعلموا أنه بقدرته خاصة لتؤمنوا به، عطف عليه قوله: {وَلِتَبْتَغُواْ} أي تطلبوا باجتهاد بما تحملون فيه من البضائع، وتتوصلون إليه من الأماكن والمقاصد[3].

ثم أتم الله ذكر نعمه فقال: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ } من شمس وقمر ونجوم {وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ } من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن وكل ماتنتفعون به من فضل الله وإحسانه، لهذا قال: {جَمِيعًا مِّنْهُ}: فجميع النعم من الله وهي تفضّل منه، من أجل ذلك هو وحده من

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧٣ – ٧٥).

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، طبعة ١٤١٩هـ (٥/ ٣٠٤).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧٣– ٧٥).

يستحق الحمد لا غيره، كما قال تبارك وتعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ}[1][2].

وتسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين (لآيَاتٍ) يقول: لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره، الذي أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكَّروا فيها[3].

ثم قال تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }، قال الإمام الرازي: " واعلم أنه تعالى لما علم عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة، أتبع ذلك بتعليم الأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة"[4].

وقال البقاعي: "ولما علمت دلائل التوحيد على وجه علم منه أنه قد بسط نعمه على جميع خلقه طائعهم وعاصيهم، فعلمت بواسطة ذلك الأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة، وكان على المقبل عليه المحب له التخلق بأوصافه، أنتج قوله مخاطباً لأفهم خلقه عنه وأطوعهم له الذي الأوامر إنما هي له من شدة طواعته تكوين لا تكليف"[5]. فقال تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ }، ولما كان العاقل من سعى جهده في نفع نفسه، وكان الأذى لعباد الله مظنة لتوقع الغضب منه وقادحاً فيما يرجى من إحسانه قال: { لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ } يصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم، وفيه أعظم ترغيب في الحث على الغفران للموافق في الدين، وتنبيه على أنه لا يقدم على الإساءة إلى عبيده إلا من أعرض عنه، فصار حاله حال الآيس من صنائعه سبحانه في جزائه

---

(١) سورة النحل، آية: ٥٣.

(٢) فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي، توفيق الرحمن في دروس القرآن، تحقيق وتخريج: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م (٤/ ٦٢).

(٣) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٦٦).

(٤) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٣).

(٥) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧٧).

للمسيء والمحسن في الأيام والليالي، وعبر بالاسم الشريف تنبيهاً على ما له من الجلال والجمال في معاملة كل منهما، ولما كان من قوصص على جنايته في الدنيا، سقط عنه أمرها في الآخرة، وكان المسلط للجاني في الحقيقة إنما هو الله تعالى وكان تسليطه إياه لحكم بالغة تظهر غاية الظهور في الآخرة، علل الأمر بالغفران مهدداً للجاني ومسلياً للمجني عليه: {لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ } ولما كان ربما جوزي جميع الجناة، وربما عفي عن بعضهم بالتوبة عليه أو غيرها تفضلاً لحكم أخرى ويثاب المظلوم على ظلامته لمثل ذلك قال: {قوماً} أي من الجناة وإن كانوا في غاية العلو الكبرياء والجبروت ومن المجني عليهم وإن كانوا في غاية الضعف {بما} أي بسبب الذي {كانوا} أي في جبلاتهم وأبرزوه إلى الخارج[1]، {يكسبون} في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفار، والإغضاء عنهم، بكظم الغيظ، واحتمال المكروه، وقيل المعنى ليجزي الكفار بما عملوا من السيئات كأنه قال لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن، وقيل أن المراد بالقوم كلاهما فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو التنويع والأول أولى،أي يفعلون على ظن أنه ينفعهم أو بسبب كسبهم من خير أو شر، وكأن الله تعالى يقول: أعرض عمن ظلمك وكل أمره إليّ فإني لا أظلمك ولا أظلم أحداً، فسوف أجزيك على صبرك وأجزيه على بغيه وأنا قادر[2].

قال النيسابوري[3]: "وإنما نكر قَوْماً مع أنه أراد بقوم الذين آمنوا وهم معارف ليدل على مدحهم والثناء عليهم كأنه قيل: لنجزي قوما كاملين في الصبر والإغضاء على أذى الأعداء بما يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه، وقيل: القوم هم الكافرون الكاملون في النفاق"[4].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٦٦). البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٧٧-٨٢).

(٢) أبو الطيب، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ٤٢٢).

(٣) النيسابوري: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. من كتبه: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ويعرف بتفسير النيسابوري، ألفه سنة ٨٢٨هـ، و أقاف القرآن ولب التأويل) وغيرها. الأعلام للزركلي (٢/ ٢١٦).

(٤) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١١٢).

قال الإمام ابن عاشور:"{لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ } من خير أو شر بما يناسب كسبهم فيكون وعيدا للمشركين المعتدين على المؤمنين ووعدا للمؤمنين المأمورين بالصفح والتجاوز عن أذى المشركين، وهذا وجه عدم تعليق الجزاء بضمير الموقنين لأنه أريد العموم فليس ثمة إظهار في مقام الإضمار"(١).

وقال سيد قطب: "هو توجيه كريم للذين آمنوا ليتسامحوا مع الذين لا يرجون أيام الله، تسامح المغفرة والعفو، وتسامح القوة والاستعلاء، وتسامح الكبر والارتفاع. والواقع أن الذين لا يرجون أيام الله مساكين يستحقون العطف أحيانا بحرمانهم من ذلك النبع الفياض، الذي يزخر بالنداوة والرحمة والقوة والثراء، نبع الإيمان بالله، والطمأنينة إليه، والاحتماء بركنه، واللجوء إليه في ساعات الكربة والضيق، وحرمانهم كذلك من المعرفة الحقيقية المتصلة بصميم النواميس الكونية وما وراءها من القوى والثروات. والمؤمنون الذين يملكون كنز الإيمان وذخره، ويتمتعون برحمته وفيضه أولى بالمغفرة لما يبدو من أولئك المحرومين من نزوات وحماقات. هذا من جانب، ومن الجانب الآخر: ليترك هؤلاء المؤمنون الأمر كله لله يتولى جزاء المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، ويحسب لهم العفو والمغفرة عن المساءة في سجل الحسنات"(٢).

ثم عقب سبحانه على ذلك بما يؤكد عدالة الجزاء، وفصل في جزائهم؛ فذكر المؤمنين وأعمالهم والمشركين وأعمالهم في قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}، فهذه الآية مفصله للإجمال في الآية السابقة؛ ولذلك فُصِلت الجملة ولم تُعطف عليها(٣)، فلما رغب سبحانه ورهب وتقرر أنه لا بد من الجزاء، زاد في الترغيب والترهيب بأن النفع والضر لا يعدوهم فقال شارحاً للجزاء: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا } قال عز جل: {فَلِنَفْسِهِۦ} أي أنه يرى جزاءه في الدنيا أو في الآخرة { وَمَنْ أَسَآءَ } أي كذلك الإساءة قلت أو جلت {فَعَلَيْهَا} أي نفسه كذلك، وذلك في غاية الطهور لأنه لا يسوغ في عقل عاقل أن ملكاً

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٢).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٢٧).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٢).

يدع عبيده من غير جزاء ولا سيما إذا كان حكيماً وإن كانت نقائص النفوس قد غطت على كثير من العقول ذلك ومن جزائه أنه يديل المسيء على المحسن لهفوة وقعت له ليراجع حاله بالتوبة.

ولما كان سبحانه قادراً لا يفوته شيء كان بحيث لا يعجل فأخر الجزاء إلى اليوم الموعود: {ثُم} أي بد الابتلاء بالإملاء في الدنيا والحبس في البرزخ { إِلَىٰ رَبِّكُمۡ } أي المالك لكم وحده لا إلى غيره {تُرۡجَعُونَ}[1].

وا لآية تعقيب على الآيات السابقة، فما حملت إلى المشركين من دعوة إلى الإيمان، وما دعت إليه المؤمنين من الرفق بالمشركين والتجاوز عن جهلهم وسفاهتهم، فمن استجاب لأمر الله، وعمل صالحا، فله جزاء عمله، ومن أعرض عن الله سبحانه وتعالى، وركب طرق الباطل والضلال، فسيلقى جزاء كفره وضلاله، فهناك يوم يرجع فيه الناس جميعا إلى الله، ويحاسبون على كل ما عملوا، ويجزون عن الإحسان إحساناً ورضوانا، وعن السوء عذاباً ونكالا[2].

"ثم عقب على هذا بفردية التبعة، وعدالة الجزاء، وتوكيد الرجوع إلى الله وحده في نهاية المطاف: {مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ}، بذلك يتسع صدر المؤمن، ويرتفع شعوره ويحتمل المساءات الفردية والنزوات الحمقاء من المحجوبين المطموسين، في غير ضعف، وفي غير ضيق، فهو أكبر وأفسح وأقوى، وهو حامل مشعل الهدى للمحرومين من النور، وحامل بلسم الشفاء للمحرومين من النبع، وهو مجزي بعمله، لا يصيبه من وزر المسيء شيء. والأمر لله في النهاية، وإليه المرجع والمآب"[3].

ثم قال تعالى: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} حيث إن السورة افتتحت بذكر أن منزل هذا الكتاب عزيز حكيم، فكان التقدير لذلك: فقد آتيناك يامحمد الكتاب والحكم والنبوة وفضلناك وأمتك على العالمين، وأرسلناك لتنبه الناس على ما أمامهم، فكيف اختلف قومك على هذا الكتاب! وقد كان

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٢).

(٢) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٣٥).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٢٧).

ينبغي لهم أن يشتد اجماعهم به، واستنصارهم من أجله، فذكر مسلياً نبيه ومريحاً لفؤاد نبيه أن هذا حال الأمم قبله فقال: {وَلَقَد ءَاتَيۡنَا} أي على ما لنا من العظمة والقدرة الباهرة {بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} نبي الله يعقوب عليه السلام {ٱلۡكِتَٰبَ} الجامع للخيرات وهو التوراة، أو يعم التوارة والإنجيل والزبور وغيرها مما أنزل على أنبيائهم {وَٱلۡحُكۡمَ} أي العلم والعمل الثابتين ثبات الاحكام بحيث لا يتطرق إليهما فساد بما للعلم من الزينة بالعمل، وللعمل من الإتقان بالعلم، والحكم يصح أن يكون بمعنى الحكمة، أي الفهم في الدين وعلم محاسن الأخلاق كما قال تعالى عن يحيى عليه السلام: {وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا}(١)، ويصح أن يكون بمعنى السيادة، أي أنهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم ولا تحكمهم أمة أخرى كقوله تعالى: {وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ}(٢)، ويقال إنه لم يتسع فقه الأحكام على لسان نبي ما اتسع على لسان موسى عليه السلام.

{وَٱلنُّبُوَّةَ} التي تدرك بها الأخبار العظيمة التي لا يمكن اطلاع الخلق عليها بنوع اكتساب منهم، فأكثرنا فيهم من الأنبياء، ومعنى إيتائهم هذه الأمور الثلاثة: إيجادها في الأمة وإيجاد القائمين بها لأن نفع ذلك عائد على الأمة جمعاء فكان كل فرد من الأمة كمن أوتي تلك الأمور.

{وَرَزَقۡنَٰهُم} بعظمتنا لإقامة أبدانهم {مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ} من المن والسلوى وغيرهما من الأرزاق اللدنية وغيرها {وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ} بما لنا من العزة {عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} وهم الذين تحقق إيجادنا لهم في زمانهم وما قبله. ولم أرَ اختلافاً بين المفسرين على أن المقصود (عالمي زمانهم، دون من بعدهم) وقد آتاهم الله من الآيات المرئية والمسموعة وأكثر فيهم من الأنبياء ما لم يفعله لغيرهم ممن

(١) سورة مريم، آية: ١٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢٠.

سبق، وكل ذلك فضيلة ظاهرة لهم[1].

قال الإمام الرازي: "اعلم أنه تعالى بين أنه أنعم بنعم كثيرة على بني إسرائيل، مع أنه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد: والمقصود أن يبين أن طريقة قومه كطريقة من تقدم.

واعلم أن النعم على قسمين: نعم الدين، ونعم الدنيا، ونعم الدين أفضل من نعم الدنيا، فلهذا بدأ الله تعالى بذكر نعم الدين، فقال ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة والأقرب أن كل واحد من هذه الثلاثة يجب أن يكون مغايرا لصاحبه، أما الكتاب فهو التوراة، وأما الحكم ففيه وجوه، يجوز أن يكون المراد العلم والحكمة، ويجوز أن يكون المراد العلم بفصل الحكومات، ويجوز أن يكون المراد معرفة أحكام الله تعالى وهو علم الفقه، وأما النبوة فمعلومة، وأما نعم الدنيا فهي المراد من قوله تعالى: ورزقناهم من الطيبات وذلك لأنه تعالى وسع عليهم في الدنيا، فأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم ثم أنزل عليهم المن والسلوى، ولما بين تعالى أنه أعطاهم من نعم الدين ونعم الدنيا نصيبا وافرا، قال: { وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ} يعني أنهم كانوا أكبر درجة وأرفع منقبة ممن سواهم في وقتهم، فلهذا المعنى قال المفسرون المراد: وفضلناهم عن عالمي زمانهم"[2].

وقال اللإمام الطاهر بن عاشور: " وأما رزقهم من الطيبات فبأن يسر لهم امتلاك بلاد الشام التي تفيض لبنا وعسلا كما في التوراة في وعد إبراهيم والتي تجبى إليها ثمرات الأرضين المجاورة لها وترد عليها سلع الأمم المقابلة لها على سواحل البحر فتزخر مراسيها بمختلف الطعام واللباس والفواكه والثمار والزخارف، وذلك بحسن موقع البلاد من بين المشرق برا والمغرب بحرا. والطيبات: هي التي تطيب عند الناس وتحسن طعما ومنظرا ونفعا وزينة. وأما تفضيلهم على العالمين فبأن جمع الله لهم بين استقامة الدين والخلق، وبين حكم أنفسهم بأنفسهم، وبث أصول العدل فيهم، وبين حسن العيش والأمن والرخاء، فإن أمما أخرى كانوا في بحبوحة من العيش ولكن ينقص بعضها استقامة الدين والخلق، وبعضها عزة حكم النفس وبعضها الأمن بسبب كثرة الفتن.

والمراد ب العالمين: أمم زمانهم وكل ذلك إخبار عما مضى من شأن بني إسرائيل في عنفوان

(١) الزمخشري، الكشاف (٤/ ٢٨٩). وابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٣). والبقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٣).

(٢) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٤، ٦٧٥).

أمرهم لا عما آل إليه أمرهم بعد أن اختلفوا واضمحل ملكهم ونسخت شريعتهم"[1].

وإن كان الله يقص علينا ما امتن به على بني إسرائيل وميزهم عن غيرهم، لكن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيمن على سائر الكتب السابقة، ومحمد صلى الله عليه وسلم مصدق لجميع المرسلين[2].

ثم قال تعالى متماً أفضاله على بني إسرائيل {وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}.

{وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ} الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة القطعية والأحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات، ومن صفات الأنبياء الآتين بعدهم وغير ذلك مما هو في غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته، وذلك أمر يقتضي الألفة والاجتماع وقد كانوا متفقين وهم في زمن الضلال لا يختلفون إلا اختلافاً يسيراً لا يضر مثله ولا يعد اختلافاً[3]. قال الإمام ابن الجوزي: "{وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ} فيه قولان: أحدهما: بيان الحلال والحرام. والثاني: العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته"[4].

وقال الإمام الرازي: "في قوله{وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ} فيه وجوه الأول: أنه آتاهم أدلة على أمور الدنيا. الثاني: أنه بين لهم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يهاجر من تهامة إلى يثرب، ويكون أنصاره أهل يثرب. الثالث: معجزات قاهرة على صحة نبوتهم، والمراد معجزات

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٥).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م ؛ ص: ٧٧٦.

(٣) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٥).

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير (٤/ ٩٩).

موسى عليه السلام"[1].

ولما كان حالهم بعد هذا الإيتاء مجملاً، فصله فقال تعالى: {فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ } أي أوقعوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم، ولما لم يكن اختلافهم مستغرقاً لجميع الزمن الذي بعد الإيتاء، أثبت الجار فقال: {إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ } الذي من شأنه الجمع على المعلوم، فكان ما هو سبب الاجتماع سبباً لهم في الافتراق لأن الله تعالى أراد ذلك وهو عزيز.

ولما كان هذا عجباً، بين علته محذراً من مثلها فقال: {بَغۡيَۢا} أي للمجاوزة في الحدود التي اقتضاها لهم طلب الرئاسة والحسد وغيرهما من نقائص النفوس[2]. والبغي: الظلم. والمراد: أن اختلافهم عن عمد ومكابرة بعضهم لبعض وليس عن غفلة أو تأويل، وهذا الظلم هو ظلم الحسد فإن الحسد من أعظم الظلم، أي فكذلك حال نظرائهم من المشركين ما اختلفوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا بغيا منهم عليه مع علمهم بصدقه بدلالة إعجاز القرآن لفظا ومعاني[3]. ولما كان البغي على البعيد مذموماً، زاده عجباً بقوله: {بَيۡنَهُمۡۚ} واقعاً فيهم لم يعدهم إلى غيرهم، وقد كانوا قبل ذلك وهم تحت أيدي القبط في غاية الاتفاق واجتماع الكلمة على الرضا بالذل، ولذلك استأنف قوله الذي اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد من أفعال الملوك فيمن خالف أوامرهم، مؤكداً لأجل إنكارهم.

ثم وكل سبحانه أمر المختلفين إليه للقضاء بينهم يوم القيامة فقال: {إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ} أي إن ربك سبحانه يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بغيا وحسدا فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بعد العلم الذي آتاهم، والبيان الذي جاءهم منه، ويجعل الفلج للمحقّ على المبطل، فهذا مقتضى الحكمة والعزة، والمقصد من هذا أنه لا ينبغى أن يغترّ المبطل بنعم الدنيا، فإنها وإن ساوت نعم المحق أو زادت عليها، فهو سيرى في الآخرة ما يسوءه.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٥).

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٥).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٦).

وقوله: {فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} بغاية الجهد متعمدين له بخلاف ما كان يقع منهم خطأ فإنه يجوز في الحكمة أن يتفضل عليهم بالعفو عنه فقد علم أنه لا يجوز في الحكمة أصلاً أن يترك المختلفون من غير حكم بينهم لأن هذا لا يرضاه أقل الملوك فإنه لايعرف الملك إلا بالقهر والعزة ولا يعرف كونه حكيماً إلا بالعدل، وإذا كان هذا لا يرضاه ملك فكيف يرضاه ملك الملوك، وإذا كان هذا القضاء مقتضى الحكمة كان لا فرق فيه بين ناس وناس، فهو يقتضي بينكم أيضاً كذلك، ومن التأكيد للوعد بذلك اليوم التعبير باسم الرب مضافاً إليه صلى الله عليه وسلم[1].

والمقصود من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة، لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف، وهاهنا صار مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف، وذلك لأنهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم، وإنما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم، ثم هاهنا احتمالات يريد أنهم علموا ثم عاندوا، ويجوز أن يريد بالعلم الدلالة التي توصل إلى العلم، والمعنى أنه تعالى وضع الدلائل والبينات التي لو تأملوا فيها لعرفوا الحق، لكنهم على وجه الحسد والعناد اختلفوا وأظهروا النزاع.

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٦).

ولما بين تعالى أنهم أعرضوا عن الحق لأجل البغي والحسد، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يعدل عن تلك الطريقة، وأن يتمسك بالحق، وأن لا يكون له غرض سوى إظهار الحق وتقرير الصدق[1]، فقال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}.

وقد كان في سوق خبر بني إسرائيل توطئةً وتمهيداً لهذه الآية[2] حيث إنه لما ذكر تعالى إنعامه على بني إسرائيل واختلافهم بعد ذلك، ذكر حال نبيه عليه الصلاة والسلام وما من به عليه من اصطفائه[3]، وأيضاً لما كان معنى هذا أنه سبحانه وتعالى جعل بني إسرائيل على شريعة وهددهم على الخلاف فيها، فكان تهديدهم تهديداً لنا، قال مصرحاً بما اقتضاه سوق الكلام وغيره من تهديدنا منبهاً على علو شريعتنا: {ثُمَّ} أي بعد فترة من رسلهم ومجاوزة رتب كثيرة عالية على رتبة شريعتهم {جَعَلْنَاكَ} أي بعظمتنا يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم {عَلَىٰ شَرِيعَةٍ} الشريعة لغة: مورد الماء[4]، وقوله عز وجل هنا {عَلَىٰ شَرِيعَةٍ} أي: طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة إلى المقصود هي جديرة بأن يشرع الناس فيها ويخالطوها مبتدئة{مِّنَ ٱلْأَمْرِ} الذي هو وحينا وهو حياة الأرواح.

ولما بين بهذه العبارة بعض فضلها على ما كان قبلها، سبب عنه قوله موجهاً الخطاب إلى الإمام بما أراد به المأمومين ليكون أدعى إلى اجتهادهم، فإن أمرهم تكليف وأمر إمامهم تكوين: {فَٱتَّبِعْهَا} أي بغاية جهدك. ولما كانت الشريعة العقل المحفوظ الذي أخبر الله أنه به يأخذ وبه يعطي، كان الإعراض عنها إلى غيرها إنما هو هوى، ولما كان آحاد الأمة غير معصومين أشار إلى

---

(١) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٥).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٣).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط (٩/ ٤١٩).

(٤) انظر صفحة: ٤١، إشارات حول تشبيه الشريعة الإسلامية بمورد الماء.

العفو عن هفواتهم بقوله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعْ } أي تتعمدا أن تتبعوا {أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} أي: لا علم لهم، أو لهم علم ولكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلاً من كفار العرب وغيرهم، فإن من تعمد اتباعهم فعلت بهم ما فعلت ببني إسرائيل حيث لعنتهم على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام بعد ما لعنتهم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام(١).

وقال الزمخشري: أي فاتبع يامحمد أنت وقومك شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج، ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال، ودينهم المبنى على هوى وبدعة، وهم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك. ولا توالهم، إنما يوالى الظالمين من هو ظالم مثلهم، وأما المتقون: فوليهم الله وهم موالوه. وما أبين الفصل بين الولايتين(٢).

والآية معطوفة بـ (ثم) على قوله تعالى: {وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ } أي ثم بعد أن آتينا بنى إسرائيل ما آتيناهم من بينات من دين الله وشريعته، جعلناك أيها النبي على شريعة من الأمر فاتبعها، وفي العطف بـ (ثم): إشارة إلى تراخى الزمن، بين ما أنزل الله سبحانه على بنى إسرائيل من آيات ومعجزات، وبين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أنزل الله سبحانه وتعالى عليه من آياته وكلماته.

ثم قال تبارك وتعالى: {إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ} فبعد أن نهى الله رسوله عن اتباع أهواء الذين لايعلمون، علل هذا النهي مهدداً ومؤكداً ومنبهاً على أن من خالف أمر الله لأجل أحد كان عمله عمل من يظن أنه يحميه: {إِنَّهُم لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ} فأكد النفي بقوله تعالى: {لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ } أي لا يتجدد لهم نوع إغناء مبتدىء {مِنَ ٱللَّهِ } المحيط بكل شيء قدرة وعلماً واصل إليه، وكل ما لا يكون ذا وصلة به فهو عدم {شَيْـًٔا ۚ} من إغناء إن تبعتهم كما أنهم لن يقدروا

(١) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧٠). و البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٧).

(٢) الزمخشري، الكشاف (٤/ ٢٨٩).

لك على شيء من أذى إن خالفتهم وناصبتهم[1].

فهؤلاء الجاهلين بربهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهواءهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئا، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذوك منه[2].

ولما كان التقدير: فإنهم ظلمة لا يضعون شيئاً في موضعه، ومن اتبعهم فهو منهم، قال تعالى عاطفاً عليه: { وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ } أي العريقين في هذا الوصف الذميم {بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ} فلا ولاية ولا قرب بينهم وبين الحكمة لتباعد ما بين الوصفين فكانت أعمالهم كلها باطلة لبنائها على غير أساس خلافاً لمن يظن بها غير ذلك تقيداً بالأمور الظاهرة في هذه الدار {وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ } الذين همهم الأعظم الاتصاف بالحكمة باتخاذ الوقايات المنجية لهم من سخط الله ولا ولاية بينه وبين الظالمين[3]. والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء. فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه وليّ من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليك وناصرك[4].

ولما كان من جملة آثار ولايته وبركة عنايته: هذا القرآن[5]، ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية النافعة[6]، قال: {هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ} الإشارة إلى الكلام المتقدم وما فيه من ضرب المثل بموسى وقومه ومن تفضيل شريعة محمد على شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام والأمر بملازمة اتباعها والتحذير من اتباع رغائب الذين لا يعلمون، فهذه الجملة بمنزلة التذييل لما قبلها والتهيئة لأغراضها تنبيها لما في طيها من عواصم عن الشك والباطل.

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٨).

(٢) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧١).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٨٩).

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧١).

(٥) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١١٢).

(٦) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٥).

والبصائر جمع بصيرة وتصلق على عِّة معانٍ منها: العقل والإدراك والفِطْنة والنظر النافِذ إلى خفايا الأشياء، ومنها: العِلْم والخِبْرة، ومنها: الحُجّة والدليل والشاهد، ومنها: البيّنة، ومنها: العِبْرة والعِظة [1].

وجعل البصائر للناس لأنه بيان للناس عامة وجعل الهدى والرحمة لقوم يوقنون لأنه لا يهتدي ببيانه إلا الموقن بحقيقته ولا يرحم به إلا من اتبعه المؤمن بحقيته[2].

والمقصود هو القرآن وإنما كان هدى لأنه طريق نفع لمن اتبع إرشاده فاتباعه كالاهتداء للطريق الموصلة إلى المقصود. وإنما كان رحمة لأن في اتباع هديه نجاح الناس أفرادا وجماعات في الدنيا لأنه نظام مجتمعهم ومناط أمنهم، وفي الآخرة لأنه سبب نوالهم درجات النعيم الأبدي. وكان بصائر لأنه يبين للناس الخير والشر ويحرضهم على الخير ويحذرهم من الشر ويعدهم على فعل الخير ويوعدهم على فعل الشرور فعمله عمل البصيرة.

قال ابن زيد: "وهذا كله إنما هو في القلب. قال: والسمع والبصر في القلب. وقرأ :{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ}[3] وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها".

وقوله: {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخصّ جلّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة، لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليهم عمى ولهم حزنا[4].

---

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م (١/ ٢١٣).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٩- ٣٥٢).

(٣) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧٢).

ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذي تقدم، بين الفرق بينهما من وجه آخر[1]، فقال تعالى: {أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ } في الآية الكريمة انتقال من وصف تكذيبهم بالآيات واستهزائهم بها، ثم من أمر المؤمنين بالصفح عنهم وإيكال جزاء صنائعهم إلى الله، ثم من التثبيت على ملازمة الشريعة الإسلامية، إلى وصف صنف آخر من ضلالهم واستهزائهم بالوعد والوعيد، وإحالتهم الحياة بعد الموت، والجزاء على الأعمال، وتخييلهم للناس أنهم يصيرون في الآخرة، على الحال التي كانوا عليها في الدنيا، عظيمهم في الدنيا عظيمهم في الآخرة، وضعيفهم في الدنيا ضعيفهم في الآخرة، وهذا الانتقال رجوع إلى بيان قوله: {مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}[2]، فحرف (أم) للإضراب الانتقالي، والاستفهام الذي يلزم تقديره بعد (أم) استفهام إنكاري، والتقدير: لا يحسب الذين اجترحوا السيئات أنهم كالذين آمنوا لا في الحياة وفي في الممات[3].ومن الحق أن يخالف بين حكم المسيء والمحسن، في العاجل والآجل[4].

وقال البغوي: "نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا"[5].

ونقل الطاهر ابن عاشور القولان وعقب بقوله: "وتأويل نزول هذه الآية على هذا السبب أن حدوث قول هؤلاء النفر صادف وقت نزول هذه الآيات من السورة أو أن قولهم هذا متكرر فناسب تعرض الآية له حقه[6].

---

(١) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٥).

(٢) آية: ١٥.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٥١).

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٧٥).

(٥) البغوي، معالم التنزيل (٤/ ١٨٦).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٥٢).

ونزول الآية على هذا السبب؛ لإبطال كلامهم في ظاهر حاله وإن كانوا لم يقولوه عن اعتقاد وإنما قالوه استهزاء، لئلا يروج كلامهم على دهمائهم والحديثين في الإسلام؛ لأن شأن التصدي للإرشاد أن لا يغادر مغمزا لرواج الباطل إلا سده، كما في قوله تعالى: {أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا}[1] وله نظائر في القرآن.

والاجتراح: الاكتساب، وصيغة الافتعال فيه للمبالغة، وهو مشتق من الجرح[2]. وهذه الآية تسمى مبكاة العابدين[3].

وحين ذكر الله عز وجلّ أن المؤمن لا يساويه الكافر في درجات السعادات؛ استدل على صحة هذا بقوله تعالى: {وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[4].

فلما أنكر التسوية وذمهم على الحكم بها، أتبع ذلك الدليل القطعي على أن الفريقين لا يستويان وإلا لما كان الخالق لهذا الوجود عزيزاً ولا حكيماً، فقال دالاً على إنكار التسوية وسوء حكمهم بها، عاطفاً على ما تقديره: فقد خلق الله الناس كلهم بالحق وهو الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع، وهو ثبات أعمال المحسنين وبطلان أفعال المسيئين، عطف عليه قوله: {وَخَلَقَ ٱللَّهُ}[5].

ثم لما بين غاية البيان أنه الإله وحده بما له من الإحاطة بجميع صفات الكمال، وأنه لا بد من جمعه الخلائق ليوم الفصل للحكم بينهم بما له من الحكمة والقدرة، وحقر الهوى ونهى عن اتباعه، وكانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبوداً، فلزم من ذلك تحقيرهم الإله، ولم يرجعوا عن

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٧٧ ، ٧٨.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٥٢).

(٣) انظر صفحة: ٥٧.

(٤) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٧).

(٥) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٩١).

ضلالهم، تسبب عن ذلك التعجيب ممن يظن أنه يقدر على رد أحد منهم عن غيه بشيء من الأشياء[1]، قال: {أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}.

قال الإمام الرازي في مناسبة هذه الآية لما قبلها: "ثم عاد تعالى إلى شرح أحوال الكفار وقبائح طوائفهم"[2]، فمن أول السورة كان الحديث بعد بيان آيات الله، عن أحوال الكفار وصفاتهم وتخلل هذه الأوصاف تهديده لهؤلاء الكفار، وكان في الآية السابقة بيان أن الله إنما خلق هذا الكون بالحق وسوف يُجازى كل شخص على أعماله، فعليه أن يتبع الحق لا الهوى.

والنفس الإنسانية دائما تدعو إلى الشر، وتهدف إلى الضار، والإنسان يهوى ما فيه حتفه، ولهذا ذم القرآن دائما اتباع الهوى في غير موضع، كقوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ}[3]. وقوله: {بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ}[4][5].

قال ابن عباس: ما ذكر الله هوى إلا ذمه. وقال وهب: إذا شككت في خير أمرين فانظر أبعدهما من هواك. وقال سهل التستري هواؤك داؤك، فإن خالفته فدواؤك، وجاء في الحديث والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[6]. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[7].

---

(١) المرجع السابق (١٨/ ٩٤).

(٢) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٧).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٤) سورة الروم آية: ٢٩.

(٥) الحجازي، التفسير الواضح (٣/ ٤٣٣).

(٦) آل غازي، بيان المعاني (٤/ ١١٦).

(٧) رواه أحمد في مسنده، برقم: ١٧١٢٣؛ (٢٨/ ٣٥٠). وابن ماجه في سننه، باب: ذكر الموت والاستعداد له، برقم: ٤٢٦٠ (٢/ ١٤٢٣). والترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن، برقم: ٢٤٥٩، واللفظ له (٤/ ٦٣٨). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعلق الذهبي أنه: (صحيح). الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث: ٧٦٣٩؛ (٤/ ٢٨٠).

قال عمر رضي الله عنه: "إن أخوف ما أتخوف عليكم أن تهلكوا في ثلاث خلال: شح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهوى متبع"(١).

قال عنترة:

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ ... لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها(٢)

ولما كان الضال أحوج إلى سماع صوت الهادي منه إلى غيره، وكان من لا ينتفع بما هو له في حكم العادم له قال: {وَخَتَمَ} أي: زيادة على الإضلال الحاضر {عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ} فلا فهم له في

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِستاني، الزهد، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، برقم: ٨٦؛ ص: ١٠١. وسنده: عن أبي داود عن يوسف بن موسى، عن جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن سعيد بن المسيب. وروي بلفظ قريب منه عن أبي الدرداء فقال: حدثنا أبو داود قال: نا هناد، عن ابن فضيل، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي الدرداء، قال: يا أهل حمص مالي أرى علماءكم يذهبون، وأرى جهالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به، وضيعتم ما وكلتم به؟ اعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء. لولا ثلاث صلح الناس: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. من يكثر قرع الباب يفتح له، ومن يكثر الدعاء في الرخاء يستجاب له عند الكرب، ومن رزق قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة، فنعم الخيرات له، لم يترك من الخيرات شيئا. الزهد لأبي داود، برقم: ٢٢٥؛ ص: ٢٠٧. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)، بهذا اللفظ وبألفاظ مشابهه، فرواه البزار في مسنده، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن الحكم قال: وجدت في كتاب أبي، حدثنا أيوب بن عتبة، عن الفضل بن بكر، عن قتادة، عن أنس؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء برأيه. ثم ذكر أن الحديث لم يروه عن قتادة عن أنس إلا الفضل بن بكر ولم يحدث عن الفضل إلا أيوب بن عتبة. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م (١٣/ ٤٨٦). والطبراني في أوسطه. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة. حديث رقم: ٥٤٥٢؛ (٥/ ٣٢٨). ورواه أيضاً البيهقي في شعبه. شعب الإيمان، حديث رقم: ٧٣١؛ (٢/ ٢٠٤).

(٢) من قصيدة: (ياعبل أين من المنية مهربي) وهي من القصائد المشهورة لعنترة بن شداد.محمد سعيد مولودي، ديوان عنترة، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. وآل غازي، بيان المعاني (٤/ ١١٦). وشوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف؛ ص: ٣٧٣.

الآيات المسموعة. ولما كان الأصم قد يفهم بالإشارة قال: {وَقَلْبِهِۦ } أي فهو لا يعي ما من حقه وعيه. ولما كان المجنون الأصم قد يبصر مضاره ومنافعه فيباشرها مباشرة البهائم قال: {وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً } فصار لا يبصر الآيات المرئية، ولما صار هذا الإنسان الذي صار لا يسمع الهادي فيقصده ولا يعي المعاني لينتفع بما تقدم له علمه، ولا يبصر حق البصر ليهتدي ببصره دون رتبة الحيوان، قال تعالى منكراً مسبباً للإنكار عما تقدمه: {فَمَن يَهۡدِيهِ} وأشار إلى قدرة الله عليه بقوله: {مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ } أي إضلال الذي له الإحاطة بكل شيء. ولما كان من المعلوم قطعاً أنه لا هادي له غيره، سبب عنه الإنكار لعدم التذكر حثاً على التذكر فقال مشيراً بإدغام تاء التفعل إلى عدم الاحتياج بسبب وضوحه إلى كثير ذكر: {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} أي يكون لكم نوع تذكر فتذكرون أنهم لا يسمعون الآيات المتلوة ولا يعتبرون بالآيات المرئية مع ما لكل منهما من الظهور، وأن من كان هذا حاله فلا سبيل لمخلوق مثله إلى هدايته[1].

وقدم السمع هنا، بخلاف مافي سورة البقرة: {خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ }[2]؛ ذلك لأنه عز وجل ذكر الختم معطوفا على قوله: {ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ }، ومن اتخذ إلهه هواه يكون أول ما يبدو منه للناس ويعرف هو: إعراضه عن النصح، ولى رأسه عن استماع الحجة، فكان مظهر عدم السماع منه أول ما يبدو للناظرين، فلذلك قدم السمع على القلب. وأما مافي سورة البقرة {خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ } فقد جاءت إثر الآية المختومة بقوله {لَا يُؤۡمِنُونَ}. والإيمان تصديق يقوم على الحجة والبراهين، وإدراك الحجة والبرهان إنما هو بالقلب فكان التعليل المتصل الواضح لنفى الإيمان أن قلوبهم مغلقة لا تنفذ إليها الحجة، أولا يتسرب إليها نور البرهان لذلك قدم القلب على السمع[3].

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٩٧، ٩٨).

(٢) سورة البقرة، آية: ٧.

(٣) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى: يناير ١٩٩٧م (١/ ٥٢).

وقال الرازي في الفرق بينها: "أن الإنسان قد يسمع كلاما فيقع في قلبه منه أثر، مثل أن جماعة من الكفار كانوا يلقون إلى الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وأنه يطلب الملك والرياسة، فالسامعون إذا سمعوا ذلك أبغضوه ونفرت قلوبهم عنه، وأما كفار مكة فهم كانوا يبغضونه بقلوبهم بسبب الحسد الشديد فكانوا يستمعون إليه، ولو سمعوا كلامه ما فهموا منه شيئا نافعا، ففي الصورة الأولى كان الأثر يصعد من البدن إلى جوهر النفس، وفي الصورة الثانية كان الأثر ينزل من جوهر النفس إلى قرار البدن، فلما اختلف القسمان لا جرم أرشد الله تعالى إلى كلا هذين القسمين بهذين الترتيبين اللذين نبهنا عليهما"(١). وبعبارة موجزة يُقال: "أنه قدم السمع؛ لأن العناية هنا بذم المتصامين عن السماع"(٢).

ومن جميل ما ذكره الإمام الرازي في الآية: أن قوله عز وجل: {وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ}: "يعني على علم بأن جوهر روحه لا يقبل الصلاح، ونظيره في جانب التعظيم قوله تعالى: {ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ}(٣) فذكر أن جواهر الأرواح البشرية مختلفة فمنها مشرقة نورانية، ومنها كدرة ظلمانية عظيمة الميل إلى الشهوات الجسمانية، والله تعالى يقابل كلاً منهم بحسب ما يليق بجوهره وماهيته، وهو المراد من قوله: {وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ} في حق المردودين وبقوله {ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ} في حق المقبولين"(٤).

وحملاً على المقصد الكلي للسورة، فيمكن القول هنا: أن النفس متى مادخلها الكِبر، مهما علمت الصواب وتبين لها واضحاً جلياً، فإن نفسها الخبيثة الضالة لا تتبع سوى هواها، وهي وإن تكبرت عن العبودية لرب الكون؛ فإنها بذلك أصبحت عبداً لأهوائها، مع علمها أن العبودية لاتنبغي إلا لله وحده، فهي بذلك تركت عبودية الرب المستحق لأجل عبودية الهوى، فلم تتخلص من العبوديه وكان كِبرها وبالاً وخساراً عليه.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٨). ونقله أيضاً: النيسابوري، في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١١٣).

(٢) الموسوعة القرآنية (٢/ ٤١٠).

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٤.

(٤) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٨).

ثم قال تعالى: {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} لما كان التقدير للدلالة على الختم على مشاعرهم، فقد قالوا مع اعترافهم بتفرده تعالى بخلقهم ورزقهم وخلق جميع الموجدات في إنكار الوحدانية: إن له شركاء، عطف عليه قوله: {وَقَالُوا} أي في إنكارهم البعث مع اعترافهم بأنه قادر على كل شيء ومعرفتهم أنه قد وعد بذلك في الأساليب المعجزة وأنه لا يليق بحكيم أصلاً أن يدع من تحت يده يتهارجون من غير حكم بينهم: {مَا هِيَ} أي الحياة {إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا} أي هذه التي نحن فيها مع أن تذكر مدلول هذا الوصف الذي هو أمر نسي لا يعقل إلا بالإضافة إلى حياة أخرى بُعدى كافٍ في إثبات البعث.

ولما أثبتوا بادعائهم الباطل هذه الحياة أتبعوها حالها فقالوا: {نَمُوتُ وَنَحْيَا } أي تنزع الروح من بعض فيموت، وتنفخ في بعض آخر فيحيى، أو نموت نحن ويحيا أولادنا. أو يموت بعض ويحيا بعض. أو نكون مواتا نطفا في الأصلاب، ونحيا بعد ذلك. أو يصيبنا الأمران: الموت والحياة، يريدون: الحياة في الدنيا والموت بعدها، وليس وراء الموت حياة أخرى للذي مات، فقد أسلخوا أنفسهم بهذا القول من الإنسانية إلى البهيمية لوقوفهم مع الجزئيات، ولما كان هلاكهم في زعمهم لا آخر له، عدوا الحياة في جنبه عدماً فلم يذكروها وقالوا بجهلهم: {وَمَا يُهْلِكُنَآ} أي بعد هذه الحياة {إِلَّا ٱلدَّهْرُ} أي الزمان الطويل بغلبته علينا بتجدد إقباله وتجدد إدبارنا بنزول الأمور المكروهة بنا، من دهره: إذا غلبة. قال ابن عطية: "والدَّهْرُ والزمان تستعمله العرب بمعنى واحد"(١).

ولما أسند إليهم هذا القول الواهي، بين حالهم فقال تعالى: {وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ } أي القول البعيد من الصواب وهو أنه لا حياة بعد هذه، وأن الهلاك منسوب إلى الدهر على أنه مؤثر بنفسه، وأعرق في النفي فقال: {مِنْ عِلْمٍ } أي كثير ولا قليل {إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} بقرينة أن الإنسان كلما تقدم في السن ضعف، وأنه لم يرجع أحد من الموتى(٢).

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٧).

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ٩٨-٩٩). الزمخشري، الكشاف (٤/ ٢٩١).

وقال الله هنا {إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ}، وفي سورة الزخرف: {وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ }[1]، لأَنَّ [ما] هنا متّصل بقوله: {وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ}. ففي الجاثية خلطوا الصّدق بالكذب؛ فإن قولهم: نموت ونحيا صِدق؛ فإن المعنى: يموت السّلف ويحيا الخلف، وهو كذلك إلى أن تقوم السّاعة. وكَذَبوا في إنكارهم البعث، وقولِهم: ما يهلكنا إلاَّ الدّهر. ولهذا قال: {إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ} أَي: هم شاكُّون فيما يقولون. وأما المعنى في الزخرف أَنَّهم قالوا: الملائكة بناتُ الله، وإنَّ الله قد شاءَ منا عبادتنا إيَّاهم. وهذا جهل منهم وكذب. {مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ }[2].

وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن القول بغير حجة وبينة قول باطل فاسد، وأن متابعة الظن والحسبان منكر عند الله تعالى[3].

ثم قال تعالى: {وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ }، لما كان هذا من قولهم عجباً، زاده عجباً بحالهم عند سماعهم للبراهين القطعية، فقال عاطفاً على (قالوا) : {وَإِذَا تُتۡلَىٰ} أي تتابع بالقراءة من أيّ تال كان {عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا } أي على ما لها من العظمة في نفسها وبالإضافة إلينا حال كونها {بَيِّنَٰتٖ} أي في غاية المكنة في الدلالة على البعث، فلا عذر لهم في ردها {مَّا كَانَ } أي بوجه من وجوه الكون {حُجَّتَهُمۡ } أي قولهم الذي ساقوه مساق الحجة، وهو لا يستحق أن يسمى شبهة. قال الزمخشري: "فإن قلت: لم سمى قولهم حجة وليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها، فسميت حجة على سبيل التهكم. أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة.

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٢) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (١/ ٤٢٢).

(٣) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٩). وقد تقدم الحديث عن تحريم سب الدهر صفحة: ١٣٤.

أو لأنه في أسلوب النفي، كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة. والمراد: نفي أن تكون لهم حجة البتة"[1].

{إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ } الموتى، وحاصل هذا أنه ما كان لهم حجة إلا أن أتوا بكلام معناه: ليس لنا حجة لأنه ليس فيه شبهة فضلاً عن حجة، وما كفاهم مناداتهم على أنفسهم بالجهل حتى عرضوا لأهل البينات بالكذب، فقالوا: {إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ} أي عريقين في الكون من أهل الصدق الراسخين فيه من أنه سبحانه وتعالى يبعث الخلق بعد موتهم، وذلك استبعاد منهم لأن يقدر على جمع الجسم بعد ما يلي، وهم يقرون بأنه الذي خلق ذلك الجسم ابتداء، ومن المعلوم قطعاً أن من قدر على إنشاء شيء من العدم قدر على إعادته بطريق الأولى[2]. فقال تعالى: {قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

فلما كان الله سبحانه وتعالى إنما يقبل الإيمان عند إمكان تصوره، وذلك إذا كان بالغيب لم يجبهم إلى إحياء آبائهم، إكراماً لهذه الأمة لشرف نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأن سنته الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بالآيات؛ أهلكه كما فعل بالأمم الماضية.

قُلِ اللَّهُ المحيط بكل شيء قدرة وعلماً وحكمة يُحْيِيكُمْ فيجدد خلقكم، كما أنتم به مقرون إحياء لأجساد يخترعها من غير أن يكون لها أصل في الحياة، ثم يميتكم بأن يجمع أرواحكم من أجسادكم فيستلها منها، لا يدع شيئاً منها في شيء من الجسد، وما ذلك على الله بعزيز، فإذا هو كما كان قبل الإحياء كما تشاهدون، ومن قدر على هذا الإبداء على هذا الوجه من التكرر ثم على تمييز ما بث من الروح في حال سلها من تلك الأعضاء الظاهر عادة مستمرة كان المخبر عنه بأنه يجمع الخلق بعد موتهم من العريقين في الصدق، فلذلك قال من غير تأكيد: { ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ} أي بعد التمزق فيعيد فيكم أرواحكم كما كانت بعد طول مدة الرقاد، منتهين إلى يوم القيام الأعظم لجميع الخلائق الذين أماتهم.

---

(١) الزمخشري، الكشاف (٤/ ٢٩١).

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١٠٠).

ولما صح بهذا الدليل القطعي، أنتج قوله: {لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[1].

وبعد أن ذكر الله عزّ وجلّ كونه هو المحيي في المرة الأولى، وكونه قادرا على الإحياء في المرة الثانية في الآيات المتقدمة، عمم الدليل فقال: {وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} أي: خزائن السموات والأرض، أو نفاذ الأمر في السموات والأرض، فلله القدرة على جميع الممكنات سواء كانت من السموات أو من الأرض، فإذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات، وثبت أن حصول الحياة في هذه الذات ممكن، إذ لو لم يكن ممكنا لما حصل في المرة الأولى فيلزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الإحياء في المرة الثانية، فكونه تعالى مالك الكون كله، فهو قادر على التصرف فيه بالإحياء في الإعادة كما أحياه في البدء، وهذا دليل آخر لقدرته على الإحياء مرة ثانية. وكل هذا يدور حول المطلب الرئيسي للسورة: من إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين.

ولما بين تعالى إمكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين، ذكر تفاصيل أحوال القيامة فأولها: قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ} يخسر المكذبون بالبعث، وهم أهل الباطل والكذب[2].

أيضاً لما جرى ذكر يوم القيامة أعقب بإنذار الذين أنكروه من سوء عاقبتهم فيه.

والمبطلون: هم الآتون بالباطل في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم، فالباطل ضد الحق. والمقصود منه هنا هو الشرك بالله، فإن الشرك أعظم الباطل، ثم تجيء درجات الباطل متنازلة، وما من درجة منها إلا وهي خسارة على فاعلها بقدر فعلته، وقد أنذر الله الناس وهو العليم بمقادير تلك الخسارة[3].

---

(١) المرجع السابق (١٨/ ١٠١- ١٠٣).

(٢) السمرقندي، بحر العلوم (٣/ ٢٨٠). الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٨٠). تفسير المراغي (٢٥/ ١٦١).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٦٦).

ثم قال الله تعالى تتمة لوصف مايحصل يوم تقوم الساعة: {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }، والأمة: الجماعة العظيمة من الناس التي قد جمعها معنى أو وصف شامل لها[1].

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين، جاثية: أي: مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم[2]. قال الإمام ابن عطية: "جاثِيَةً معناه على الركب، قاله مجاهد والضحاك، وهي هيئة المذنب الخائف المعظم، وفي الحديث: «فجثا عمر على ركبتيه»"[3][4].

قال الإمام ابن عادل: "فإن قيل: الجثْو على الركب إنما يليق بالخائف، والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيامة، فالجواب: أن الجاثي الآمن قد يشارك المبطل في مثل هذه الحالة إلى أن يظهر كونه محقاً"[5].

وفي قوله: {إِلَىٰ كِتَٰبِهَا } ووقفت فيه على أربعة أقوال متقاربة:

١- الكتاب المنزل عليها فتحاكم إليه هل وافقته أو خالفته. ٢-الكتاب الذي كتبته الحفظة على كل واحد من الأمة، فباجتماع ذلك قيل له كتابها. ٣-أنه كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها. ٤-أنه حسابها[6]. ويقال لهم: {ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

ثم قال الله تعالى: {هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }، فلما أخبر بالجزاء، بين كيفية ما به يطبق بين كتاب الإنزال وكتاب الأعمال، فما حكم به كتاب الإنزال أنفذه الكبير المتعال، فقال مشيراً إلى كتاب الإنزال بأداة القريب لقربه

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٨).

(٢) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٢).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٨).

(٤) صحيح البخاري، باب: وقت الظهر عند الزوال، حديث رقم:٥٤٠؛ (١/ ١١٣).

(٥) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٣٧٠).

(٦) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٨). ابن الجوزي، زاد المسير (٤/ ١٠٠).

وسهولة فهمه: {هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ } أي الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع من أعمالكم[1]، وقوله:{هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا } فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كتاب الأعمال الذي تكتبه الحفظة، قاله ابن السائب.

والثاني: اللوح المحفوظ، قاله مقاتل.

والثالث: القرآن، والمعنى أنهم يقرءونه فيدلهم ويذكرهم، فكأنه ينطق عليهم، قاله ابن قتيبة[2].

ولما كانت العادة جارية في الدنيا بإقامة الحقوق بكتابة الوثائق، وكانوا كأنهم يقولون: من يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول المدة وبعد الزمان، وكانوا ينكرون أمر الحفظة وغيره مما أتت به الرسل، أكد قوله مجيباً بما يقرب إلى عقل من يسأل عن ذلك: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ }[3] قال البخاري: "قال مجاهد: {نَسْتَنْسِخُ}: نكتب. وتستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ له الملك من أم الكتاب» [4].

روى الشيباني[5] عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أول ما خلق الله تعالى القلم، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين. قال: فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول بر أو فجور، رطب أو يابس، فأحصاه عنده في الذكر. فقال: اقرأوا إن شئتم {هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }، فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه"[6]. وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قولاً قريبًا من هذا: "إن في السماء كتابًا عليه

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١٠٦).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٨٩). ابن الجوزي، زاد المسير (٤/ ١٠٠).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١٠٦).

(٤) مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، (ص: ٦٠١). وصحيح البخاري، فصل سورة الجاثية (٦/ ١٣٣).

(٥) ابن أَبي عَاصِم: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشَّيْبَاني، أبو بكر بن أبي عاصم، ويقال له ابن النَّبِيل: عالم بالحديث، زاهد رحالة، من أهل البصرة. له نحو ٣٠٠ مصنف، منها (المسند الكبير) نحو ٥٠ ألف حديث، توفي سنة: ٢٨٧ هـ. الأعلام للزركلي (١/ ١٨٩).

(٦) ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت،

ملائكة، والملائكة الذين مع بني آدم يستنسخون من ذلك الكتاب ما يعملون، ثم قال: وهل تكون النسخة إلا من كتاب أو شيء" -والله أعلم-[1].

وفي ذلك أقوال كثيرة وكلها تعود للأصل الثابت أن أعمال العباد محفوظة مدونة، وكل ماعمله الإنسان سيجده مكتوباً، وسيُجزى عليه[2]. قال تعالى: {وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[3].

ثم قال تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ}، قال الإمام ابن عاشور: "الفاء لعطف المفصل على المجمل، وهو تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ } وما بينهما اعتراض"[4].

فبعد أن صرح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال، وأشار إلى المحقين، صرح في هذه الآية بما لوح إليه من أمر المحقين وعطف عليهم أضدادهم، فقال بادئاً بهم: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ } أي من الأمم الجاثية، آمنوا بالله عزّ وجل في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئا {وَعَمِلُوا۟} تصديقاً لدعواهم الإيمان {ٱلصَّٰلِحَٰتِ } وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه، فوصفهم

بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠، حديث رقم: ١٠٦ (١/ ٤٩). والفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المسْتَفاض الفِرْيابِي، كتاب القدر تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (ص: ٢٦٦). والآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، الشريعة، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٢/ ٧٥٩).

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٩/ ٢٣١-٢٣٢).

(٢) سبق الحديث عن النسخ، صفحة: ١٣٩.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٠)

بالعمل الصالح بعد وصفهم بالإيمان يدل على أن العمل الصالح مغاير للإيمان زائد عليه. وابتدئ في التفصيل بوصف حال المؤمنين مع أن المقام للحديث عن المبطلين في قوله: {يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ }[1] تنويها بالمؤمنين وتعجيلاً لمسرتهم وتعجيلاً لمساءة المبطلين لأن وصف حال المؤمنين يؤذن بمخالفة حال الآخرين لحالهم. ونلاحظ هنا اقتران الإيمان بالعمل الصالح وهذا كثير في القرآن الكريم، فالعمل الصالح ثمرة من ثمرات الإيمان الصالدق[2].

{فَيُدْخِلُهُمْ} أي في ذلك اليوم الذي ذكرنا عظمته وشدة هوله {رَبُّهُمْ } الذي أحسن إليهم بالتوفيق بالأعمال الصالحة المرضية الموصلة {فِي رَحْمَتِهِۦ } أي تقريبه وإكرامه بجليل الثواب وحسن المآب، وتقول لهم الملائكة تشريفاً: سلام عليكم أيها المؤمنون، ودل على عظيم الرحمة بقوله: {ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ} فدخولهم في رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبين غايتهم فيها، أنه هو الفوز.

ورحمة الله هي الجنة، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة: فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا "[3]. والتعبير بـ {فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ} شامل لما تتصوره النفس من أنواع الكرامة والنعيم إذ جعلت رحمة الله بمنزلة المكان يدخلونه.

---

(١) آية: ٢٧.

(٢) السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي – بيروت؛ ص: ٣١٠.

(٣) صحيح البخاري، باب قوله: {وتقول هل من مزيد} سورة ق، آية: ٣٠، حديث رقم:٤٨٥٠؛ (٦/ ١٣٨). وصحيح مسلم، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم: ٢٨٤٦؛ (٤/ ٢١٨٧). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٧٢).

ولما كان سياق السورة للحديث عن المستكبرين في الأرض وأصحاب الشبهات ومتبعي الأهواء قال مبيناً لغباوتهم وخفاء الأشياء عليهم قال تعالى: {ٱلۡمُبِينِ} فهم في فوز بيِّن واضح لا يخفى على أحد أمره، ولا يشوبه كدر ولا نقص[1].

ثُم افتتح تعالى بيان حال الذين كفروا بما يقال لهم من التوبيخ والتقرير من قبل الله تعالى :{وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ }، فالذين جحدوا وحدانية الله، وأبو إفراده في الدنيا بالألوهية، يقال لهم: ألم تكن آياتي في الدنيا تُتلى عليكم؟ والاستفهام توبيخ وتقرير. والمراد بالآيات القرآن، أي فاستكبرتم على الأخذ بها ولم تقتصروا على الاستكبار بل كنتم قوما مجرمين، أي لم تفدكم مواعظ القرآن صلاحا لأنفسهم بما سمعتم منه. {وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ} في أفعالكم، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب؛ للدلالة على أن الإجرام صار خلقا لهم وخالط نفوسهم حتى صار من مقومات قوميتهم[2].

وبين هذه الآية وماقبلها قال البقاعي: "والآية من الاحتباك: ذكر الإدخال في الرحمة أولاً دليلاً على الإدخال في اللعنة ثانياً، وذكر التبكيت ثانياً دليلاً على التشريف أولاً، وسره أن ما ذكره أدل على شرف الولي وحقارة العدو"[3].

ثُم تابع الله عز وجلّ تقريع الكفار يوم القيامة بأنه يقال لهم حينئذ: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا } أي: إذا قال لكم المؤمنون أنّ الذي وعد الله عباده، أنه محييهم من بعد مماتهم، وباعثهم من قبورهم حق، والساعة التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، آتية لا شكَ فيها، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها {قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ} أي: لا نعرفها، تكذيبا منكم بوعد الله جلّ ثناؤه، وردًا لخبره، وإنكارًا لقُدرته على إحيائكم من بعد مماتكم.

---

(١) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٥). والبقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١٠٧). وابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧١).

(٢) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٥). وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٧٢). وابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧١).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١٠٩).

قال البقاعي: "ولما كان أمرها مركوزاً في الفطر لا يحتاج إلى كبير نظر، بما يعلم كل أحد من تمام قدرة الله تعالى، فمتى نبه عليها نوع تنبيه سبق إلى القلب علمها، سموا ذلك ظناً عناداً واستكباراً، فقالوا مستأنفين في جواب من كأنه يقول: أفلم تفدكم تلاوة هذه الآيات البينات علماً بها: {إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}، والظن لغة نقول: ظن الشَّيْء ظنا: علمه بِغَيْر يَقِين، وَقد تَأتي بِمَعْنى الْيَقِين وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ }[1]. والظَّن: إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه وقد يكون مع اليقين[2].

وفي لسان العرب: "الظن شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم" وفي التنزيل العزيز: { إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ}[3] أي علمت. وفي الحديث: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)[4]، فأراد الشك يعرض لك في الشيء فتحققه وتحكم به، وقيل: أراد إياكم وسوء الظن وتحقيقه دون مبادي الظنون التي لا تملك وخواطر القلوب التي لا تدفع، وقد يجيء الظن بمعنى العلم[5]. ولا عجب في ذلك فقد قال الله عنهم{وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ }[6].

وأما وصوله إلى درجة العلم فلا. ولما كان المحصور لا بد وأن يكون أخص من المحصور فيه كان الظن الأول بمعنى الاعتقاد، ولعله عبر عنه بلفظ الظن تأكيداً لمعنى الحصر، ولذلك عطفوا عليه تصريحاً بالمراد لأن الظن قد يطلق على العلم قولهم: {وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ} أي بموجود عندنا اليقين في أمرها ولا بطالبين له هذا مع ما تشاهدونه من الآيات في الآفاق وفي أنفسكم وما يبث من دابة وما ينبهكم على ذلك من الآيات المسموعة، وهذا لا ينافي آية {وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٨).

(٣) سورة الحاقة، آية: ٢٠.

(٤) صحيح البخاري، باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، حديث رقم:٥١٤٣؛ (٧/ ١٩).

(٥) لسان العرب (١٣/ ٢٧٢).

(٦) آية: ٧ من سورة الجاثية.

حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ }[1] لأن آخرها مثبت للظن، فكأنهم كانوا تارة يقوى عندهم ما في جبلاتهم وفطرهم الأولى من أمرها فيظنونها، وتارة تقوى عليهم الحظوظ مع ما يقترن بها من الشبهة المبنية على الجهل فيظنون عدمها فيقطعون به لما للنفس إليه من الميل، أو كانوا فرقتين – والله أعلم"[2].

وبمثل هذا قال الإمام الرازي في تفسيره: "أقول الأغلب على الظن أن القوم كانوا في هذه المسألة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيامة، وهم الذين ذكرهم الله في الآية المتقدمة بقوله {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا }[3]، ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه؛ لأنهم لكثرة ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته صاروا شاكين فيه، وهم الذين أرادهم الله بهذه الآية، والذي يدل عليه أنه تعالى حكى مذهب أولئك القاطعين، ثم أتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفريق الأول.

ثم قال تعالى: وبدا لهم أي في الآخرة سيئات ما عملوا وقد كانوا من قبل يعدونها حسنات فصار ذلك أول خسرانهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهذا كالدليل على أن هذه الفرقة لما قالوا إن نظن إلا ظنا إنما ذكروه على سبيل الاستهزاء والسخرية، وعلى هذا الوجه فهذا الفريق شر من الفريق الأول، لأن الأولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزئين، وهذا الفريق ضموا إلى الإصرار على الإنكار الاستهزاء"[4].

وقوله: {إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا} متصل بما قبله من قولهم: {مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ}، ومبين بما بعده من قوله: {وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ} وموقعه ومعناه مشكل، وفي نظمه إشكال أيضا. فأما الإشكال من جهة موقعه ومعناه فلأن القائلين موقنون بانتفاء وقوع الساعة لما حكي عنهم آنفا من قولهم: {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا }، فلا يحق عليهم أنهم يظنون وقوع الساعة

(١) سورة الأنعام، آية: ٢٩.

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١١).

(٣) آية: ٢٤.

(٤) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٨٢).

بوجه من الوجوه ولو احتمالاً.

ولا يستقيم أن يطلق الظن هنا على الإيقان بعدم حصوله فيعضل معنى قولهم {إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}، فتأوله الفخر فقال: إن القوم كانوا فريقين، وأن الذين قالوا: {إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا} فريق كانوا قاطعين بنفي البعث والقيامة وهم الذين ذكرهم الله في الآية المتقدمة بقوله: {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا}. ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه وهم الذين أراد الله بهذه الآية، انتهى.

وأقول: هذا لا يستقيم لأنه لو سلم أن فريقا من المشركين كانوا يشكون في وقوع الساعة ولا يجزمون بانتفائه فإن جمهرة المشركين نافون لوقوعها فلا يناسب مقام التوبيخ تخصيصه بالذين كانوا مترددين في ذلك. والوجه عندي في تأويله: إما يكون هذا حكاية لاستهزائهم بخبر البعث فإذا قيل لهم: الساعة لا ريب فيها قالوا استهزاء إن نظن إلا ظنا، ويدل عليه قوله عقبه: {وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}[1]"[2].

وجملة: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا} عطف على جملة {فَٱسْتَكْبَرْتُم}، والتقدير: وقلتم ما ندري ما الساعة إذا قيل لكم إن الساعة لا ريب فيها. وهذان القولان مما تكرر في القرآن بلفظه وبمعناه، فهو تخصيص لبعض آيات القرآن بالذكر بعد التعميم في قوله: {أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ}[3].

---

(١) آية: ٣٣.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٢) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (٢٥/ ٣٧١).

وتابع عز وجلّ حال هؤلاء المجرمين يوم القيامة فقال: {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}، ظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة وقبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا، وحاق بهم من عذاب الله ونكاله حينئذ ما كانوا به يستهزئون(١).

قال البقاعي: "ولما وصلوا إلى حد عظيم من العناد، التفت إلى أسلوب الغيبة إعراضاً عنهم وإيذاناً بشديد الغضب فقال تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ} ولما كان السياق للكفرة، وكانوا مؤاخذين بجميع أعمالهم فإنه ليس لهم أساس صالح يكون سبباً لتكفير شيء مما تقلبوا فيه وعبر بالعمل الذي هو أعم من الكسب فقال: {مَا عَمِلُواْ} فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائها واطلعوا على جميع ما يلزم على ذلك {وَحَاقَ بِهِم} أي أحاط على حال القهر والغلبة، قال أبو حيان: ولا يستعمل إلا في المكروه(٢). {مَّا كَانُواْ} جبلة وخلقاً {بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ} أي يوجدون الهزء به على غاية الشهوة واللذة إيجاد من هو طالب لذلك"(٣).

وعبر بالسيئات عن جزائها إشارة إلى تمام المعادلة بين العمل وجزائه حتى جعل الجزاء نفس العمل. {وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}: معنى حاق أحاط. وما كانوا به يستهزؤن يعم كل ما كان طريق استهزاء بالإسلام من أقوالهم الصادرة عن استهزاء مثل قولهم: { إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}(٤).

ثم ذكر ما يزيد في تعذيبهم وإلقاء الرعب في قلوبهم(٥)، لما أودعوا جهنم وأحاطت بهم نودوا :{وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ}

(١) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٧). وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٧٢).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (٩/ ٤٢).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١٢).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٣).

(٥) تفسير المراغي (٢٥/ ١٦٦).

تأييسا لهم من العفو عنهم[1].

فقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا. قال البخاري: "{نَنسَىٰكُمۡ}: «نترككم»"[2].

عن ابن عباس، قوله {وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ} نترككم. وقوله {وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ} يقول: ومأواكم التي تأوون إليها نار جهنم، {وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ} يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذّبكم، فيستنقذ لكم منه[3].

والمأوى: الموضع الذي يسكنه الإنسان ويكون فيه عامة أوقاته أو كلها أجمع. و: آياتِ اللَّهِ لفظ جامع لآيات القرآن وللأدلة التي نصبها الله تعالى لينظر فيها العباد[4].

ولما كان تركه على هذا الحال يلزم منه استمرار العذاب، صرح به إيضاحاً له لئلا يظن غير ذلك، فقال مبيناً لحالهم: {وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ} ليس لكم براح عنها أصلاً، لأن أعمالكم أدخلتكموها، ولا يخرج منها إلا من أذنا في إخراجه، نحن قد جعلناكم في عداد المنسي فلا يكون من قبلنا لكم فرج {وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ} ينقذونكم من ذلك بشفاعة ولا مقاهرة[5].

وأطلق النسيان على الترك المؤبد على سبيل المجاز المرسل لأن النسيان يستلزم ترك الشيء المنسي في محله أو تركه على حالته، ويجوز أن يكون النسيان مستعارا للإهمال وعدم المبالاة، أي فلا تتعلق الإرادة بالتخفيف عنهم وعلى هذين الاعتبارين يفسر معنى النسيان الثاني.

والكاف في كما نسيتم لقاء يومكم للتعليل أي جزاء نسيانكم هذا اليوم، أي إعراضكم عن الإيمان به. واللقاء: وجدان شيء شيئا في مكان، وهو المصادفة يقال: لقي زيد عمرا، ولقي العصفور حبة. ولقاء اليوم، أطلق اليوم على ما فيه من الأحداث على سبيل المجاز المرسل لأنه

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٤).

(٢) صحيح البخاري، سورة الجاثية (٦/ ١٣٣).

(٣) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٧).

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٩٠).

(٥) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١٣).

أوجز من تعداد الأهوال الحاصلة منذ البعث إلى قضاء الجزاء على الأعمال.

وعطف {وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ} على {ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ} ليعلموا أن تركهم في النار ترك مؤبد، فإن المأوى هو مسكن الشخص الذي يأوي إليه بعد أعماله، فالمعنى أنكم قد أويتم إلى النار فأنتم باقون فيها[1].

وعن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: "فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد، فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع، فيقول: بلى، أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه"[2].

ولما ذكر جزاءهم على ما هو الحق المساوي لأعمالهم طبق الفعل بالفعل، علله بما لزم على أعمالهم، فقال تعالى: {ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}؛ فهذا العذاب الذي حل بهم سببه أنهم في الدنيا كذبوا واستهزؤوا بالآيات، وخدعتهم زينة الحياة الدنيا، فآثروها وتركوا العمل لما ينجيهم من عذاب الله عز وجل.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم: ٢٩٦٨؛ (٤/ ٢٢٧٩).

وتغرير الحياة الدنيا إياهم من أسباب جعل النار مأواهم، والتغرير: الإطماع الباطل. ومعنى تغرير الحياة الدنيا إياهم: أنهم قاسوا أحوال الآخرة على أحوال الدنيا فظنوا أن الله لا يحيي الموتى وتطرقوا من ذلك إلى إنكار الجزاء في الآخرة على ما يعمل في الدنيا، وغرهم أيضا ما كانوا عليه من العزة والمنعة، فخالوه منتهى الكمال، فلم يصغوا إلى داعي الرشد، وأعرضوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن القرآن، ولولا ذلك لأقبلوا على التأمل فيما دعوا إليه فاهتدوا، فسلموا من عواقب الكفر. ولكون هذه المغررات حاصلة في الحياة الدنيا؛ أسند التغرير إلى الحياة على سبيل المجاز العقلي لأن ذلك أجمع لأسباب الغرور.

وقوله تعالى: {فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ} فهو أنه بعد أن ذكر ما أوصلهم إلى هذا الحد من الإهانة، زاد في إهانتهم وتلذيذاً لأوليائه الذين عادوهم فيه وإشماتاً لهم بهم، فاليوم بعد إيوائهم فيها ليس لهم مخرج منها؛ لأن الله لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك ولا هم يستعتبون، فيردّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه، ولا يطلب من طالب ما منهم الإعتاب، وهو الاعتذار بما يثبت لهم العذر ويزيل عنهم العتب الموجب للغضب بعمل من الأعمال الصالحات لأنهم في دار الجزاء لا دار العمل[1].

قال الإمام الرازي: "بين تعالى أنه يقال لهم إنكم إنما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب الشديد، لأجل أنكم أتيتم بثلاثة أنواع من الأعمال القبيحة فأولها: الإصرار على إنكار الدين الحق وثانيها: الاستهزاء به والسخرية منه، وهذان الوجهان داخلان تحت قوله تعالى: {ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا} وثالثها: الاستغراق في حب الدنيا والإعراض بالكلية عن الآخرة، وهو المراد من قوله تعالى: {وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ}"[2].

فالله تعالى جمع لهم ثلاثة ألوان من العذاب: قطع الرحمة عنهم، وجعل مأواهم النار، وعدم وجود الأنصار والأعوان، من قِبل أنهم أتوا بثلاثة ضروب من الإجرام: الإصرار على إنكار الدين

(١) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٨). والبقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١٣- ١١٤). وابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٦).

(٢) الرازي، التفسير الكبير (٢٧/ ٦٨٢)

الحق، والاستهزاء به، والاستغراق في حب الدنيا[1].

{فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} لما أثبت سبحانه الآيات المرئية والمسموعة وإعزاز أوليائه وإذلال أعدائه من غير مبالاة بشيء ولا عجز عن شيء مع الإحاطة التامة بكل شيء قدرة وعلماً، تسبب عن ذلك حتماً قوله تعالى: {فَلله ٱلۡحَمۡدُ} على نِعمه، فإياه فاحمدوا أيها الناس، فإن كلّ ما بكم من نعمة فمنه وحده، لا ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن، وتشركون به معه، ولما أبان سبحانه أن ذلك ثابت له لذاته لا لشيء آخر، أثبت أنه له بالملك والإحسان والتدبير فقال تعالى: {رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ } مالك السموات السبع ذات العلو والاتساع والبركات، ومالك الأرضين السبع[2]، ولما كان السياق لإثبات الاختصاص بالكمال، وكانوا قد جعلوا له سبحانه ما دل على أنهم لا شبهة لهم في عبادتهم بحصر أمرهم في الهوى، أعاد ذكر الرب تأكيداً وإعلاماً أن له في كل واحد من الخافقين أسراراً غير ما له في الآخر، فالتربية متفاوتة بحسب ذلك، وأثبت العاطف إعلاماً بأن كمال قدرته في ربوبيته للأعلى والأسفل على حد سواء دفعاً لتوهم أن حكمه في الأعلى أمكن لتوهم الاحتياج إلى مسافة و {رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} مالك جميع ما فيهنّ من أصناف الخلق.

فلما خص الخافقين تنبيهاً على الاعتبار بما فيهما من الآيات لظهورها، عم تنبيهاً على أن له وراء ذلك من الخلائق ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى فقال مسقطاً العاطف لعدم الاحتياج إليه بعد إثبات استواء الكونين الأعلى والأسفل في حكمه من حيث العلم والقدرة للتنزه عن المسافة، وذلك لا يخرج عنه شيء من الخلق لأنه إما أن يكون علوياً أو سفلياً، فجمع ما مفرده يجل على جميع الحوادث لأن العالم ما سوى الله. تنبيهاً على أصنافه وتصريحاً بها وإعلاماً بأنه أريد به مدلوله المطابقي لا البعض بدلالة التضمن، وأعاد ذكر الرب تنبيهاً على أن حفظه للخلق وتربيته لهم ذو ألوان بحسب شؤون الخلق، فحفظه لهذا الجزء على وجه يغاير حفظه لجزء آخر، وحفظه للكل من حيث هو كل على وجه يغاير حفظه لكل جزء على حدته، مع أن الكل بالنسبة إلى تمام القدرة

(١) تفسير المراغي (٢٥/ ١٦٦).

(٢) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٨).

على حد سواء[1].

وتقديم (لله) لإفادة الاختصاص، أي الحمد مختص به الله تعالى يعني الحمد الحق الكامل مختص به تعالى. وإجراء وصف رب السماوات على اسمه تعالى إيماء إلى علة قصر الحمد على الله إخبارا وإنشاء تأكيدا لما اقتضته الفاء في قوله: فلله الحمد. وعطف ورب الأرض بتكرير لفظ رب للتنويه بشأن الربوبية لأن رب السماوات والأرض يحق حمده على أهل السماء والأرض، فأما أهل السماء فقد حمدوه كما أخبر الله عنهم بقوله: {وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ }[2]، وأما أهل الأرض فمن حمده منهم فقد أدى حق الربوبية ومن حمد غيره وأعرض عنه فقد سجل على نفسه سمة الإباق، وكان بمأوى النار محل استحقاق.

واتباعها بوصف {رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} وهم سكان السماوات والأرض تأكيدا لكونهم محقوقين بأن يحمدوه لأنه خالق العوالم التي هم منتفون بها وخالق ذواتهم فيها كذلك[3].

{وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ } لما أفاد غناه الغنى المطلق وسيادته وأنه لا كفوء له، عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيهاً على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التي لا يرضونها لأنفسهم فقال: {وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ } السلطان، و الشرف، والعظمة، فالله عز وجل له الكبر الأعظم الذي لا نهاية له: {فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ} جميعها اللتين فيهما آيات للمؤمنين، روى مسلم وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار» ، وفي رواية: عذبته، وفي رواية: قصمته[4].

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١٤- ١١٦).

(٢) سورة الشورى، آية: ٥.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٥- ٣٧٦).

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر (٤/ ٢٠٢٣). وقد سبق إيراده والحديث عن صفة الكبرياء، صفحة: ١٣٦.

{وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ} في نقمته من أعدائه، القاهر كل ما دونه، الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء {ٱلۡحَكِيمُ} في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم، الذي يضع الأشياء في أتقن مواضعها ولا يضع شيئاً إلا كذلك كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه، وأحكم نظم هذا القرآن جملاً وآيات، وفواصل وغايات، وبعد أن حرر معانيه وتنزيله جواباً لما كانوا يعتنون به، فصار معجزاً في نظمه ومعناه وإنزاله طبق أجوبة الوقائع على ما اقتضاه الحال، فانطبق آخرها على أولها بالصفتين المذكورتين، وبالحث على الاعتبار بآيات الخافقين، والتصريح بما لزم ذلك من الكبرياء المقتضية لإذلال الأعداء وإعزاز الأولياء[1].

والحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبته تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظمته وجلاله والعبادة مبنية على ركنين، محبة الله والذل له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه[2].

قال الإمام ابن عاشور: "وعقب ذلك بجملة وله الكبرياء في السماوات والأرض للإشارة إلى أن استدعاءه خلقه لحمده إنما هو لنفعهم وتزكية نفوسهم فإنه غني عنهم كما قال: {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ}[3] وتقديم المجرور في وله الكبرياء مثله في فلله الحمد. والكبرياء: الكبر الحق الذي هو كمال الصفات وكمال الوجود. ثم أتبع ذلك بصفتي العزيز الحكيم لأن العزة تشمل معاني القدرة والاختيار، والحكمة تجمع معاني تمام العلم وعمومه. وبهذه الخاتمة آذن الكلام بانتهاء السورة فهو من براعة خواتم السور"[4].

وبهذا تم تفسير السورة الكريمة كاملة وفق تناسق آياتها وموضوعاتها، والفضل أولاً وأخيراً لله الواحد الديان، وصلِّ اللهم وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٨٨). ابن الجوزي، زاد المسير (٤/ ١٠١). البقاعي، نظم الدرر (١٨/ ١١٦).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن؛ ص: ٧٧٨.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦، ٥٧.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٧٨).

الخاتمة

وتشتمل على:

أولا: أهم نتائج البحث.

ثانياً: توصيات الباحثة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على صاحب الشريعة الغراء، والملة السمحاء، وعلى آله وصحبه الأتقياء ، وبعد :

فإنه لما كان لابد لي من أن أجعل للبحث نهاية، فإني هنا أنهيه وحالي في غاية الأسف، لأني على يقين أنّ هناك الكثير الكثير من أوجه التناسق لم أتوصل إليها، والقرآن الكريم قطعاً فيه إعجاز من كل العلوم لاينهيها أي بحث مهما وصل، وفي التناسق الموضوعي لسورة الجاثية خاصة إعجاز لا يمكن أن يوفيه بحثي البسيط، لكني أختمه سائلة المولى الكريم أن ينبري لمثل هذا البحث –حال حياتي– من هو أفضل مني علماً، وأن أطلع عليه؛ فكلي شغف لمعرفة مكنونات الإعجاز في هذه السورة التي عشت معها جواً إيمانياً وروحانياً تعجز حروفي عن صياغته.

وأختم بحثي البسيط هذا بنتائج مختصرة، وبعض التوصيات، سائلة المولى الرحيم أن يتقبله مني، وأن يعفو عن تقصيري، وأن ينفعني بما فيه، وينفع ويثيب كل من اطلع عليه.

أولًا/ أهم النتائج لهذا البحث:

١– أنّ مصطلح (التناسق الموضوعي) وإن كان مصطلحًا حادثًا، إلا أنه داخل في باب المناسبات التي تطرق لها المفسرون قديماً وحديثاً في ثنايا التفسير.

٢– التناسق الموضوعي يشمل التناسق بين السور المتحدة في المطلع، كمناسبة: سورة الجاثية لِآل حم، والتناسق بين السور من حيث ترتيبها، وبين موضوعات السورة الواحدة، وآياتها وألفاظها وجملها.

٣– إن إبراز التناسق بين موضوعات السورة الواحدة، والتناسب بين آياتها وجملها، وجه من وجوه الإعجاز، يزيد يقين المؤمن بعظمة هذا القرآن الكريم.

٤– أن لسورة الجاثية ثلاثة أسماء: اثنان لايشاركها فيها سورة أخرى وهي: (الجاثية والشريعة)، والثالث يطلق عليها وعلى سورة الإنسان (الدهر).

٥– أنه لم يرد في فضل سورة الجاثية حديث صحيح خاص عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٦– أن جميع السورة مكية وليس في السورة منسوخ على الراجح.

٧– أن سورة الجاثية اختصت بثلاثة مواضيع، لم ترد في غيرها من السور، وهي: الحديث عن

القوم الذين سبوا الدهر، ووصف جثو الأمم يوم الفزع الأكبر، والحديث عن صفة الكبرياء لله العزيز الحكيم. وأبرز موضوعات السورة الرئيسية هي: أ) الحديث عن آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها. ب) وصايا للمؤمنين. ج) صفات أهل الضلال وشبهاتهم، والرد عليهم. د) مشاهد من يوم القيامة. وهناك تناسق واضح بين هذه الموضوعات، فكلها تمضي في سياق متآلف، وبأسلوب متناسق ومترابط، لنظم بديع معجز تختص به سورة الجاثية.

٨- أن مقاصد سورة الجاثية: بيان حُجّة التّوحيد، والشكاية من الكفار والمتكبرين، وبيان النفع، والضرّ والإساءَة، والإحسان، وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أَهل الإيمان، وذَمّ متابعى الهوى، وذلّ الكفار في المحشر، ونسخ كُتُب الأَعمال من اللَّوح المحفوظ، وتأبيد الكفَّار في النَّار، وتحميد الرّب المتعال، والمقصد الكلي: (معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن الحق؛ من خلال عرض الآيات والتذكير بالآخرة).

٩- أن سورة الجاثية إحدى سور آل حم المكية، وترتيب نزول سور آل حم كترتيبها في المصحف الشريف، فنزلت سورة الجاثية بعد سورة الدخان وقبل سورة الأحقاف، وبذلك نرى التناسق والترابط بينها وبين سور آل حم عامة، وبينها وبين سورتي الدخان والأحقاف خاصة، فجميعها خالية من الأحكام الشرعية، مرسخة للعقيدة الصحيحة، داعية إلى التفكر والتأمل في آيات الله مما يوصل الإنسان العاقل إلى وحدانية رب الكون واستحقاقه وحده للعبودية الخالصة، مهددة كل متكبّرٍ عاصٍ مستهزء، وذلك مع اختلاف سياق كل سورة من السور وتميزها.

ثانياً/ توصيات الباحثة:

١- أن تكثر المشاريع العلمية في الجامعات الإسلامية، فمشروع التناسق الموضوعي مشروع مُبارك نافع -جزا الله خيراً كل من شارك في إعداده وتأييده والموافقة عليه-.

٢- أن يتم تجميع رسائل هذا المشروع (التناسق الموضوعي) والإشراف عليه من قبل شخص مختص، وجعلها مع بعضها ولو بين رفوف المكتبة ليسهل التوصل إليها ومن ثم الإستفادة منها.

٣- عند بحثي في الرسائل العلمية لهذا المشروع وجدت اخلافاً يسيراً في هيكلها، فأوصي بتوحيد خطط المشاريع القادمة، وتنبيه دارسيها والمشرفين عليها، حتى تأخذ هيكلاً واحداً .

٤- سورة الجاثية على وجه الخصوص لم أجد فيها أي رسالة علمية أو بحث خاص، سوى بحث واحد، ورغم محاولاتي للحصول عليه كثيراً إلا أنني لم استطع، وقد آلمني ذلك كثيراً، فأوصي كل باحث بتسهيل الوصول إلى بحثه، حيث إن كل من أراد الكتابة في مجال عليه أن يطلع على مجمل أو أكثر ماكُتب فيه، ليستفيد مما تم التوصل إليه، ويستكمل الجوانب التي تم الوقوف عندها.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على من بذكره تزداد القلوب حُباً، والأنفس شوقاً، محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة.

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

الآية	السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}	الفاتحة	١	٢	٢٢١
{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ..}	البقرة	٢	٧	٢٥٩
{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ..}	البقرة	٢	٢٣	٣٠
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ..}	البقرة	٢	٣٤	١٥٨
{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ..}	البقرة	٢	٤٩	١٩٩
{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ..}	البقرة	٢	١٠٦	٧٣ ، ١٣٩
{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ..}	البقرة	٢	١٨٩	١٠٨
{سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ}	البقرة	٢	٢١١	٦١
{وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا}	البقرة	٢	٢٣١	١٩٠
{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا}	البقرة	٢	٢٣٤	٦٠
{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا..}	البقرة	٢	٢٣٤	١٠٣
{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً}	البقرة	٢	٢٤٥	١٤٩
{إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ}	البقرة	٢	٢٤٨	٦١
{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ}	البقرة	٢	٢٤٩	٢٧٠
{الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}	آل عمران	٣	٢،١	٦٤
{آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}	آل عمران	٣	٧	٢٣٠
{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}	آل عمران	٣	١٢	١٣٨
{قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا}	آل عمران	٣	١٣	٦١
{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ..}	آل عمران	٣	١٠١	١٩٠
{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور}	آل عمران	٣	١١٩	٢٦
{تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ..}	آل عمران	٣	١٦١	١٩٦
{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..}	آل عمران	٣	١٩٠	١٨٦
{إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ ..}	النساء	٤	١٤٩	١٩٧
{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..}	المائدة	٥	٣	٨٥

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ .. }	المائدة	٥	٢٠	٢٤٦
{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ..}	المائدة	٥	٤٨	٤٠
{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}	المائدة	٥	٥٠	١٧٦
{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}	المائدة	٥	١٢٠	٢٦
{وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}	الأنعام	٦	٢٩	٢٧٠
{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا}	الأنعام	٦	٨٢	٢٠٦
{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}	الأنعام	٦	١٢٤	٢٦٠
{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ..}	الأنعام	٦	١٤٠	٦٤
{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}	الأنعام	٦	١٦٣	٦٤
{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ..}	الأعراف	٧	٢٦	١٠٧
{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ..}	الأعراف	٧	١٤٤	٤
{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ..}	الأعراف	٧	١٦٧	٢٠٠
{وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ}	الأعراف	٧	١٧٦	٢٥٧
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ..}	الأنفال	٨	٢٤	٤٢
{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا} [الأنفال: ٣١]	الأنفال	٨	٣١	١٤٨
{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ..}	الأنفال	٨	٣٨	١٣٨
{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}	الأنفال	٨	٤١	٢٣٧
{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ..}	التوبة	٩	٥	٦٩
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ ..}	يونس	١٠	٣٨	٣٠
{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ..}	يونس	١٠	٧٨	١٣٦
{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}	يونس	١٠	١١٠	٢٢١
{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}	هود	١١	١	٩٧
{قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ..}	هود	١١	٥٣	١٤٢
{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ..}	هود	١١	١٠٢	٢٠٦
{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ..}	هود	١١	١٢٠	١٩٨
{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ}	يوسف	١٢	٤٤	١٤٢
{مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ}	إبراهيم	١٤	١٦	٢٣٩

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}	الحجر	١٥	٩	٤٦
{وَلَقَدْ آتَيْنَاك سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}	الحجر	١٥	٨٧	٥٩
{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ..}	النحل	١٦	٩	١٥٤
{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}	النحل	١٦	٥٠	٢٣٢
{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ..}	النحل	١٦	٥٣	٢٤٢
{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ..}	النحل	١٦	٧٥	٢٢٠
{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى .. }	النحل	١٦	٩٠	١٠٣
{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ..}	الإسراء	١٧	٨٨	٨
{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ..}	الكهف	١٨	٤٩	٢٦٧
{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا }	مريم	١٩	١٢	٢٤٦
{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ..}	مريم	١٩	٦٨	٣٧
{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}	مريم	١٩	٧٢	٣٧
{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ..}	مريم	١٩	٧٨،٧٧	١٥٢
{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ..}	مريم	١٩	٧٨-٧٧	٢٥٦
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ..}	الحج	٢٢	٧-٥	٢١٣
{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}	الحج	٢٢	٣٩	٧٢
{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}	الحج	٢٢	٤٠	١٩٩
{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ ..}	الحج	٢٢	٤٦	٢٥٤
{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ..}	المؤمنون	٢٣	١٥	٢١٤
{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ..}	النور	٢٤	٣٤	١٩٠
{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً ..}	الفرقان	٢٥	٣٢	٧٥
{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ..}	الفرقان	٢٥	٤٤	٢١٠
{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}	النمل	٢٧	٨٨	١٧٦
{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ..}	القصص	٢٨	٣٩	١٥٨
{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ..}	العنكبوت	٢٩	٥١	١٧٩
{الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ}	الروم	٣٠	١،٢	٦٦
{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ..}	الروم	٣٠	١٨-١٦	٢٢١

{وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ ..}	الروم	٣٠	٢٢	٦١
{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ..}	الروم	٣٠	٢٩	٢٥٧
{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}	لقمان	٣١	٦	٩٠
{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا}	لقمان	٣١	٧	١٥٧
{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}	لقمان	٣١	١٣	٢٠٦
{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ..}	السجدة	٣٢	٥	١٧١
{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ..}	سبأ	٣٤	٢	١٠٧
{وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}	سبأ	٣٤	١٣	١٩٣
{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ..}	فاطر	٣٥	٣٠،٢٩	٤٦
{فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ}	يس	٣٦	١٤	١٧٥
{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}	يس	٣٦	٧٩	٢٠٩
{فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ}	ص	٣٨	١٠	١٤٥
{وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}	ص	٣٨	٢٣	١٧٥
{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ..}	الزمر	٣٩	٢٣	١٨٨
{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ..}	الزمر	٣٩	٢٩	٢٢٠
{وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}	الزمر	٣٩	٧٥	٢٢٠
{حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }	غافر	٤٠	٢،١	١١٠
{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي ..}	غافر	٤٠	٨	١١٤
{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ..}	غافر	٤٠	١١	١١٣
{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ...}	غافر	٤٠	٢٠،١٩	١١٧
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}	غافر	٤٠	٢٣	١١١
{مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ..}	غافر	٤٠	٣١	١١١
{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}	غافر	٤٠	٣٥	٢١٨
{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ..}	غافر	٤٠	٤٦	١٥٨
{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ..}	غافر	٤٠	٥٧	١١٩
{الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ..}	غافر	٤٠	٧٢-٧٠	١١٦
{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}	غافر	٤٠	٨١	١٩٠

{وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}	غافر	٤٠	٨٥	٢١٦
{حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ..}	فصلت	٤١	٢،١	١١٠
{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ..}	فصلت	٤١	١٢-٩	١١٩
{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}	فصلت	٤١	١٣	١١٢
{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ..}	فصلت	٤١	٣١،٣٠	١١٥
{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ..}	فصلت	٤١	٣٩	١١٣
{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ..}	فصلت	٤١	٤٢،٤١	٤٦
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ ..}	فصلت	٤١	٤٥	١١٢
{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ..}	فصلت	٤١	٥٣	١٠
{حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ..}	الشورى	٤٢	٣،٢،١	١١٠
{وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}	الشورى	٤٢	٥	٢٧٨
{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ..}	الشورى	٤٢	٩	١١٤
{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ..}	الشورى	٤٢	١٣	١١٢
{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ ..}	الشورى	٤٢	٢٢	١١٥
{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا ..}	الشورى	٤٢	٢٩	١١٩
{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ..}	الشورى	٤٢	٤٥،٤٤	١١٧
{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ..}	الشورى	٤٢	٥٢	١١١
{حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ..}	الزخرف	٤٣	٣،٢،١	١١١
{وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ}	الزخرف	٤٣	٦	١١٢
{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..}	الزخرف	٤٣	٩	١١٩
{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا..}	الزخرف	٤٣	٢٠-١٩	٢٦٢
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}	الزخرف	٤٣	٢٦	١١٢
{إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى ..}	الزخرف	٤٣	٣٦-٣٤	١١٤
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ..}	الزخرف	٤٣	٤٦	١١٢
{وما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها}	الزخرف	٤٣	٤٨	٤٢
{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}	الزخرف	٤٣	٥٧	١١٢
{الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ..}	الزخرف	٤٣	٧٣-٦٩	١١٥

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ..}	الزخرف	٤٣	٧٤،٧٥	١١٧
{حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ..}	الدخان	٤٤	١،٢،٣	١١١
{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ}	الدخان	٤٤	١٧	١١٢
{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ..}	الدخان	٤٤	٣٨،٣٩	١١٥-١١٨
{إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ ..}	الدخان	٤٤	٤٣-٤٩	١١٧
{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ..}	الدخان	٤٤	٥١-٥٦	١١٥
{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}	الدخان	٤٤	٥٨	١١١
{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ..}	الدخان	٤٤	٥٨،٥٩	١٢١
{حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}	الأحقاف	٤٦	١،٢	١١١
{مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ..}	الأحقاف	٤٦	٣	١٢٨
{وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}	الأحقاف	٤٦	٦	١١٤
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ..}	الأحقاف	٤٦	١٠	٨٨
{وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ..}	الأحقاف	٤٦	١٢	١١٣
{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ..}	الأحقاف	٤٦	١٣،١٤	١١٦
{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ..}	الأحقاف	٤٦	٢٠	١١٨
{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ..}	الأحقاف	٤٦	٢١	١١٣
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..}	الأحقاف	٤٦	٣٣	١٢٠
{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ..}	الذاريات	٥١	٥٦-٥٧	٢٧٩
{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ..}	الحديد	٥٧	٩	١٦٩
{فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ}	الحديد	٥٧	١٣	٣٢
{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ..}	الحشر	٥٩	٢٣	١٣٦
{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}	الملك	٦٧	١	٥٩
{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}	الحاقة	٦٩	٢٠	٢٧٠
{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ..}	المعارج	٧٠	٤٤	١٩٧
{فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ..}	الجن	٧٢	١-٣	٤٣-١٦٩
{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ..}	المدثر	٧٤	٢٣- ٢٦	١٥٨
{ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ..}	المدثر	٧٤	٢٤-٢٥	١٧٤

{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ..}	الإنسان	٧٦	١	٤٤ ، ١٣٤
{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ..}	البينة	٩٨	١-٣	٤٢
{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}	الفيل	١٠٥	٥	١٠٦
{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}	قريش	١٠٦	١	١٠٦

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
"إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام".	أبي موسى	٢٠٥
"إن سورة من القرآن ثلاثون آية..	أبي هريرة	٥٥
"تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين ..	أبي هريرة	٢٦٨
"ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"	ابن عباس	١٠٢
"يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي ..	أبا هريرة	١٣٦
"يؤذيني ابن آدم يسبّ الدّهر..	أبي هريرة رضي اللّه عنه	٣٤ ، ١٣٥
(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت..	شداد بن أوس	٢٠٨
(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)	أبي موسى الأشعري	٢٠٦
(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)	أبي هريرة	٢٧٠
(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو..)	ابن عمر	٢٣٩
«إذا زلزلت تعدل نصف القرآن..	ابن عباس	٥٥
«اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم	عبد الله بن مسعود	٥٤
«ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن..	أبي سعيد بن المعلى	٥٣
«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق..»	عبد الله بن مسعود	١٥٧
«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»	عمر بن الخطاب	٢١٢
«إني أرجو أن لا تخرج من المسجد..	أبي بن كعب	٥٣
«أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟»..	أبي الدرداء	٥٤
«تعلموا سورة البقرة، وآل عمران..	عبد الله بن بريدة	٥٣
«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»	عثمان بن عفان، رضي الله عنه	٤٦
«سيدة آي القرآن آية الكرسي»	أبي هريرة	٥٣

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»	عبد الله بن مسعود	١٥٧
«ما أنا والدنيا؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»	عبد الله بن عمر	٢١٢
«من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات ..	أبا هريرة	٦٣
«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف	أبي الدرداء	٥٤
«من حفظ عشر آياتٍ من أوّل سورة الكهف.. »	أبي الدّرداء	١٠٣
«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة ..	أبي مسعود الأنصاري	٥٤
«من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة..	عبد الله بن مسعود	٢٢٧
«من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين»	أبا هريرة	٦٣
«يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»	عثمان بن عفان	٦١
«يا عقبة، قل» فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟..	عقبة بن عامر	٥٤
«يا عمر، ألا تكفيك آية الصّيف ..	عمر بن الخطاب	١٠٣
إن كذبا علي ليس ككذب على أحد...	المغيرة بن شعبة	٥٦
أنزل علي آيات لم ير مثلهن {قل أعوذ برب الفلق}	عقبة بن عامر	٥٥
ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه	ابن عباس	٥٥
قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، إذ شخصَ ببصره..	عثمان بن أبي العاص	١٠٢
قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ..	أبي هريرة	٢٧٥
لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا}	عبد الله بن عمر	٢٠٦

ثالثاً: فهرس الأعلام.

اسم العلم	رقم الصفحة
ابن أَبي زَمَنِين: محمد بن عبد الله	٢٢٩
ابن أَبي عَاصِم: أحمد بن عمرو الشَّيْبَاني، ابن النَّبِيل	٢٦٦
ابن الباقلاني، محمد بن الطيب	٨٤
ابن الزبير الثقفي	١٣
ابن العربي، القاضي أبو بكر	٢٤
ابن العربي، محمد بن عبد الله	٩٨
ابن سلامة: هبة الله	٦٩
ابن عاشور، محمد بن الطاهر	١٢
ابن عطية، عبد الحق بن غالب	٥٧
ابن كثير، عماد الدين	٢٣٠
أبو البقاء، أيوب بن موسى	٢٦
أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي	٣٧
أبو العلا، عادل محمد	٢٥
إسماعيل حَقِّي: إسماعيل حقي	٢٣٧
الألوسي، شهاب الدين محمود	٤٣
الأندلسي، أبو حيان	١٢
البغوى،الحسين بن مسعود	٣٨
البقاعي، ابراهيم عمر	١٣
التستري، سهل بن عبد الله	١٦٦
تقي الدين الحصني، أبو بكر بن محمد	١٥٤
الثعلبي، أحمد بن محمد	٥٢
الجعبري، إبراهيم بن عمر	٨٤
الحرالّي، أبو الحسن علي بن أحمد	٢٣٤
الخطيب، أحمد بن علي البغدادي	٨٢

دروزة، محمد عزة	٢٠٥
ذُو الحِلْم، عامر بن الظرب	٢٠٩
الرازي، فخر الدين	١٢
الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد	١٣٩
الزرقاني، محمد عبد العظيم	٨٥
الزركشي، بدر الدين محمد	٢٣
الزمخشري، أبو القاسم محمود الخوارزمى	٣٠
السمرقندي، نصر بن محمد	٣٨
السيوطي، عبد الرحمن بن أبى بكر	١٣
الشاطبي: القاسم بن فيره	٦٧
الشهرستاني محمد بن عبد الكريم أبو الفتح	١٧٠
الصابوني، محمد علي	٣٨
الصافي، محمود عبد الرحيم	٢٥
الطبري، محمد بن جرير	٣٧
عبد الرحمن بن عبد الله، الْخَثْعَمِي الأندلسي	٢٢٤
الفراء أبو زكريا، زياد بن عبد الله	٢٢٥
الفراهي، عبد الحميد عبد الكريم	٢٥
الفيروزابادي، محمد بن يعقوب	١٦١
القرطبي، محمد بن أحمد	٨٧
قس بن ساعدة	١٣٥
القطان، مناع خليل	٧٨
الكرماني، أحمد بن عبد الله	٣٦
المحاسبي، الحارث بن أسد	٨١
محمد رشيد رضا	٩١
المراغي، أحمد بن مصطفى	٨٩
مصطفى مسلم	٢٧
النابغة الذبياني: زياد بن معاوية	٣٢

النحاس: أحمد بن محمد	٧٢
النضر بن الحارث	٨٩
النيسابوري: الحسن بن محمد	٢٤٣
الهذلي، يوسف بن علي	٦٣
الواحدي، علي بن أحمد	٥٢

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

القرآن الكريم
(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.
ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الأولى١٣٩٠هـ –١٩٧٠م.
ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين،

تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.
ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي، المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: د. محمد مظهربقا، جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة.
ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.
ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، طبعة ١٩٠٠م.
ابن خليفة عليوي، جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها، الجزء الثاني الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
ابن سلامة، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، الناسخ والمنسوخ، تحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.
ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤هـ.
ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بهجة المجالس

وأنس المجالس.
ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية ،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
ابن نصر، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، مكتبة حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة — بيروت.
أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، خلاصة سير سيد البشر، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
أبو العباس، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، طبعة

١٤١٩هـ.
أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، طبعة ١٩٩٤م (٥/ ١٧٠).
أبو العلا، عادل محمد صالح أبو العلا، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان ١٤٣٤هـ-٢٠٠٤م.
أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، روح البيان، دار الفكر – بيروت.
أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِستاني، الزهد، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي.
أبو موسى، الدكتور محمد محمد أبو موسى، آل حم دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، مصر – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، الشريعة، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
أحمد عباس البدوي، أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها، دار عمار، عمان — الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
أحمد مختار عبد الحميد عمر معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م (١/ ٢١٣).
أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

الأدنه وي، أحمد بن محمد الأدنه وي، طبقات المفسرين، تحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
آل غازي، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، بيان المعاني، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥م.
الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
آمال سعدي قطينة، الصحيح والسقيم في فضائل القرآن الكريم، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث.
الأندلسي، أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب، دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ
الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب القاضي المالكي، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.
الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب القاضي المالكي، الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث

العربي –بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ.
البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .
البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي– دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، السنن الصغير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، الطبعة الأولى١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
البيهقي، الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، البعث والنشور، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير– سنن الترمذي، تحقيقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨م.
التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ١٤٢٣هـ.
الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح

البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور ، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
حاتم بن عابد بن عبد الله القرشي، مباحث التفسير لأبي العباس أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي الحنفي، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م، رسالة ماجستير.
الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ.
حسن محمد باجودة، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام، تهامة، جده– المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، رسالة ماجستير.
حسين عمر حمادة، محمد عزت دروزة: صفحات من حياته وجهاده ومؤلفاته، بيروت– الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، طبعة ١٩٨٣م.
الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.
الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ
خالد عبد الرحمن العك، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول الجامع بين روايات الطبري والنيسابوري وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير والسيوطي، دار المعرفة، بيروت — لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية - بيروت.
دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، طبعة ١٣٨٣هـ.
الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ (١/ ١٥٧).
ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، المغني في الضعفاء، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، دار إحياء التراث- قطر.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.
الرازي، زيد الدين حنفي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت — صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، خطيب الري، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد

العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، لمجموعة من المحققين، دار الهداية.
الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.
الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
الزحيلي، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج التفسير المنير، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
الزرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
الزركشي، بَدْر الدِّينِ محمد بن عبد اللّه بن بهادر الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ– ١٩٥٧م.
الزركلي،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، أيار – مايو ٢٠٠٢م.
الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
السامرائي، فاضل صالح، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة عام ١٤٢١هـ .
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.
سعيد القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، مطبعة سفير، المملكة العربية السعودية– الرياض.

السقاف، علوي بن عبد القادر السقاف، صفات الله عز وجل الوارده في الكتاب والسنة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية– الظهران، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث، بحر العلوم، دار الكتب العلمية.
سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي – بيروت.
سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ.
سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، التصور الفني في القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة.
السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.
السيوطي، جلال الدين السيوطي، أسباب النزول، دار الهجرة للطباعة — بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٠م.
السيوطي، جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، الفضيلة للنشر والتوزيع.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت– لبنان، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

شايع بن عبده بن شايع الأسمري، مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، طبعة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.
الشجري، يحي المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني ، وترتيب: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر ، مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١ م.
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف.
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت– دار المعرفة.
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
الصابوني، محمد علي، إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
الصافي، محمود بن عبد الرحيم الصافي، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد مؤسسة الإيمان — دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.
صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، كانون الثاني – يناير ٢٠٠٠م.
صحيح البخاري، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا ، دار طوق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، ودار الصميعي– الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.
الطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،

الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى: يناير ١٩٩٧م.
الطوفي، نجم الدين أبي الربيع سليمانبن عبد القوي الطوفي، شرح مختصر الروضة، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
عادل محمد صالح أبو العلا، خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ١٤١١هـ.
العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله فواز العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية– مصر، الطبعة الأولى ١٣١٢هـ .
عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة.
العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الثريا – الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٥هـ – ٢٠٠٤م.
العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية– الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ .
علي بن لالي بالي بن محمد القسطنطيني الحنفي، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.
الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المسْتَفاض الفِرْيابِي، كتاب القدر تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي، توفيق الرحمن في دروس القرآن، تحقيق وتخريج: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب – جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.
القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر المكي الشافعي الخطاط، تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح بجدة، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة
الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت

مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
المحاسبي، الحارث بن أسد المحاسبي، فهم القرآن ومعانيه، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ .
محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن الكتاب، دار المنار، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشر سنة١٩٩٠م
محمد سعيد مولودي، ديوان عنترة، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
محمد شفاعت رباني، المكي والمدني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
محمد عابد الجابري، فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م، بيروت.
محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، موسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
محمد عناية الله أسد سُبحاني، أمعان النظر في نظام الآي والسور، عمان- دار عمار، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية أصول الدين في جامعة الأزهر.
مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان ، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
المخلَّلاتي، رضوان بن محمد بن سليمان المكنى بأبي عيد، القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ
مركز تفسير للدراسات القرآنية، المختصر في التفسير، مؤسسة الشيخ عبد الله بن زيد، المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م،.
المزيني، خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار العربي - بيروت.
مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، دار الأرقم في الكويت، الطبعة الثالثة، جامعة

الملك عبد العزيز ١٤٠٤هـ.
مكي بن أبي طالب، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
النسائي، عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت.
النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.
الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية– بيروت — لبنان ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، مكتبة عباس أحمد الباز –مكة المكرمة.
الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، التفسير البسيط، تحقيق: د.عبد الله بن إبراهيم الريس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ
ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني

النَّدوي، دار الصحوة – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
يوسف بن إليان بن موسى سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس – مصر ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م.

خامساً: فهرس الموضوعات.

شـــكر وتقـــدير: ٤
ملخص الرسالة(باللغة العربية): ٥
ملخص الرسالة (باللغة الإنجليزية): ٦
المقدمة: ٨
أهمية الموضوع: ١٠
أسباب اختيار الموضوع: ١٢
الدراسات السابقة: ١٤
أهداف البحث: ١٥
منهج البحث: ١٥
خطوات البحث: ١٦
هيكل البحث: ١٧
الباب الأول: ٢٠
التمهيد: ٢١
التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحا. ٢٢
الفصل الأول: أسماء السورة، وفضلها، وعدد آياتها وتاريخ نزولها ٢٨
المبحث الأول: أسماء السورة الكريمة، وأسباب التسمية. ٢٩
التمهيد: ٣٠
المطلب الأول: تعريف السورة لغة وإصطلاحاً ٣٢
المطلب الثاني: مصدر أسماء السور ٣٤
المطلب الثالث: الأسماء التي وردت للسورة الكريمة، وأسباب التسمية ٣٦
المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها ٤٥
التمهيد: ٤٦

المطلب الأول: ماورد في فضل آل حم ٤٨
المطلب الثاني: ما ورد في فضل سورة الجاثية خاصة ٥٢
المطلب الثالث: ما ورد في فضل بعض موضوعات السورة ٥٧
المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك ٥٨
التمهيد: ٥٩
المطلب الأول: تعريف الآية لغة وإصطلاحاً ٦١
المطلب الثاني: فائدة معرفة عدد الآي ٦٣
المطلب الثالث: عدد آيات سورة الجاثية وسبب الإختلاف فيها ٦٥
المبحث الرابع: تاريخ نزول سورة الجاثية ٦٨
المبحث الخامس: تحرير المنسوخ في سورة الجاثية ٧١
الفصل الثاني: مكية سورة الجاثية ومناسبتها لما قبلها ووجه اختصاصها بما اختصت به ٧٦
المبحث الأول: مكيـة سـورة الجـاثية ٧٧
التمهيد: ٧٨
المطلب الأول: تعريف المكي والمدني ٧٩
المطلب الثاني: فائدة العلم بالمكي والمدني ٨١
المطلب الثالث: طريقة معرفة المكي والمدني ٨٤
المطلب الرابع: مكية سورة الجاثية ٨٧
المبحث الخامس: خصائص السور المكية وإنزالها على سورة الجاثية ٩٣
المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها ٩٦
التمهيد: ٩٧
المطلب الأول: تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً ٩٨
المطلب الثاني: شرف هذا العلم وفائدته ١٠٠
المطلب الثالث: ترتيب الآيات والسور ١٠٢
المطلب الرابع: أنواع علم المناسبة ١٠٦
المطلب الخامس: مناسبة سورة الجاثية لِآل حم ١٠٩

المطلب السادس: مناسبة سورة الجاثية لما قبلها (سورة الدخان).....١٢١
المطلب السابع: مناسبة سورة الجاثية لما بعدها (سورة الأحقاف).....١٢٨
المبحث الثالث: وجه اختصاص سورة الجاثية بما اختصت به من موضوعات.....١٣٣
الفصل الثالث: أسباب النزول الواردة في سورة الجاثية ومقاصد السورة ١٤٣
المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في سورة الجاثية ١٤٤
تمهيد:.....١٤٥
المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة ١٤٨
المبحث الثاني: مقاصد سورة الجاثية.....١٥٣
تمهيد:.....١٥٤
أولاً/ المقصد الكلي للسورة: ١٥٦
ثانياً/ المقاصد الفرعية في السورة: ١٦١
الباب الثاني: التناسق الموضوعي في سورة الجاثية دراسة تطبيقية.....١٦٣
الفصل الأول: مناسبات سورة الجاثية ١٦٤
المبحث الأول: مناسبة أسماء السورة لموضوعاتها. ١٦٥
أولاً: مناسبة اسم (الجاثية) لموضوعاتها: ١٦٦
ثانياً: مناسبة اسم (الشريعة) لموضوعاتها: ١٦٨
ثالثاً: مناسبة اسم (الدهر) لموضوعاتها:.....١٧٠
المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.....١٧٢
المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.....١٧٨
المبحث الرابع: مناسبة خاتمة السورة لموضوعاتها.....١٨٠
الفصل الثاني: موضوعات سورة الجاثية وتناسقها ١٨٢
التمهيد: ١٨٣
المبحث الأول: آيات الله عز وجل ووعيد من كفر بها ١٨٥
المطلب الأول: مصدر القران الكريم واثبات وحدانية الله.....١٨٦
المطلب الثاني: صفة المكذبين بآيات الله وجزاؤهم ١٨٩

المطلب الثالث: التذكير بنعم الله تعالى على عباده ١٩١
المبحث الثاني: وصايـــا للمؤمنيـــن..... ١٩٤
التمهيد: ١٩٥
المطلب الأول: أمر المؤمنين بالتجاوز عن الكفار ١٩٦
المطلب الثاني: فضل الله على بني إسرائيل، واختلافهم من بعد العلم..... ١٩٤
المطلب الثالث: المنة العُظمى على نبينا ﷺ بهذه الشريعة ٢٠٢
المطلب الرابع: الفرق بين المحسنين والمسيئين ي المحيا والممات..... ٢٠٤
المبحث الثالث: صفات أهل الضلال وشبهاتهم والرد عليهم..... ٢٠٧
المبحث الرابع: مشاهد يوم القيامة وحال المؤمنين والكافرين يومئذ ٢١١
التمهيد: ٢١٢
المطلب الأول: بعض مشاهد يوم القيامة ٢١٥
المطلب الثاني: حال المؤمنين والكافرين يومئذ..... ٢١٧
المطلب الثالث: الثناء على الله عز وجل (خاتمة السورة) ٢٢٠
الفصل الثالث: تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي..... ٢٢٣
الخاتمة..... ٢٨٠
أولًا/ أهم النتائج لهذا البحث: ٢٨١
ثانياً/ توصيات الباحثة: ٢٨٣
الفهارس العامة..... ٢٨٤
أولاً: فهرس الآيات القرآنية. ٢٨٥
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة. ٢٩٢
ثالثاً: فهرس الأعلام. ٢٩٤
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع. ٢٩٧
خامساً: فهرس الموضوعات. ٢١٣